أشجار البروتين

الجزء الثاني

رواية من تأليف

محمود عبدالعزيز فرج

٤ شارع الشهيد محمود فؤاد ـ مصر الجديدة، تليفون: ٢٩٠٠٠٥٧ القاهرة.

ص. ب (٩) الصفاة الرمز البريدي 13001 الكويت، تليفون: ٥٣٣٨١٥٤ الكويت

موافقة إدارة الرقابة على فكرة وملخص هذه الرواية برقم ٤٧ بتاريخ ١٨/١١/ ٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ
ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا
كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ

(صدق الله العظيم)

-((بسم الله الرحمن الرحيم))-

عزيزي القارئ

يسعدني أن أضع بين يديك الجزء الثاني من رواية أشجار البروتين ، لكي نستكمل معاً ما سبق ذكره من أحداث بالجزء الأول ، حيث توصل اثنان من المصريين إلى اكتشاف نوع من الأحجار التي ثبت أنها أشجار متحجرة تحتوى على نسبة كبيرة من البروتين الحيواني (وليس النباتي) بما يخالف الطبيعة ، ومن خلال قيام جهات متعددة بمحاولة الاستيلاء على هذا الاكتشاف ، وتحفظ الباحثين في طرحه للاستخدام الآدمي قبل التحقق من صلاحيته ، مروراً بالظروف الخاصة بأشخاص الرواية ، والغيرة التي تتحكم في تصرفات البعض ، حتى لو كانت تؤدى إلى خراب البيوت والنفوس .

إلا أن أحداث الجزء الأول انتهت بأخبار سارة ، لتبدأ أحداث الجزء الثاني بمفاجأة تكشف عن الحقيقة الغائبة التي تؤدى إلى المداهمة ، ومن خلال كل هذه الأحداث الدامية الدامعة ، يظهر حنان الأم بلسماً شافياً للجراح ، وقبلة إعجاب من ابنة العشرين الأجنبية وكذلك أمها لرجل غريب عنهما ، بينما ترى ابنة الإسلام أباها الذي يبعد عنها عشرات الكيلو مترات ، عندما يهم خطيبها لاحتوائها بين يديه ، فتنتفض صارخة ليعجب الفتى بأخلاق وقيم تحفظها من الانسياق مع تصرفات يرفضها الإسلام ، بالرغم من أنها جاءته رغماً عنه طواعية ممن لا يدينون بالإسلام .

ووسط موج هادر من الهواجس التي تؤلم النفس والقلب ، تأتي الدكتورة باسمه ، لتضع البسمة على قلب ملتاع ، فيتقبل طفلها الذي يرفضه العقل لقيام من اغتصبها بانتزاعه منها وهي عاجزة مسلوبة الحياة بفعل المخدرات التي أجبرت عليها .

ويأتي الشك الذي يعصف برجل سعد بوجود ابنته إلى جواره ، ليدور في مجموعة من الدوائر المتشابكة بين أن يصدق قلبه الذي يؤكد بنوتها له ، والقرائن التي تؤكدها الحقائق الموثقة بالتصوير التليفزيوني ، فأيهما يصدق ؟ .

وينتهي هذا الجزء أيضا بالأفراح ، حيث يفتتح الفنان معرضه ، ويناقش رسالة الدكتوراه في العلوم والفنون ، وأخيراً يتزوج ، لكن هل يسعد بزواجه الذي ظل يلح على إتمامه ؟

هذا ما تضمنه الجزء الثاني من هذه الرؤاية ، والحمدلله على تمامه ، شاكراً لكل من ساهم أو شارك أو شجع أو قام بعمل أدى إلى تقديم هذا الجزء وكذلك ما سبقه من أعمال ، في الشكل النهائي ، الذي نرجو أن يحوز على رضاك عزيزي القارئ .

ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أتوجه بالشكر للفنان المبدع المهندس / أحمد غانم على لوحاته الرائعة لأغلفة هذه الثلاثية ، وأعد شرحاً وافياً لنظرته التي عبر بها عن كلمات هذه الرواية فناً جميلاً ممتعاً مبدعاً ، كان له أكبر الأثر في تقبلك عزيزي القارئ للتعرف على ما تطرحه هذه اللوحات الأخاذة من فكر حوته صفحات هذه الأجزاء .

وأخيرا ، أتمنى لك عزيزي القارئ ، أن تجد فيما بين يديك من فكر وفن وأدب ، وفقني الله في صياغته كلمات استندت إلى مكارم الأخلاق التي هدانا إليها الإسلام ، وعبر عنها فناً في لوحات داخلية صاغها أخونا الكريم الفنان خالد النقيب من وطننا العربي الإسلامي الثاني بالكويت ، وصمم غلافها فناننا المبدع المهندس أحمد غانم من وطننا الحبيب مصر ، وقام بمراجعتها لغويا أخونا المؤمن الأستاذ / على عبد الرزاق من مصر أيضا ، أما المراجعة النحوية والأدبية ، فقد قام بها أستاذنا الجليل الدكتور بإذن الله جابر حمدان محمد من شقيقه روحنا سوريا الحبيبة ، وبذلك فإن العمل شارك فيه أبناء من الوطن العربي الإسلامي ، ليضفي عليه الصبغة القومية فيكون صالحاً لكل بلدان وطننا العربي ، وربما لكل زمان .

وإلى اللقاء سويا في الجزء الثالث من ثلاثية أشجار السبروتين .

والحمد لله رب العالمين

محمود عبد العزيز فرج

الاحترام قبل الحب
والحب قبل الطعـــام

١- المفاجأة

حضر أحمد مصطحبا منى إلى فيلا الخوجه باشا ، هو ليأخذ المقالة التي كلف شكري بك صفيه لتحريرها رداً على افتراءات سميحة هانم القرنفلي ، ومنى لتساعد خطيبها في أعماله الفنية التي تعاقد عليها .

تقدمهما عم محمد حتى البهو ، وما إن علم سعيد بحضور منى ، حتى انتزع نفسه مهرولا ليكون في شرف استقبال خطيبته ، حبيبة قلبه ، ولما لمحت منى الحاج وهدان حملقت في وجهه ، وهي تحاول أن تتذكر من هو ؟ ومتى رأته ؟ والعجيب أن الحاج وهدان بادلها نفس التساؤلات الصامتة ، في الوقت الذي كان أحمد يتبادل السلام مع الجميع حتى قبل أن يتم التعارف بينهم ، وهو شارد يجول ببصره باحثا عن صفيه ، ولاحظ سعيد قلقه فقال له منغما :

- " من تبحث عنها ليست هنا ، إنها بالمستشفى .. "

فصدرت عن منى أنَّةَ فَزَعٍ ، وتساءلت بلهفة عنها ، لهفة من تجد قلبها وكأنه خلع من مكانه ليقع في أخمص قدميها ، هل أحبتها ؟ ولم لا ، ألم تكن نعم الأخت لسعيد ؟ ومن يحبه سعيد ، فإن منى تحبه أيضا ، فالشفافية التي يتمتع بها هذا المخلوق الخلوق ، لا تخطئ أبداً ، وشعرت مريم هانم بما يعتمل في صدرها ، فأسرعت تضمها إلى قلبها ، وتربت عليها بحنان يفوق حنان أمهات هذه الأيام ، وتضحك وهي تهمس في أذنها ببعض عبارات المحبة التي تطفئ بها هذا القلق ، وتطمئنها بأنها تجري بعض التحاليل الطبية ، ثم تضيف تمنياتها بأن تفرح بها كما هي فرحتها بصفيه .

وأسرع سعيد لينالها من الحب جانب ، ويخبرها بصوت خفيض بأنها حامل ، وتسعد منى بالخبر ، فقد قرأت ما ساقته سميحة الزوجة السابقة لمصطفى من مبررات عن عدم إنجابها منه رغم مرور سنوات ثلاث على زواجهما ، بينما يتهاوى أحمد ، فَقَدْ فَقَدَ المقال ، ولابد وأن شكري بك سيلقنه درسا لن ينساه ، وتبدي منى عجبها واستياءها وهي تنظر

إلي أحمد مستغربة عدم مبالاته بالحالة الصحية لصفيه ، ولا حالتها المعنوية التي من الله بها عليها في لحظات هي أحوج ما تكون إلى عون الله فيها من أي وقت مضى ، كل ما يهمه هو المقال ، فماذا عن صاحبة المقال ؟ ألا تستحق بعضا من الاهتمام ؟ يا للرجال ! وتجحد سعيد بنظرة محذرة إياه من أن يكون كما هذه العينة ، لكن لا .إن سعيداً بشهامته وعفويته لا يمكن أن يفعل ذلك ، ويشعر سعيد بحجم الكارثة التي يعاني منها أحمد (فهو صحفي خايب) من وجهة نظر شكري بك ، فيهون عليه المصيبة :

- " لا تجزع يا أنشتا .. سأتولى أنا إخبار شكري بك بالموضوع .. ثم أنك لم تتعرف على الحاج وهدان والد صفيه ، وكذلك اخوتها وأبناء عمومتها .. "

وتولى سعيد مهمة التعارف بينهم ، بعدها استأذن أحمد حيث يجب أن يذهب إلى فيلا شكري بك ليقله معه إلى المجلة ، وما إن ذكر اسم شكري بك ، حتى تذكر الحاج وهدان منى ، وسألها إن كانت ابنته ، وذكر أنه منذ مدة طويلة لم يرهم ، وتذكرت منى أنه أقام عندهم فترة من الوقت منذ أكثر من ثلاث سنوات ، ولم تكن تعرف أنه والد صفيه ، لأنها لم تكن تعرف صفيه أصلا ، وهمست في أذن سعيد أن أباها وربما والدتها أيضا يجب أن يعلما بهذا الخبر ، حيث أن هناك صلة قرابة تربطهم بعائلة صفيه ، فطلب منها سعيد أن تتصل بهما تليفونيا ، فإن رغبا في الحضور فأهلا وسهلا .

وطأطأ الحاج وهدان رأسه بأسى ، وبدرت عنه زمجرة تنم عن حزن مختزن يحاول نسيانه ، ولكن الأيام لا ترحم ، فهاهي تعاوده بذكراها المؤلمة ، وحاول الجميع بمن فيهم أولاده وأولاد اخوته التهوين من تلك الأحزان ، ولكنه أبداً يلعن ذلك اليوم الذي أدخله فيه بيته ، وأخذ يذكر ويعيد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس " ، والحديث الشريف الذي يقول " إياكم وخضراء الدمن " والجميع في عجب ، عمن يتحدث ؟ ومن هذا الذي يلعنه ؟ ومن هي المرأة الجميلة في المنبت السوء المقصودة بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ والرجل لا يهدأ ، تارة يسأل ، متى يستطيعون الذهاب للاطمئنان على صفيه ؟ يريد أن يقبل رأسها علها تغفر له وتسامحه ، يصفعها بدلا من أن يأخذها في أحضانه ! تمد له يديها لتطفئ شوق قلبها

ونفسها ، فيطفئ فرحتها بسواد قلبه وحقده الذي عاشه ويعايشه ! وتارة ينظر إلى أبنائه وأبناء اخوته يلومهم ، هم السبب ، فقد أوغروا صدره ضدها ، وتارة يطلب الصفح من السيدة الفاضلة التي أحسنت تربية أبنائها ، فلا يصدر عنهم إلا كل ما هو خير ، ويعاود السؤال عن زوجته ، هل ذهب أخوهم ليستعجلها الحضور ؟ ومتى تصل ؟ ابنتها في حاجة إليها ، في شوق لها ، كما كانت المسكينة في شوق له .

آه .. يا لندمه ، ويا لقسوته ، ثم نهض فجأة ، ونظر إلى أولاده وأولاد اخوته ، وصرخ فيهم :

- " هم يا ولد إنت وهو ، ما رايدش أشوفكم ، انتو السبب ، تعالَ يا سعيد يا ابني وصلني للمحبوبة ، جلبي ما طايجنيش يا ناس.."

وأخذ يكرر هذه العبارات ، ومريم هانم تحاول أن تستبقيهم لما بعد طعام الإفطار ، لكنه شكرها بلطف وهو يستحث سعيداً ، ولم يتركه حتى تحرك بالسيارة متجها إلى المستشفى ، فقد كانت كلمات وتصرفات الرجل من الصدق والعفوية ، ما يجعل القلوب تتحرك رحمة به ، وشعر سعيد ببعض السعادة أن أخبرهم بنبأ الحمل ، فقد كان له أثره الحسن ، ولم تجد منى بداً من الذهاب مع سعيد ، الذي تعلقت عيناه بها يستجديها الذهاب معه ، وانطلق أولاد الرجل خلفهم بسيارتهم .

لمح سعيد شكري بك يركب إلى جوار أحمد أثناء قدومه إليهم ، فوقفت السيارتان ، وأخذ شكري بك الحاج وهدان بالأحضان ، فطلب الحاج وهدان منه مرافقته ، فالمسكين عقله سيجن ، يريد أحداً ليفضي إليه بهمومه ، ومن أفضل من قريبه وصديق طفولته ؟ واستجاب شكري بك ، فما كان يستطيع أن يرفض طلباً كهذا في وقت كهذا ، فطلب من أحمد أن يسبقه إلى المجلة ، ويصرف الأمور بها ريثما يحضر .

قال الحاج وهدان والألم يعتصر قلبه :

- " شفت يا شكري يا خوي إيه اللي بيحصل لينا .. "

وأراد شكري بك أن يهون عليـــه :

- " إيه يا رجل .. ما إنت زى الفل أهـــو .. بنــت زى الفــل صــلاة النــبي أحســن وأفضل عليها ، وجوزها والحمد لله ، بسم الله ما شاء الله ، نــاس كثــير قــوي يحســدوك عليـه .."

ومط الرجل شفتيه ، وهو يبسمل ويحوقل والكلمات تخرج ممطوطة مـــن بـين شـفتيه :

- " أنا ما أجصدش كـــده .."

وتساءل شكري بك بعجب ، وهو يمط الكلمات بنفــس الطريقــة :

- " أمال تجصد إيـــــه ؟ "

فهمس الرجل في أذنـــه :

- " ما تحاولش تبص وراك دلوكيت ، ولكن اعمـــل نفســك بتعمــل حاجــة كــده ، وبص للسيارة اللي ماشية ورانا وشوف مين فيها ، أنا أشــك إنهــا اللعينــة مــرة أخــوى الله يسامحه .. جابها وجاب معاها العار ، ومات وسابها لنا بالعـــار بتاعــه ، وأهــو جــاب لنا هو كمان العــار .. "

وتساءل شكري بــك :

- " إيه يا حاج وهدان .. عار .. عار .. من ساعة مــا عرفتــك وأنــت مــا مفيــش في حلجك غير العار العار .. الأمور والحمد لله على خير ما يـــرام ، وأهــو التشــنيع اللــي جالته مرة مصطفى الجديمة ، ربنا خيــب ظنــها .. "

ونظر إليه الحاج وهدان بغضـــب :

- " يا رجل .. اعمل اللي جلت لك عليه ، هـــي دي ســهير المرعشــلي والا لا ؟ .. "

وحاول شكري بك أن يستدير بحجمه الضخم الذي حشر بــه في الكنبــة الخلفيــة للســيارة الصغــيرة التي تجمعه مع الحاج وهدان ، بينما سعيد ومـــنى في الكرســيان الأماميــان ، لكــن الحاج وهدان أسرع ينهيه عن ذلك ، فهو لا يريدهــا أن تشــعر بأنــه لاحــظ تعقبــها لــه ، وفجأة أسرعت السيارة الخلفية ، ووقفت معترضـــة ســيارة ســعيد ، فــنزل ســريعا يوبــخ السائق ، الذي نزل من السيارة ووقف أمام سعيد يستعرض عضلاتـــه المفتولــة ، وقــد تحفــز في وضع الاستعداد لأن ينال من كل من تسول له نفسه أن يقـــترب بــالقول أو الفعــل مــن سيدته ، بينما خرجت السيدة سهير المرعشلي بعصبيـــة زائــدة عــن الحــد ، واتجــهت نحــو الحاج وهدان ، والشرر يتطاير من عينيها ، وسباها تســـــبق خطواهــا ، وكــادت تنــتزع أكره باب السيارة وهي تفتحه ، ليخرج منه الحاج وهدان والغضــب يكــاد يفقــده الســيطرة على تصرفاته ، فواجهته بصفاقـــة :

- " عايزة أعرف إنت مخبي ابني وبنتـــك فـــين .. ؟ "

لكن الحاج وهدان لم يعر كلامها أي انتباه ، وأسرع شاهراً نبوتـــه في صـــدر ذلـــك الســـائق الذي وقف أمام سعيد في حالة تحفز ، والمسكين رغم كل المواهب الـــتي يتمتـــع بهـــا ، إلا أنـــه لا يجيد أي فـــن من فنون القتال ، أو الدفـــاع عـــن النفـــس ، وزأر الرجـــل فيـــها قـــاصداً إرعابها ، وقال بصراخ يصـــم الآذان :

- " وخري العجل بتاعك ده عن ولد الناس الأشراف ، يا وليـــه يـــا عديمـــة .. "

وجذبه شكري بك قبل أن ينطق بكلمة يجرمه عليها القـــانون ، لكنـــه أكمـــل :

- " لكن الحج مش عليكـــي .. "

وقالت السيدة بطريقة مبتذلـــة :

- " خوفتني .. يا آم .. مهو شوف .. يا تقولي الواد ابني وديتــــه فــين ؟ يــا حــأوديك إنت وبنتك واسم النبي حارسه اللي إنت مخبيها عنــده في ســتين داهيــة .. "

ثم أكملت ، وهي تنظر إلى شكري بـــك :

- " تكنش مخبيهم عنــده .. "

واتجهت إلى شكري بك محاولة الإمساك به بطريقة مزرية ، لكن مــنى حــالت بينــها وبــين ذلك ، وقد وقفت في وضع اســتعداد لاعبــات الكاراتيــه مدافعــة عــن أبيــها ، وتعجــب ســعيد ، إنها المرة الأولى التي يعرف عنها أنها لاعبة كاراتيه ، وعــز عليــه أن تدافــع البنــت عن الرجال ، بينما هو يقف مذعورا أمام ذي العضلات المفتولــة ، الــذي بــدا وكأنمــا هــو حائط يحول بينه وبين ما يدور في الســاحة المجــاورة ، فقفــز ســعيد إلى جــانب خطيبتــه متخذا ذات الوضع الذي رآها فيه ، لكــن الســيدة الــتي كــانت لا تكــترث بمــا تــراه أشاحت بهما كأنما هما لعبتان مــن ورق :

- " والنبي تتلهي إنت وهــي .. "

ووجهت كلماتها للحاج ، وشكري بـــك :

- " وديتم أسامه فــين ؟ .. "

وتساءل شكري بــك :

- " من هو أسامه هــذا .. ؟ "

وتجاهلها الحاج وهدان تماما ، وهو يشرح لشكري بك من هــو أســامه هــذا :

- " فاكر المبيت عنـــدك كام أسبوع منذ أكثر مـــن ثـــلاث ســـنوات ، كـــانت صفيـــه تعاني من آلام خطيرة ، سببها لها هذا المدعو أســـامه ، ابـــن الحســـب والنســـب ، ابـــن الست سهير هانم المرعشـــلي " .

وانفجرت السيدة في ثورة عارمـــة :

- " وما هوش ابن عبد المعبود الدهشان يا حاج .. يـــا رجـــل اتقـــي الله ، لحـــد امـــتى حتشهروا بالناس وترموا المحصنـــات .. "

وتساقطت من عينيها كمية من الدموع تؤكد بهـــا صـــدق قولهـــا ، لكـــن الحـــاج وهـــدان عاجلـــها :

- " أعوذ بالله .. أعوذ بالله .. بس الحاج عبد المعبود نفسه هو اللي كـــان دايمـــا يجـــول كده ، وبعدين بجى .. اللي سواه مع صفيه بتي كان لـــــه العجـــب .. "

وتساءلت السيدة بـــبراءة :

- " هم مش كانوا مخطوبين لبعض وهم في اللفـــة .. ثم إن إيـــه اللـــي مضـــايقك ، هـــو ولازم يورث أملاك أبوه كلها ، وأنا كتبت له كل أملاكـــي اللـــي ورثتـــها عـــن جـــده المرعشلي باشا ، وكمان اللي أنا عملتها من فني وجـــهدي ، يعـــني بنتـــك حتبقـــى أغـــنى منك .. ده لو كنتم مش عايزين تعترفوا بيه ، علشان تكوشوا علـــى مـــيراث أبـــوه اللـــي مـــــات .. "

ونظر شكري بك في ساعته ، ونبه الحاج وهدان إلى أنـــه لابـــد لـــه أن يذهـــب إلى المجلـــة ، فركب الحاج وهدان السيارة وكأنما لا توجد سيدة تحادثه ، وكذلـــك فعـــل شـــكري بـــك ، وهم سائقها مفتول العضلات أن يهجم على الحاج وهـــدان ليخرجـــه بـــالقوة ريثمـــا تنتـــهي سيدته من حديثها معه ، إلا أنه توقف مذهـــولاً عندمـــا رأى أولاد الحـــاج وهـــدان يوقفـــون سيارتهم ، ويخرجون منها كأنهم جيش وهجموا عليه ، وأوسعوه ضربـــا لم يحصـــل علـــى مثلـــه

في حياته كلها ، حتى كأن عظامه كلها تئن ، فتوعدهم السيدة أنها وراءهم ولن تتركهم يغيبون عن عينيها ، وساعدت السائق ليركب السيارة بينما تولت هي القيادة ، وأسرع سعيد وأسرعت منى إلى جانبه ، وابتعد بسيارته عن ذلك المكان ، وكأنما يفر من الشياطين ، حيث بادرته منى معلقة على ما حدث :

- " هي الحكاية ناقصة ..! "

فنظر إليها سعيد نظرة حانية ، وكأنما يرجوها أن تنسى كل شئ ، ولا تفكر إلا فيما يخصهما ، وشكري بك يتجاذب أطراف الحديث مع الحاج وهدان ، عمن هو أسامه ؟ وما هي قصة هذه السيدة مع الحاج عبد المعبود أخيه ؟ وما علاقة صفيه هانم بكل هذا ؟ والكثير من الأسئلة التي كان الحاج وهدان يتهرب من الإجابة عليها بذكاء أهل الصعيد ، لكن على من ؟ على شكري بك الصعيدي أولا ، والصحفي العتيد ثانيا ، فبادره بدهاء :

- " طبعا إنت ما رايحش المستشفى .. طول ما الست دي وراك .. "

ورد الحاج وهدان بمكر :

- " طول عمرك تفهمها وهي طايرة يا شكري .. "

فنظر شكري بك إلى سعيد موجها إليه كلامه :

- " طب سوق بينا يا سعيد يا ابني على المجلة ، وأهي مني توصف لك السكة .. "

وأخذ شكري بك في محاورة الحاج وهدان ، محاولا الوصول إلى معرفة الحقيقة ، فالصحفي كوكيل النيابة ، يستشعر رائحة الأخبار الهامة عن بعد ، ولا يترك صغيرة ولا كبيرة ولا رجلا أو امرأة لهم علاقة بالخبر حتى يعرف كل شئ ، والحاج وهدان يتهرب

من الإجابة على أسئلته ، ويدخله في متاهات كـــادت تفقـــده عقلـــه ، وأخـــيرا أعلنـــها لـــه صراحـــــة :

- " ما هو شوف يا حاج ، موضوع الست دي لازم ينتهي ، إنـــت مـــش تجضـــي بـــآي عمرك هرب منها ، شوف هي عايزة إيــــه ، وخلصـــها .. "

وفتل الحاج شواربه ، وطلب من سعيد أن يوقف السيارة ، ثم نـــزل ليواجـــه الســـيدة الـــتي فتحت باب سيارها وهي همم بـــالخروج ، فبادرهـــا :

- " إنت عايزة إيـــه .. ؟ "

فقالت بتوســـل :

- " اعمل معروف .. ابني فـــين ؟.. "

وباغتها الحـــاج :

- " ما تسألي العجل اللي معاكي ده .. ما هو عـــارف كـــل حاجـــة .. "

وأجابت بمســـكنة :

- "سألته ، وقال انه ما يعرفـــش .. "

فقال ســـاخرا :

- " هو انتي مش كنت معيناه سائق خـــاص لبســـلامته .. "

ثم نظر إليه ، وجحده بنظرة جعلت السائق يبتلـــع الكـــلام :

- " إنت ما جلتش للست ليه يا ولـــد الفرجـــوط .. "

وزاغت أبصار السائق ، وحاول الخروج من السيارة وقد استولى عليه الذعر محاولا الهروب ، لكن الحاج شهر نبوته في صدره مرة أخرى ، وقد أظهر له هذه المرة أنه على استعداد أن يغرسه في قلبه ، بينما أولاد الحاج وأولاد اخوته التفوا حول السيارة وهم يظهرون الاستعداد لتكرار ما فعلوه سابقا ، بل ربما أكثر من ذلك ، فقد شعر أن السيارة تهتز به ، وكأنهم يريدون قلبها فوق رأسه ، فخرج منها بسرعة وركع يستجدي الحاج ، وينظر إلى السيدة سهير طالبا منها الرحمة ، ولم تجد السيدة بدا من طلب الشرطة من المحمول الذي معها ، بينما وجه الحاج نظراته إليه كالرصاص موجها إليه كلماته :

- " وإنت ما رحمتش أسامه ليه ؟ دليته على سكة المخدرات والإدمان والبلطجة ليه ؟.. "

وأخذ الرجل يوجه اتهاماته للسائق ، والمسكين لا يملك إلا نظرات الرحمة والغفران ، وعندما سمع صافرات سيارة الشرطة ، حاول الهروب ، لكن باقي العائلة كانت له بالمرصاد ، فغلب على أمره .

سأل الضابط عن صاحبة البلاغ ، ولما تقدمت منه السيدة سهير ، طلب منها شرحا موجزا للوقائع فسردت له ما حدث ، واتهمت الحاج وهدان بإخفاء ابنها ، وتعرض أبنائه للحارس الخاص بها ، فطلب من الجميع مستندات الهوية ، فقدم له الحاج بطاقته العائلية ، فسأله عن العنوان الذي يقيم فيه بالقاهرة ، وأجاب الرجل بكل سعة الصدر :

- " فيلا الخوجة باشا – بمصر الجديدة .. "

وحدد له الشارع والمنطقة ورقم الفيلا ، وأفاد بأنه نفس عنوان أولاده وأولاد اخوته ، وأخرجت السيدة سهير جواز السفر والبطاقة الشخصية ورخصة القيادة ، لكنه وبالرغم من ذلك سألها عن عنوان منزلها ، فذكرته ببعض الغيظ والغلظة ، بعدما أشارت إلى وجوده في الجواز والمستندات التي معه ، وأخيرا سأل الحارس عن اسمه وعنوانه ، إلا أنه لم يجبه ، فحاول مع السيدة سهير أن يعرف منها بياناته ، وتساءل عما إذا كان ابكما ،

وتعجب أنها لا تعرف له اسما ، ولكنها تناديه " جو " ، وأكدت أنـــه ليـــس أبكمــا ، ربمـا لا يعرف العربية ، فهو أجنبي إيطالي أو يونـــاني .

فسأله الضابط بالإنجليزية عن اسمه وعنوانه وجنســـيته ، ولم يجـب الســائق ، ثم تبـين أنـه ليس معه أية مستندات تثبت شخصيته ، فتركه دون عقاب ، مما كـــان لـه الأثـر الســيئ في نفوس الجميع ، حيث أنهم تعجبوا من أن الضابط لم يتخذ أيـة إجـراءات في حقـه ، وبـدأت التفسيرات التي تقول بأن ما يحدث في البلـــد مـــن إرهـــاب ينســـبونه للإســـلاميين ظلمـــا وزورا ، والحقيقة تؤكد وجود عناصر أجنبية وراء كل حـــادث ، وهـــذا الأجنـــبي الـــذي لـــه يد في اختفاء أحد المصريين بعد أن دله على طريق المخـــدرات والفســـاد ، الضـــابط يتركـــه ! ولا يهتم إلا بمكان سكنه ، لعلنا عدنا مرة أخرى إلى قوانين الامتيـــازات ، واكتفـــى الضـــابط بأن تحقق من أنه يسكن مع السيدة سهير في ذات العنـــوان وكأنمـــا هـــو يشـــير بذلـــك إلى أن مسئولية أمن البلاد ليست منوطة برجال الشرطة فقط ، فكـــل مصـــري مســـئول عـــن أمـــن مصر ، ولا يمكن أن يسمح مصري لأي أجنبي بالإقامـــة عنـــده ، أو حـــتى بوجـــود تعـــارف بينهما ، أن يفسد في مصر دون أن يتخذ الإجراءات اللازمة ، وأقلـــها إبـــلاغ الشـــرطة .

أمر الضابط أحد مساعديه بقيادة سيارة السيدة سهير حيـــث جلـــس الحـــارس الخـــاص بهـــا إلى جانبه ، بينما جلست السيدة سهير على الكنبة الخلفيـــة للســـيارة ، وطلـــب مـــن ســـعيد وكذلك أولاد الحاج وهدان بالسير خلفهم بينما الضابط والقـــوة الـــتي معـــه ، تســـير خلـــف السيارتين بعد أن همس في أذن الحاج وهـــدان وشـــكري بـــك ، بـــأن ذلـــك للتحقـــق مـــن شخصية الأجنبي الذي معهم أولا وقبل كل شـــيئ ، ثم والأهـــم التحقيـــق في بـــلاغ الســـيدة سهير عن تعرض الحاج وأولاده ، لها وللأجنبي بـــالضرب والســـب ، وهـــذا يســـتلزم عمـــل محضر في القسم ، وربما تحقيق نيابـــة .

تعجب الضابط من هذه الصدفة العجيبة ، إن وجـــه هـــذا الأبكـــم ضمـــن مـــن تطلبـــهم الشرطة ، المحلية أو الدولية لا يذكر ، وعلى ذلـــك لم يتجـــه إلى القســـم ، ولكنـــه فكـــر في اقتيادهم جميعا إلى وحدة البحث الجنائي ، فقد يجد عندهم حـــلا لهواجســـه ، وأثنـــاء الطريـــق ، تذكر أن العنوان المثبت في جواز سفر السيدة سهير قد وضع تحـــت المراقبـــة الشـــديدة منـــذ

فترة طويلة ، وأنهم يجمعون المعلومات عن ساكنيه ، وقد جاءهم بصورة عفوية ما يستلزم تدخلهم ، وربما يكون لذلك بعض الأهمية عند الرئاسة ، وفعلا .. شكره المسئولون ، وحصل على وعد بنصيب من المكافأة التي رصدها البوليس الدولي للقبض على هذا المجرم ، وأكدوا عليه أن يتعامل مع كل ما يخص هذا الأمر بسرية تامة ، ذلك أنهم بالرغم من الكم الهائل الذي لديهم من المعلومات عن نشاط هذه الجماعة ، إلا أنهم يحاولون الوصول إلى الرجل .. الرأس المدبر .

وتبين للضابط أن الشرطة المصرية تعلم أن هذا المتخفي في شخصية أبكم ، هو أحد كبار تجار المخدرات الدوليين الذي حير شرطة كثير من الدول باختفائه ، وكم كانت فرحة الضابط الذي قبض عليه وأحضره بهذه الطريقة التي لم يشعر بها أحد ممن معه بشيء ، وأخذ يمني نفسه بالمكافأة التي تنتظره ، وما إن تحقق له المراد ، حتى ذهب سريعا لينهي إجراءات صرفها ، وهو يحمد الله على نعمه ، فقد كان لا يدري كيف سيدبر أمر نفقات مشروع الزواج الذي أقدم عليه ، وجاءت المكافأة التي رصدتها الشرطة الدولية ، والتي كانت كبيرة بحجم جرائم هذا المجرم ، وكان يتضرع إلى الله أن يكون نصيبه منها ، ما يكفي مشروع زواجه ، وربما أكثر .

وزيادة في السرية ، صدرت الأوامر أن يجري التحقيق في بلاغ السيدة سهير ، وتتخذ الإجراءات الاحترازية ، بدعوى أن الأجنبي الذي معهم ليس لديه أية مستندات تثبت شخصيته ، فقامت الشرطة بتحرير المحضر ، واقتيد الأجنبي منفصلا لعمل فيش وتشبيه له .

تعجب الضابط الذي تولى التحقيق مع الأجنبي ، من الأسلوب الملتوي الذي يتبعه هذا المهرب ، وحاول معه بالحيلة والوسيلة وكل الأمور العادية أن يجعله يتكلم ، لكنه أبدا ، مصمم على أنه أبكم ، والبيانات التي أمامه تفيد إجادته للغات ثلاث على الأقل من بينها العربية بركاكة ، فأحضر الضابط المنشورات التي تطالب بالقبض عليه ، وبدأ في مساومته بين الزج به في السجن ومحاكمته ، والحكم في هذه الحالة لن يقل عن الإعدام ، وبين أن يتعاون معهم للإيقاع بالمسئول الأول عن عصابته ، وراوده الأمل في أن يهرب

بجرائمه من مصر ، فلا أحد يعرف تفاصيلها على وجه اليقين ، وبذلك قرر أن يتعاون مع الشرطة المصرية ، فأجاب على كل الأسئلة بخبث ، حيث بدأ بسرد العلاقة مع السيدة سهير المرعشلي :

- " كانت قد أعلنت عن تأجير الفيلا التي ورثتها عن أبيها ، فتقدم لها ال.. "

وهنا شعر بأنه كان على وشك إفشاء اسم الرجل الأهم ، فتظاهر بالسعال ، وكأنما السعال الذي أصابه فجأة ، هو الذي أوقفه عن الكلام ، ثم أكمل :

- " فدلنا عليها أحد السماسرة .. وقمنا بمعاينة الفيلا ، وسرنا أن بها سراديب كثيرة ، وممرات تؤدي إلى أبواب سرية ، وأنها تقع على شوارع أربعة ، وبذلك فإنه يمكن تحصينها وإحكام حراستها ، وتحويلها إلى قلعة ، ونضمن بذلك أن تكون مكانا آمنا لأعمالنا ، فقررنا شراءها أو استئجارها إن أمكن ، فالاستئجار أفضل حيث أنه يضمن لنا الهروب في أي وقت دون إمكانية تعقبنا ، ذلك أن الكثيرين من أصحاب الفيلات والشقق المفروشة أو غير المفروشة ، يفضلون إخفاء أمر إيجارها هربا من قانون الإيجارات ومن الضرائب ، لكن السيدة أعلنت أن الفيلا ستكون جاهزة بعد أربعة أشهر ، ريثما ينتهي ابنها من الامتحانات .

- وكانت فرصتنا الذهبية ، حيث يمكننا أن نتحايل بأسلوب أو آخر ، ونتمكن من القيام بأعمالنا في الفيلا خلال هذه الفترة دون علم منها أو من ابنها ، ودون شراء أو استئجار ، ونظرا لأنني مطلوب من الشرطة ، فإن هذه الفيلا تعد أفضل مكان للاختباء ، لذلك سعيت كي يتم تقديمي كحارس للست ، ومن معلوماتنا عنها أنها تطرب لكلمات الإعجاب ، فلا مانع من أن أغازلها ، فأجدت تمثيل دور المحب الولهان ، وشرحت لها كم أنا من أشد المعجبين بفنها ، وأنني أكن لها حبا كبيرا بالرغم من كبر سنها ، وأنني مستعد للعمل في خدمتها حتى أنعم بالقرب منها ، فقد كانت بالنسبة لي في شبابها حلمي الأكبر ، بجمالها الرائع الذي لا يمكن أن يقاوم ، وأن هذا الإعجاب لم ينته بالرغم من مرور كل هذه السنوات ، وأنني لا أطمع في

أكثر من أن أكون إلى جوارها خادما لها أسهر على راحتـــها وأهتـــم بشـــئونها ، وكنـــت لا أفتأ أعبر عن ذلك دائما ، بمناسبة وبدون مناســـبة ، وكـــانت الســـيدة تطـــرب لهـــذا الإعجــــاب .

- ولكنها لا تعلم أنني في الحقيقة أختفي من الشـــرطة بوجـــودي في خدمتـــها ، حـــارس خاص ، وكنت أخفي أنني من أصل غير مصري بالتظاهر بأنني أتلعثـــم في النطـــق ، وقـــد أتاح لي ذلك إمكانية إخفاء البضاعة في سراديب الفيلا الـــتي شـــيدها والدهـــا المرعشـــلي باشا ، أحد كبار الساسة في زمن الملك فؤاد ، وأنشأ بها عـــددا مـــن الســـراديب يكفـــي لسجن خصومه أو معارضيه ، وربما قتلهم وإخفاء جثثـــهم ، لقـــد جمعنـــا كـــل البيانـــات عن الفيلا وعن صاحب الفيلا قبل التفكـــير في اســـتئجارها أو شـــرائها ."

ونهره ضابط التحقيق بقسوة ، آمرا إياه أن يكف عن المراوغـــة ، فلـــن يفيـــده إلا الصـــدق ، فامتثل للأمر ، وأعلن عن استعداده للإرشاد عن الأماكن والأسمـــاء ، وكـــل شـــئ ، واشـــترط شرطان ، الأول التأكيد على عده شاهد ملـــك ، والثـــاني ألا يتـــم تســـليمه إلى الانـــتربول ، ولم يفته أن يؤكد علـــى أن السيدة سهير ليس لها علاقة بهذه الأمـــور وكذلـــك ابنـــها المدعـــو أسامه ، فقد أغرقوه في ملذات الجنس ، واختطفوا له حبيبـــة القلـــب الـــتي كـــانت ترفـــض الزواج منه لفشله في الدراسة ، وقـــد زاد الطـــين بلـــه ، رســـوبه في الامتحـــان النـــهائي في الجامعة ، وأصبح من المستحيل أن تقبل به زوجـــا ، إذ أنـــه بـــالرغم مـــن أنـــه أكـــبر منـــها بقليل ، إلا أنها تخرجت من الجامعة قبلـــه بعـــامين .

فطلب منه الضابط ألا يذكر شيئا عن اتفاقه معه لأحد ، أما عـــن نشـــاطه هـــو وعصابتـــه ، فلا يجب ذكره في التحقيق الذي سيتم معه أمـــام الحـــاج وهـــدان وأولاده وشـــكري بـــك ، عليه أن يدلي فقط بكل معلوماته عن أسامه وحبيبته الـــتي اختطفوهـــا لـــه .

وقد التزم بما طلبته الشرطة منه ، لكنه قبل أن يقص قصـــة اختفـــاء أســـامه ، طلـــب مـــن الضابط أن يبعد من ليسوا من العائلة ، فـــاكتفى الضـــابط بالحـــاج وهـــدان وأولاده وســـعيد والسيدة سهير طبعا ، وأبلغ شكري بك ومنى وأولاد اخـــوة الحـــاج وهـــدان بأنـــه ســـيجري

استجوابهم في مجموعة وقائع تخــص الاعتــداء ، وربمــا توصلــوا إلى معرفــة مكــان أســامه وزوجته ، وبدأ المدعو " جو " يقص وقائع لم يكن من الســهل تصديقــها ، والســيدة تســتمع والألم يعتصر قلبها ، والدموع تملأ مقلتيها ، والعجيــب أن الحــاج وهــدان واخــوة صفيــه ، كانوا هم أيضا يبكون بكاء مرا ولكن لكل منهم أسبابه في البكاء ، هــي علــى ابنــها الــذي فرمه القطار قطعا صغيرة ، وهم على صفيه التي ظلموها بينمــا هــي ضحيــة ذئــب بشــري سعران ، لم يراع حرمة الرجل الذي رباه بعد أن تخلى عنه مــن تدعــي الســيدة أنــه أبــوه ، ولم يراع الروابط الأسرية التي من المفترض أنها تربطه بصفيــه ولم يــراع ضمــيرا أو دينــا ، أو أي شــــئ .

وأمام هذا لم يجد سعيد بدا من استدعاء أخيه ما دام الأمــر يخــص زوجتــه ، بينمــا الحــاج وهدان يقتله الندم لمعاملته القاسية لابنته ، ويكرر نعت أســـامه بأنــه ابــن حــرام ، فثــارت عليه السيدة ســهير :

- " كفاياك بقى يا حاج .. أنا لست زانية ، وزواجــي مــن أخيــك علــى كتــاب الله وسنة رســوله ، والقسيمة عندي في الفيلا ، وأسامه ابنه ، مــن صلبــه ، ويمكــن عمــل التحاليل اللازمة للتحقق من ذلك ، والمسألة ليست صعبــه ، فــالعلم الحديــث يســتطيع أن يثبت ذلك حتى بعد الوفــاة .. "

فقال لها الحاج بحســرة :

- -"والله يا بنت الناس ، هذا الكلام اللي جالــه خــوي بعضمــة لســانه ، وهــو علــى فراش المــوت ، كنت فاكر إن رفضه إيــواء أســامه وتربيتــه معــه في دواره ، انتجامــا منك وغضبه عليك لطلاجك منه ، وكان دائمــا يجــول ، كيــف يــتزوج مــن ســت مرتات ، ولا واحدة منهم تخلف ؟ بالرغم مــن أنهــم بيخلفــوا مــن اللــي بيجوزوهــم بعده ، وتيجي بنت المرعشلي وتخلف ، الولد ده مــش ولــدي ، تــروح تشــوف مــين أبوه وتلزجهوله ، ولما لجيتك رمتيه وسبتيه وسافرت مع اللــي إنــت اتجوزتيــه ، توليــت أنا تربيته ، نوع من الشفجة ، لكنه عمــل زى الذئــب .. "

وقالت السيدة مسترحمة :

- " حرام عليكم يا عيلة الدهشان .. لا بد وأن أخوك الله يجحمه مطرح ما راح ، نسي إن الأطباء الذين عرض عليهم ، والعلاج الذي وصفوه له لزيادة نسبة الإخصاب عنده ، والأسلوب الراقي في الحياة ، وبعده عن الشاي اللي زى الزفت اللي كان بيشربه ، والحشيش اللي كان يوماتي ، والسهر للصبح ، كل الحاجات دي كانت السبب في عدم إنجابه ، وأنا قدرت والحمد لله أن أبعده عنها ، علشان كده جه أسامه ، أسامه ابنه ، والله العظيم ابنه ، وبعدين أنا حلزقه له ليه ! أنا عندي سيد سيده اللي كان يتمنى وما زال ، أن يكون له ولد مني بل ويفخر بذلك حتى ولو ما كنش من صلبه .. "

كان مصطفى يستعرض مع الطبيب نتائج التحاليل حيث كان يكتب لصفيه الوصفات الطبية التي تجنبها الضعف وسوء التغذية ، وتساعدها على حمل جيد ، وجنين قوى ، ورن الهاتف ، فأعطى الطبيب السماعة لمصطفى ، وسمعت صفيه الحديث ، وسمعت اسم سهير المرعشلي ، فهي تعرفها ، إنها والدة أسامه ، وشعرت بدوار حاد ، حالما جاهدت نفسها منه ، ولما وجدت مصطفى يهم بالذهاب إليهم ، أعلنت عن عدم رغبتها في البقاء في المستشفى ، ووجد الطبيب في كلماتها هذه ما يشجعه على طلب خروجها لإفساح المجال لغيرها الذين هم في حاجة أشد منها بكثير للغرفة ، وربما لسرير ، فتم ترتيب خروجها ، واستأذن مصطفى الطبيب في سيارة المستشفى لتوصل صفيه إلى الفيلا ، أما هو ومايسه فسيذهبان بسيارة أجرة ، لكن صفيه صممت على الذهاب معهما ، فهي لن تتركه في موقف كهذا دون أن تكون معه ، حيث إنها تعرف الأمور أكثر ، لأنها هي صاحبة المشكلة ، ولأنهم عائلتها ، والتفاهم معهم ليس بالسهولة التي يتصورها ، فهي منهم ، ومع إصرارها وافق مصطفى على اصطحابها ، وطلب من مايسه أن تجلس إلى جوارها في الكنبة الخلفية ، حتى تكون في خدمتها إذا تطلب الأمر ذلك .



فقد شعر أن السيارة تهتز به ، وكأنهم يريدون قلبها فوق رأسه ، فخرج منها بسرعة وركع يستجدي الحاج ، وينظر إلى السيدة سهير يطلب منها الرحمة

٢- الحقيقة الغائبة

قبل أن يدخلوا باب مقر الشرطة ، همس مصطفى لمايسة أن تتصل من المحمول الذي معها برقم هاتف أملاه عليها ، قال لها إنه يخص ضابط شرطة من العائلة اسمه "علي" وعندما طلب منها تسجيله ، تعجبت ، كيف نسي أنها تحفظ الأرقام من أول مرة ، وأضافت أن المحمول يسجل الأرقام التي يتم طلبها في حدود معينة ، فأراد أن يختبر ذاكرتها كنوع من أنواع المداعبة ، فالمسكينة ليس لها علاقة بما يحدث ، وهو يريد أن يخفف من حدة التوتر الذي قد يصاحب ما ستراه ، فإذا بها تردد أكثر من رقم هاتف قام هو بالاتصال بهم في حضورها ، سعد بها ، وتبادلا الابتسام ، وذكر لها ولصفيه أن وجود هذا الضابط مهم ، لذلك يجب الاتصال به في أي مكان قد يكون فيه ، وإذا لم تجده بالمترل فلتحاول أن تعرف كيف يمكنها الاتصال به ، ولتخبر كل من يرد عليها بأن عمه مصطفى يريده ، وتحدد له المكان ، وهو سيحضر حتما .

ما إن وطئت قدم مصطفى مكان التحقيق ، حتى سارع تاجر المخدرات ، المتخفي كحارس للسيدة سهير المرعشلي ، بالإشارة إليه متهما إياه بأنه المتسبب في قتل أسامه بن السيدة سهير المرعشلي ، وقبل أن يسأله ضابط المباحث عن وقائع ما حدث بالضبط ، كانت السيدة سهير المرعشلي قد أطبقت علي رقبة مصطفى ، وتضغط عليها بكل ما تملك من قوة ، محاولة الانتقام لابنها منه ، وأسرع الضابط محاولا تخليصه من يديها ولكن دون جدوى ، فقد استولت عليها غريزة الانتقام ، فتركزت في تلك اليدين المعروقتين ، وتشبثت برقبة مصطفى ، ومصطفى في وضع لا يحسد عليه ، فالخصم سيدة ، فلا هو بقادر علي تخليص نفسه منها ، ولا هو بمستطيع أن يلمسها باعتبارها سيدة ، لكن صفيه قفزت نحوها بسرعة ، ربما في نفس الوقت الذي تحرك فيه الضابط ، وأمسكت بها من شعرها فتبين أنه مستعار ، فسارعت بجذبها مستخدمة معها من الأساليب الحريمي ما أجبرها على ترك زوجها ، وتبادلتا نظرات تعارف من نوع خاص ، صفيه تزدريها ، وسهير تتوعدها ، ومصطفى يحاول أن يتذكر الرجل الذي

يتهمه بقتل أسامه ، بل هو يحاول أن يتذكر من هو أسامه ، فقــــد طــال الزمـــن علـــى تلـــك الوقائع حتى نسيها ، أو ربما يتعمـــد أن ينســـاها .

وجهت صفيه نظرات كلها كـــره وحقـــد لهـــذا الحـــارس ، وكلمـــا أســـعفتها ذاكرتها في استعادة المعاملة القاسية التي تعرضت لها على يديه ، كلما ازداد تحفزهـــــا ، ثم هجمـــت عليـــه توسعه ضربا وركلا وعضا ، وكل أنواع الأســـلحة الـــتي تتمتـــع بهـــا الســـيدات ، وهـــي في حالة هياج تام لا تدري معها ماذا تفعل ؟ فقد ســـيطر عقلـــها البـــاطن عليـــها ، فعـــادت إلى تلك الأيام والليالي السوداء التي قضتـــــها محتجـــزة في مكـــان مظلـــم ، يقـــدم لهـــا الطعـــام والشراب باحترام مزيف حالما كشر عن أنيابه ، ويهجم عليــــها هـــذا المدعـــو أســـامه محـــاولا اغتصابها ، وهذا الحارس يحاول تقييد حركتها ليمكنـــــه منـــها ، وهـــي تســـتميت في الدفـــاع عن شرفها ، وتتمنى لو أتيحت لها الفرصة فتنتقم من الاثنين ، أســـــامه وهـــذا الحـــارس .

وحاول مصطفى السيطرة على حركتها ، وهـــو يتلـــو كـــلام الله في أذنهـــا ، حـــتى هـــدأت تمامـــا ، وإذا بها تنخرط في بكاء حاد ، وتخـــرج منـــها عبـــارات الغضـــب الـــذي كتمتـــه في نفسها طوال هذه المدة ، تدعو الله سبحانه وتعالى أن ينتقم منهما ، لمـــا فعـــلاه بهـــا ، وأســـرع الضابط يستحثها أن تحكي ما فعـــلاه ، فعاد إليها رشـــــدها ، ووجـــدت نفســـها أمـــام هـــذا الضابط ، وهو غريب عنها بالمفهوم الإسلامي وما توارثته مـــن عـــادات وتقـــاليد ، فـــاندفعت تحتمي بمصطفى زوجها ، وتدفعه للخروج من الغرفـــــة ، وقـــد دفنـــت وجهـــها في صـــدره ، كأنما تخفيه خجلا ، وقد تسارعت أنفاسها ، وازدادت ضربات قلبـــــها وجميعـــها ينتفـــض مـــن الغضب أو من الخوف ، فقد خالت نفسها ما زالت في ذلك الجحـــــر الـــذي احتجـــزت فيـــه وقد انتزعوا من ملابسها الكثير ، وهي تجاهد لتحـــافظ علـــى عفتـــها ، وأدرك مصطفـــى مـــا يفتعل في وجدانها ، فأخذها وأسرع بهـــا إلى خـــارج الغرفـــة ، وأســـرع الضـــابط خلفـــهما ، وكذلك فعل الحاج وهدان ومايسه ، لكن مصطفى طلب من الجميـــــع تركـــها بمفردهـــا معـــه حتى يعيد إلى نفسها هدوءها ، فانسحب الجميع ماعدا مايســـــه الـــتي عـــبرت عـــن تلكؤهـــا باحتمال احتياج ماما صفيه لها في أمر مـــن أمـــور الســـيدات ، واقـــتربت مـــن صفيـــه الـــتي احتضنتها وقبلتها ، فذكرها مصطفى بطفلهما وأنـــــه لا يجـــب أن تنفعـــل ، وحمـــدا لله أن مـــا كانت تتمناه قد حدث ، ربما قبل الآن بأوان ، فقد مات أسامه ميتة شـــنيعة ، ربمـــا يكفـــر بهـــا

الله عن سيئاته ، وهذا السافل ، يقصد الحارس ، بين يدي الشرطة وسوف ينال جزاءه ، ولكن المشكلة أن هناك تحقيقا في الجرائم التي ارتكباها في حقها ، اختطاف وشروع في قتل ، وأمور أخرى ربما تفسر أسرارا كثيرة هو نفسه يجهلها ، فسألته محتدة :

- " ما قبل زواجي منك ، لا تحاسبني عليه ، فقد قبلتني زوجة دون أن تهتم بهذا الماضي ، فلا تسألني اليوم عنه ، وأرجوك أن تنساه كما أتمنى أنا أن أنساه .. "

وهدأ من روعها :

- " أتشكين في حبي لك ؟ لقد تزوجتك وأنت فيما هو أسوأ مما تتصورين ، ولكنه تحقيق الشرطة لمعرفة أمور كثيرة ، قد تكشف اللثام عن فضائح هذا الحارس وشريكه ، أو ربما شركائه في الجريمة ، وربما في جرائم أخرى .. "

وحاول معها إلى أن وافقت أن تدلي بما لديها للشرطة ، وبعد عودتها إلى غرفة التحقيق ، حاول الضابط أن يأخذ منها أية إفادة ، إلا أنها رفضت تماما ، فالمسألة ليست تحقيقا ، ولكنها سمعة وشرف ، ولا يمكن لها أن تفضي بتلك المعلومات ، فإنها كفيلة بأن تفضحها ، بغض النظر عن أنها كانت مرغمة ، أو أنها أكرهت على ذلك ، فما اتبعه معها هذان الذئبان كان أكبر بكثير من أن يحكى ، وهي زوجة وتحب زوجها ولا تريد أن تعرض هذا الزواج للخطر ، بل إنها لا تستطيع أن تحكي هذه الأمور لأي شخص كائن من كان ، ولا حتى زوجها ، فالخجل ، والشرف ، والكرامة ، وأشياء كثيرة ترسبت في أعماقها منذ طفولتها تجعل مجرد ذكر تعرضها لما هو أقل من هذه الأمور بكثير فضيحة ، لا يمكن لها أن تتحملها .

حضر الضابط "علي" وأسرع يطلع زميله على أمور تثبتها محاضر موقعة ومؤيدة بالمستندات ، فقد أعد تقريرا مفصلا عن كل شئ ، وبناء على تعليمات الرئاسة ، وللسرية المتناهية لم يثبت في سجلات الشرطة إلا ما يتعلق بواقعة مقتل المدعو أسامه تحت عجلات القطار ، كلما انتهت منه واحدة ، تبعتها الأخرى ، وكأنما هي الأقدار تذيقه

الموت جرعات ، كما هي جرعات العذاب التي مارسـها مـع تلـك المسـكينة ، أمـا عـن مصطفى ، فقد قام بما لا يمكـن لإنسـان أن يفعلـه في أي زمـان ، ولـولاه لكـانت تلـك المسكينة في عداد المـوءودات .

واستوقفت هذه الكلمة الجميـع ، وأولهـم صفيـه نفسـها ، وطـالبوه بالتفسـير ، لكـن مصطفى صمم على الصمت ، و "علي" يرفض الإفصاح عن أي شـئ تنفيـذا للقسـم الـذي ألزم نفسه به لمصطفى ، وتوسلت صفيه ، فهي لا تعرف شيئا عـن مسـألة الـوأد هـذه ، ولا تذكر إلا محاولات اغتصاب أسامه لها بمساعدة ذلك الكلـب المسـعور بـالداخل ، وتريـد أن تعرف المزيد عما فعله هذان الوحشان بهـا ، وكذلـك أصـر والدهـا ، وانضمـت إليـهما والدة أسامه ، الجميع يستحثون مصطفى أن يفسر هـذه العبـارات ، إلا أن مصطفـى انتـهز فرصة ذكر صفيه لوقائع محاولة اغتصابها ، فهمس في أذنها بشيء جعلـها تنتفـض مذعـورة :

- " ماذا ؟؟ إدمان !! حمـل !! "

وهدأ مصطفى من روعها ، لكن الضابط الذي يحقق مـع الحـارس الأجنـبي ، ألح في معرفـة تفـاصيل أكثر عن فترة وجودها في ذلك المكـان الـذي مارسـوا معـها فيـه كـل هـذه الجرائـم ، فقد يتوصلون إلى بعض الألغاز التي مازالت تحـير الشـرطة عـن اختفـاء الكثـير من الفتيات ، بينما أخرج "علي" تقرير الطبيب وقرأ بالعربية بعض مقـاطع منـه ، تفيـد أنهـا كانت تحقن بمواد مخدرة في غالب الظن أنهـا هـيروين ، وأنهـا حـامل في شـهرين ، وأنهـا تعاني من ضعف عام ، وحياتها وحياة الجنين معرضتـين للخطـر ، إذا قـامت بـأي مجـهود . وتذكرت صفيـه :

- " كان فيه دكتورة حلوة اسمها " باسمه " وكـانت تحقنـي بمقويـات ومـهدئات ، ولا أذكر شيئا غير ذلـك ، إلا وأنـا في مـنزل زوجـي مصطفـى ، وإلى جـواري طفلنـا شـريف .. "

ونادى الضابط مدام سهير ، وسألها عن المدعـــوة باسمـــه ، فأفـــادت بأنهـــا تعمـــل ممرضـــة بالفيلا ، فأصدر الضابط أوامره لضبطها وإحضارها ، لكـــن مصطفـــى ســـارع :

- " إذا كنتم تقولون بأن هناك بلاغات متكررة عن اختفاء فتيـــات ، فـأعتقد أنـــه قـــد يكون هناك الكثيرات من أمثال باسمه ، لذلك يفضـــل إحضارهـــا بشـــيء مـــن التعقـــل ، حتى لا يشعر باقي أفراد العصابة بالخطر ، ويتم إخفاء كـــل شـــئ .. "

وتداول الضابطان الأمر ووجدا أن ما قاله مصطفى هو عين الصـــواب ، كمـــا وأنـــه لابـــد من الحصول على موافقـــة الســـلطات العليـــا بمداهمـــة الفيـــلا ، ومـــرة أخـــرى اســـتوقفهم مصطفـــى ، فما دامت صاحبة الفيلا موجـــودة ، وهـــي لـــن تمـــانع في أن تقـــوم الشـــرطة بتفتيش الفيلا ، إلا إذا كانت شريكة لهم ، وقبل أن يكمـــل قاطعتـــه ســـهير ، موجهـــة إليـــه بعض السباب ، معلنة أنه ليس هو فقط الذي يظن نفســـه مواطنـــا صالحـــا ، إذ ربمـــا تكـــون هي أكثر وطنية من الموجودين في تلك الغرفة جميعهم ، وأخـــذت تعـــدد بعضـــا مـــن مواقـــف البطولة التي عاونت فيها الفدائيين مستغلة فنها ، تماما مثلما هن معظـــم بنـــات جنســـها مـــن الفنانات وغير الفنانات ، ثم وبعد هذا الـــدرس القاســـي في وطنيـــة وكفـــاح بنـــات جنســـها خلال فترة الاحتلال ، أعلنت موافقتها على تفتيـــش الفيـــلا ، وإمـــداد الشـــرطة بكـــل مـــا يتطلبه التحقيق من مساعدة فعالة ، فهي لا تعـــرف شـــيئا عـــن اســـتخدام هـــؤلاء الأشـــرار للفيلا ، وليست شريكة لهم في شئ ، ولا مصلحة لهـــا في أن يقبـــض عليـــهم أو لا يقبـــض ، وطلبت شهادة هذا المدعو جوبيتر ، الذي هز رأسه موافقا علـــى مـــا قالتـــه ، لكـــن الضـــابط قرر أن يأخذ إفادته كتابة ، وسجلها كاتب التحقيق وحصـــل علـــى توقيـــع جوبيـــتر عليـــها بعد ترجمتها إلى الإنجليزيـــــة .

وأضافت السيدة سهير بأنها لم تحضر من الخارج ســـوى اليـــوم الســـابق فقـــط ، وأخرجـــت جواز السفر الذي يثبت ذلك ، وأضافت بأنها زوجة لرجل أعمال تـــرك مصـــر منـــذ أوائـــل الستينات واستقر في لندن ، وأنها سافرت من القـــاهرة منـــذ أكـــثر مـــن ثـــلاث ســـنوات ، حيث عرضت الفيلا للبيع ، ووكلت ابنها أسامه في إتمام الإجـــراءات ، إلا أنـــه كـــان دائمـــا

يدعي أن السعر المعروض يقل كثيرا عن الثمن الحقيقي ، وأن هناك من يعرض أكثر وهو في الانتظار ، وطلبت إثبات ذلك في التحقيقات ، ثم توقفت فجأة لتتذكر :

- " الله .. إذا كان أسامه مات منذ أكثر من ثلاث سنوات ، أمال مين اللي كان بيكلمني في التليفون ؟ فيه حاجات مش مضبوطة بتحصل في الفيلا ، وربما خارج الفيلا كذلك ، ومش بعيد ، يكون فيه حد مراقبنا ، لذلك ، أنا أصر على تفتيش الفيلا وضبط هذه الأمور ، واسمحوا لي أن أطلب زوجي .. "

لكن الضابط وضع يده على الهاتف المحمول الذي معها ، قبل أن تطلب أحدا ، واصطحبها بعيدا عن جوبيتر وباقي الجماعة ، وسألها عن اسم الزوج وعنوانه في الخارج ، وإن كان له عنوان معروف في مصر ، ونظرا إلى أنها مثل معظم الزوجات التي في عمرها ، وبغض النظر عن أنها تدرك أكثر بكثير من غيرها لاشتغالها بالفن واطلاعها على الكثير من الأمور التي ربما لا تتاح للكثيرات من نساء مصر ، المتزوجات أو غير المتزوجات ، أجابت على أسئلة الضابط بكل سعة صدر ، بل وبتوسع وصل إلى رقم هاتفه النقال في مصر وفي لندن .

واتفق الثلاثة علي ومصطفى والضابط ، على أن تذهب السيدة سهير ومعها الحارس إلى الفيلا لإحضار باسمه ، بحيث يظهر الأمر وكأن شيئا لم يحدث ، وتكون قوات الأمن قد حاصرت الفيلا ، والمنطقة بأكملها ، وطلب الضابط من السيدة سهير أن تتقدم بمذكرة رسمية تحتويها شكوكها بأنها اكتشفت بأن هناك أغرابا قاموا بالاستيلاء على الفيلا خلال فترة تواجدها في الخارج ، وإدارتها في أمور ربما تكون غير مشروعة ، وتصرح للشرطة بالتفتيش ، وذلك كإجراء رسمي ، وكان لابد من التصديق على الخطة من السلطات العليا بالشرطة ، واتخاذ كافة الإجراءات التي تحول دون هرب الحارس الأجنبي ، أو أي من الذين قد يتواجدون في الفيلا . وقررت الرئاسة إرسال أحد ضباط المباحث في ملابس مدنية لأخذ الموافقة على خطة اقتحام الفيلا.

وأثناء انتظارهم الموافقة من السلطات ، رسمت لهم السيدة سهير كل الممرات السرية والدهاليز ، ونبهتهم إلى الكشك الصغير الذي بنى بجانب السور الخارجي للفيلا كما لو كان مخصصا للكلاب ، حيث يلاصقه باب صغير لا يكاد يرى ، قد أحكم إخفاءه ، بحيث يظهر كأنما هو جزء من السور .

أثار الحاج وهدان وأبناؤه أصوات احتجاج ، مما اضطر الضابط المكلف بالتحقيق للسماح لهم بحضوره ، فهمست السيدة سهير مغاضبة ببعض العبارات ، التي تبين منها الحاج وهدان أن ابنته تعرضت للوأد ، فألح وشاركه الجميع على مصطفى أن يطلعهم على تفاصيل قصة وأد صفيه ، وبعد تردد واضح ، بدأ مصطفى في سرد الحقيقة التي لا يعرفها أحد سواه ووالدته وكذلك الضابط علي ، وأخذ على الجميع عهدا وقسما ألا يبوحوا لأحد بما سيقوله ، مذكرا إياهم بأن الأمر يمس شرف زوجته ، الذي هو شرفه ، إلا أن ما قصه كان من البشاعة لدرجة لا يمكن تصورها ، فلم يصل الإجرام بأحد أن يكون بهذه القسوة :

- " تعودت أن أذهب صباحا إلى قبر والدي كلما أتاحت لي الظروف ، أصلي وأدعو له ، وتناهى إلى مسمعي همسا وحركة غير طبيعية صادرة من أحد المقابر المجاورة ، ولما لم يكن هناك مراسم جنازة ، فإن الأمر بالنسبة لي يعد غير عادي ، فقمت بالتسلل من مقبرة إلى أخرى ، حتى وصلت إلى مصدر الهمس ، ورأيت جثة ممدة على الأرض ، لكن ما يسترها ليس كفنا ، إنما هي كما لو كانت ملاءة سرير ، بالزركشة والرسومات والألوان التي تتميز بها تلك الملاءات ، واثنان يحفران مدخل المقبرة بهدوء ودون جلبة حتى استطاعا فتحه ورفع الحجارة الكبيرة التي تسده ، ولاحظت أن الجثة تتحرك ، وقد حملها أحدهما على كتفه ، وما هكذا تحمل جثث الموتى ، ثم وضعها في المقبرة بينما وقف الآخر يتلفت يمنة ويسرة ، وتعاونا لإعادة الحجارة الكبيرة التي تسد المدخل ، ثم أهالا عليها التراب ، وما أن انتهيا من ذلك ، حتى سارعا بالفرار بسيارتهما التي كانت تنتظرهما أمام باب المدفن ، حيث السائق يراقب المنطقة .

- وتمكنت من تسجيل رقم السيارة والموديل والماركة ، ونزلت سريعا أنقذ الشخص الذي حاولا وأده قبل أن يختنق ، أو أن يصاب بصدمة عصبية إذا استطاع أن يخلص نفسه فيكتشف أنه بين جثث أموات ، وما أن أخرجته ، وكشفت عن رأسه ، حتى فوجئت بأنها سيدة ، وهي في حالة يرثى لها ، فاقدة الوعي تقريبا ، ضعيفة جدا لدرجة الهزال ، ولا تردد سوى عبارات " منكم لله ، ربنا ينتقم منكم .. "

كان الصمت يخيم على الجميع ، وقد اغرورقت العيون بدموع غزيرة ، ولما وجد ضابط التحقيق أن ما يقصه مصطفى أثقل على الضمير البشري من أن يسمعه ذوي القلوب الضعيفة ، هدد بإخلاء الغرفة إلا من صفيه ووالدها ومصطفى ومايسه والضابط علي ومعهم سهير المرعشلي .

إن الصورة التي عرضها مصطفى كانت من البشاعة والقسوة بالقدر الذي لا يمكن لبشر أن يتصورها ، وأيا كانت الضحية ، فهي إنسان ، وقام الحاج وهدان بلهفة تكاد تصل لدرجة الجنون واحتضن ابنته التي ظلمها ، فدفنت المسكينة رأسها في صدره ، وصوت تشنجات بكائها يزيد من لوعة سامعي قصة وأدها ، وتوقف مصطفى ريثما تنتهي صفيه من بكائها ، ثم بدأ يسترسل في سرد الأحداث كأنما حدثت بالأمس ، ومايسه تتعجب من القسوة التي تصل إلى هذه الدرجة من البشاعة ، وضابطا البوليس يستمعان وهما يضربان أخماسا في أسداس ، أن يحدث هذا في ظل الأمن والأمان الذي يجب أن ينعم به خلق الله .

رشف مصطفى بعض الماء من كوب كان إلى جواره ، حتى دون أن يعرف لمن أو ما به واستحثه الجميع أن يكمل ، فقد توقف بهم عندما لا يستوجب الأمر التوقف فأكمل :

- " الحقيقة أنني بعد أن وضعتها في السيارة ، لم أعرف ماذا أفعل ، هل أذهب بها إلى الشرطة ، وأقص القصة ، وأسلمهم أرقام السيارة ومواصفاتها ، وعليهم الباقي ، أم أذهب بها أولا إلى الفيلا ، فأسترها ببعض الملابس ، وفي غمرة هذه

الحيرة ، فوجئت بصوتها الضعيف الواهن يستجديني أن أقتلها وأرحمها من العذاب الذي تعانيه والفضيحة التي سببتها لها ، ربما كانت تظنني واحدا منهم . ورأيت أنني لو ذهبت بها إلي أي مستشفى ، فإن ذلك سوف يستلزم إخطار الشرطة ، وهذا قد يزيد من عذابها ، فأخذتها سريعا إلى والدتي ، حيث قامت باللازم معها ، وأسرعت في طلب أحد الأطباء من الأقارب ، حيث قرر أمورا لم تكن في الحسبان ، وعلى كل كان لابد من إبلاغ الشرطة ، فرأيت أن أستعين بالضابط "علي" إذ أنه أحد أقاربنا وهو في منزلة ابني ، حيث قام بعمل محضر سجل فيه كل شئ ، وكذلك نتيجة فحص الطبيب والعلاج الذي قرره .. "

وتساءل الجميع في صوت واحد تقريبا ، عن تشخيص الطبيب ، فقال الضابط علي :

- " لقد قلت ذلك من قبل ، فقد قرر الطبيب أمران ، الأول أن السيدة حامل في شهرها الثالث ، والثاني أنها مدمنة مخدرات من النوع القاتل ، يعني هيروين ، وأنه لا يجب أن تتحرك لمدة شهرين على الأقل ، ريثما يمكن علاجها من الإدمان ، دون تعريض حياتها أو حياة الجنين للخطر .. "

وأخرج علي تقرير الطبيب من الملف الذي احتوى على جميع أوراق القضية ، وأطلع عليه ضابط التحقيق ، فاختطفته والدة أسامه ، وقرأته بالإنجليزية ، ثم أعلنت :

- " أسامه ، وقلتم انه اتفرم تحت عجلات القطار ، في ستين داهية هو واللي زيه ، لكن هناك طفلا من ابني ، أين هو حفيدي هذا ؟ أرجو ألا تكون هناك قصة أخرى من قصصكم تحيكونها لأفقد حفيدي أيضا ، كما أرجو أن تتخذوا إجراءاتكم بسرعة ، قبل أن يفلت المجرمون من العقاب ، وأرجو أن تتحققوا من أنه لا يوجد من يتعقبنا ، فقد لاحظت حركات غير طبيعية منذ أن حضرت ، فقد تلكأ هذا الحارس بشكل غير طبيعي عندما طلبت منه أن يوصلني إلى محطة قطار الصعيد ، لأذهب إلى ابني أسامه حيث أفادني هذا الحارس أنه عند أهله هناك ، ولاحظت كما لو كان يتحدث بالإشارات إلى من لا أراهم ، كما أنني لاحظت اتجاهه نحو

التليفون ربما كـان يـود اسـتخدامه ، ولكـني لم أمهلـه ، والآن وبعـد أن اتضحـت الصـورة ، أرجو أن تسرعوا قبل أن يهرب أعوانه ، فما حـدث لم يكـن يتوقعـه أحـد منهم ، حيث كان من المفترض التوجه إلى محطة قطـار الصعيـد ، لكـني رأيـت الحـاج وهدان في سيارة ، فأمرت ذلك الحارس أن يتبعها ، ثم حدث له ما حـدث علـى أيـدي أبناء الحاج وهدان ، وقد حاول الهرب عندما سمـع صفـارة الشـرطة ، لذلـك ، فـإن الأمر يحتاج إلى حكمة في مداهمة الفيلا ، وهذا لا يتـأتى إلا إذا أسـرعنا بهـدوء .. "

وقاطعها ضابط التحقيق ، وهو يصور ما قالتـه علـى أنـه خيـال فنـان ، أو مـن تأثـير مشاهدتها لكثـير من الأفلام والمسلسلات البوليسـية ، وربمـا لبعـض مـا قـامت هـي نفسها به من أدوار فنية ، لكن مصطفى طلب منه مراجعـة أسمـاء المبلـغ عـن اختفائـهن ، ويحضر صور كل من كان اسمـها " باسمـه " لعـل صفيـه تسـتطيع التعـرف علـى واحدة منهن ، فإن كان الأمر كذلك ، يصبح كل ما قالته هذه السـيدة هامـا ويجـب عـدم إهماله ، خاصة وأن السيدة ذكرت أن ابنها أسامه كان على اتصال دائـم بهـا حـتى سـاعات قليلة قبل حضورها ، وعندما حضرت ، والشك يساورها ، أفادها هـذا الحـارس ، أنـه عنـد أهله في الصعيد ، وحمد الله أن الأحداث وقعت على هذه الصـورة ، لأنهـا تؤكـد أن حيـاة السيدة سهير نفسها في خطر ، فأسـرعت السـيدة بطلـب أحـد الفنـادق وحجـزت فيـه جناحـا ، وطلبت حماية الشرطة لهـا .

تساءلت صفيه عن حفيدها هذا من يكـون ؟ وإذا بالسـيدة تنـهي حديثـها مـع الفنـدق سريعا ، وتقول لها بعصبية واضحـة :

- " ابن سعادتك يا نور عيني .. إنت سمتيـه إيـه ؟ "

وكاد يصيب صفيه الدوار ثالثة ، وهـي تـردد :

- " ماذا ؟ شريف .. يبقى حفيـدك !! "

وسارعت تخرج من الغرفة ، وألقت بجسدها على أقرب كرسي ، وهـي تعجب مـن كـل ما يحـدث ولم تتركها مايسه ، بينما هرولت منى إليها بمجـرد أن لمحتـها ، وظلـت الاثنتـان يواسيانها ويحتضناها ، لم تشعر بمن حولها ، هي تحاول أن تتذكر كيـف ومـتى ؟ لقـد دافعـت عن شرفها بكل ما تملك من قوة ولم تمكن هذا المسـعور مـن الاقـتراب منـها ، لا هـو ولا غيره ، فكيف استطاع انتزاع شريف منـها ، شـريف .. ليـس ابـن مصطفـى ! وكيـف يتحمله مصطفى بكل شقاوته التي تصل إلى درجـة التدمـير في كثـير مـن الحـالات ؟ بـل ويأخذ له حقه من ابنتيه مريم ومها ، ويجلسه على رجليـه أثنـاء الطعـام ، ويطعمـه بيـده ، مهما كان منهكا أو تعبـا .

من مصطفى هذا ؟ إنه ليس بشرا ! كيف يحمل كل هذه الإنسانية في قلبـه ؟ يـتزوج مـن امرأة يلتقطها من الشارع ، لا إنه لم يلتقطها من الشارع ، ولكـن مـن المقـبرة ، شـبه ميتـه حكم عليها بالموت وأدا ، ينقذها ويعالجها ويخفي مأسـاتها عـن أهلـها ، ويتزوجـها !! لقـد كانت تشعر نحوه بشيء غير طبيعي ، فحبها له لم يكن كحب الأنثـى للرجـل ، كـانت تظـن أنه أنقذها من زنزانة عذاب أسامه فقط ، وهبت حياتهـا كلـها لـه ولابنتيـه اللتـين كـانت تظن أنهما منها ، لولا حضور زوجة مصطفى السابقة ، لتعلن أنهما لهـا ، ولـمن كـانت تظنـه ابنه منها لتكتشف اليوم فقط أنه ليس ابنه ، وكذلك لعائلتـه أمـه وأخيـه ، سـره لا تطلـع عليه أحد ، حتى ولا لأقرب المقربين إليه ، وطلباته أوامر ، لا تفرط في أي مما قـد يعـد حقـا من حقوقه ، حتى ولو كان على حساب راحتـها وصحتـها ونفسـها ، وربمـا روحـها لـو تطلب الأمر ذلك ، لقد عرفـت مـن يكـون بإحساسـها الداخلـي دون أن تعـرف هـذه التفاصيل المخزيـة .

استطاع الكلب المسعور أن يصل إليها ، كيـف ؟ لا بـد أن السـر يعرفـه هـذا الحـارس السافل ، وتلك العاهرة المدعوة باسمه ، أنى لهـا أن تتمكـن مـن رقبتيـهما فتنـهش فيـهما بأظافرها وأسنانها ؟ أين لها بهذا المدعو أسـامه ؟ تعيـده إلى الحيـاة وتفرمـه في مفرمـة مـن مقاسه ، وتعيده مرة أخرى ، وتفرمه ، وهكذا حتى قيـام السـاعة .

وأخفت وجهها خجلا من نفسها وهي تتساءل عن ماذا لو كان هذا الحارس السافل قد شارك .. أو اطلع .. أو رأى .. ؟ يا ويلها ! مصطفى يقول إنها كانت في كفن عبارة عن ملاءة سرير ، ولا يسترها إلا القليل ، لا بد وأن هذا السائق السافل رآها حيث لا يسترها إلا هذا القليل ، وإذا كان النذل أسامه سمح له بهذا فربما يكون قد سمح له بما هو أكثر من هذا .

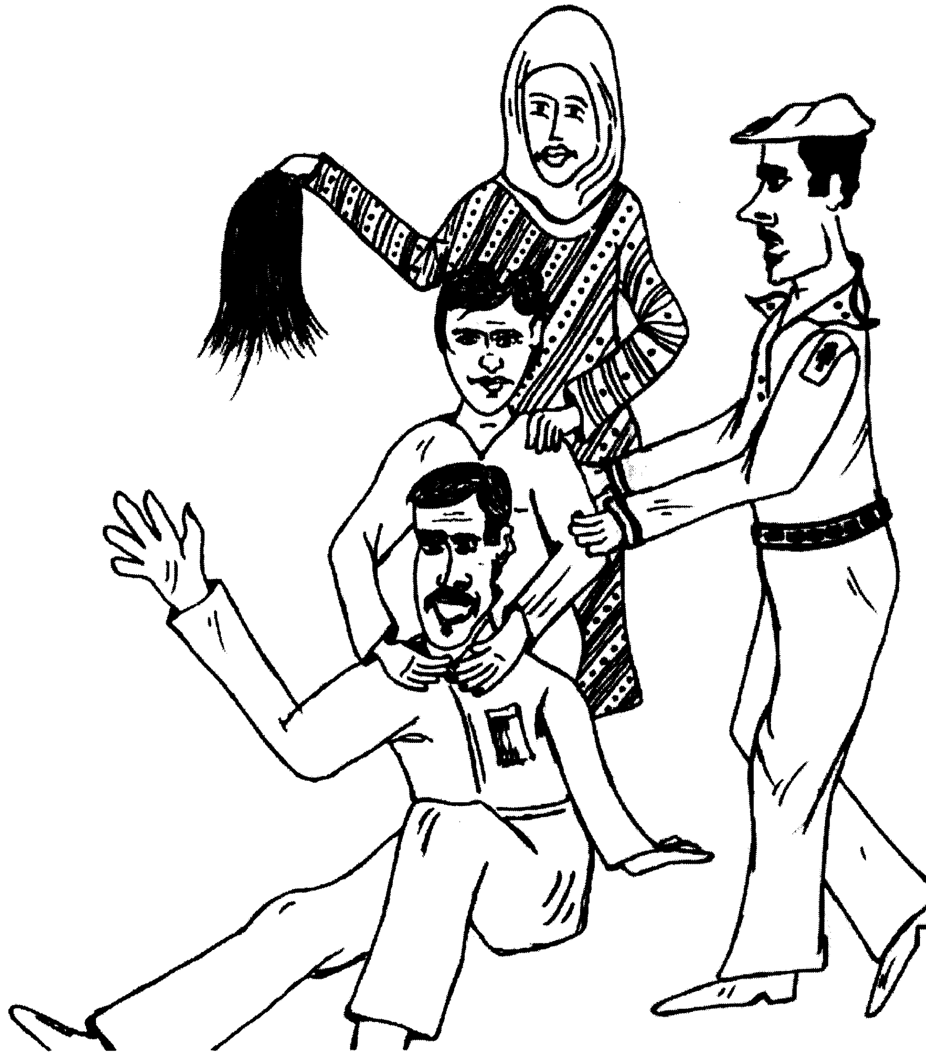
وبدأت تضرب نفسها ، وتلطم وجهها ، وعلى وشك أن تقطع شعرها وتسقط الحجاب الذي يحجبه عن الناظرين ، لكن مصطفى أسرع إليها ، وأومأ إلى مايسه ومنى أن يتركانه معها ، فقام باحتضانها وأخذ يهدئ من روعها ، وهي تهذي بما يدور في خاطرها بمهمات غير مفهومة ، تماما كما تفعل سيدات مصر اللاتي لم يصبن حظا من التعليم عندما يتعرضن لمصيبة من المصائب ، ومصطفى يهمس في أذنها ببعض آيات الله ، وببعض التسابيح ، ثم ذكرها بما سبق أن قالت ، أن ما حدث قبل زواجها منه لا تحاسب عليه .

لكن ما ذنبه ؟ كانت تظنه احتجازا ومحاولة اغتصاب ، أما أن تطارده هذه الصور الكئيبة ، إنه كابوس ، أن يتصور زوج أن لامرأته ماضيا كهذا ، لكن مصطفى طمأنها هامسا بأنه تم عقد قرانها على أسامه قبل وفاته ، وشريف ابن شرعي من أسامه وهذا مثبت في شهادة الميلاد ، كما أنه لم يشاركها فيه أحد ، فقد تم الحصول على اعتراف أسامه كاملا ، وقام بتسجيله انتظارا للحظة كهذه إذا أرادت أن تسمعه ، وأن كل ما حدث لها قبل وأدها ، مصطفى يعرفه كاملا ، وقد تزوجها وهو يعرف كل هذه الأمور ، فلا يوجد ما تخجل منه .

عاد ضابط المباحث بعد قليل ، وقد حصل على موافقة السلطات العليا على الخطة ، مع اعتبار العملية كلها في منتهى السرية ، وأحضر معه صور كل من أبلغ عن تغيبها عن منزل ذويها ، واسمها باسمه ، وفي سن يتناسب مع سن المدعوة باسمه ، وقام بعرض الصور على صفيه ، ولم يطل الأمر فقد تعرفت على إحداها ، وأكدت السيدة سهير ذلك ،

ليكتشف الجميع أنها ابنة أحد أساتذة الجامعة المعروفين ، وأنها متغيبة منذ أكثر من ثلاث سنوات ، وأنها كانت طالبة نجيبة في السنة النهائية من كلية الطب .

كان لابد للشرطة من إبعاد مصطفى عن الموضوع ، فهم لا يريدون لأحد أن يعرف أنهم كانوا يراقبون الفيلا ، وأن العصابة كانت تحت مراقبة دقيقة ، منذ أن قدم لهم الضابط "علي" كل البيانات والمعلومات التي لديه ، والتي تؤكد اختباء المدعو "جوبتر تابليانو" فيها ، فقد تصادف أن الضابط "علي" كان ضمن المجموعة التي تتعاون مع الإنتربول ، ويعرف كل المشتبه فيهم ، والمطلوبين للبوليس الدولي ، لذلك وبمجرد الحصول على الأوامر ، قامت الشرطة فورا بمحاصرة الفيلا ، وكذلك المنطقة بكاملها ، وتم قطع خطوط الهاتف عن الفيلا .



سارعت سهير نحو مصطفى ، وأطبقت يديها حول رقبته ، وأسرع الضابط محاولا تخليصه منها، إلا أن صفيه قفزت نحوها ، وأمسكت بها من شعرها ، فتبين أنه مستعار

٣- المداهمة

جلس أحد الضباط في دواسة سيارة سهير هانم ، ومسدسه مصـــوب نحـو الحـارس الـذي تولى قيـادة السيارة ، بينما جلست السيدة ســهير في الكنبـة الخلفيـة ، وعندمـا اقـتربت السيارة من الفيلا أعاد الضابط تعليماته للسائق بأنه إذا صدرت عنـه أيـة تصرفـات يشـتبه فيها ، فسوف يتم قتله فورا وأن الفيلا والمنطقة كلها محاصرة ، فلا أمـل لـه في الفـرار .

وفتحت الأبواب بحركات استعراضية ، لا تتناسب مع ما يقـوم بـه بوابـو الفيـلات مـن أبناء مصر ، وقد تعمد فاتحوها إضفاء عناصر الأبهة والعظمة للســيدة سـهير ، مـع الانحنـاء الخفيف الذي يدل علـى التبجيـل ، وعندمـا حـاول أحدهـم أن يمـد عينيـه إلى داخـل السـيارة ، أسرع بإبعاده ضابط آخـر متخـف في ملابـس كمـا هـي ملابسـهم ويعمـل معـهم ، حتى لا يلمح الضابط الذي قبـع في دواسـتها .

وقدمت باسمه قمرول نحو سيدقا سهير هانم ، ففتحت لهـا البـاب ، وكـادت تتسـمر في مكانها عندما رأت الضابط وقد صوب مسدسـه نحـو السـائق ، ثم وجهـه نحوهـا وهـو يأمرها بأن تتصرف بصورة طبيعية ، ولما لاحظ اصفرار وجهـها ، والرجفـة الـتي صـاحبت تصرفاتها ، أراد أن يهدئ من روعها ، فقـال لهـا :

- " إيه يا ستي باسمه ، كلية الطـب موحشـتكيش ، ولا بابـا ومامـا واخوتـك ، ولا زملائك وزميلاتك وصديقاتك ، ولا حتى عبد الحميـد خطيبـك .. "

وكادت أن تصدر منها صرخة دهشة أن الضابط يعرف كل شـئ عنـها ، لكـن الضـابط نبهها أن تتصرف بصورة طبيعية جدا ، ريثمـا يسـتطيعون القبـض علـى هـذه العصابـة ، بمساعدتها طبعا ، وأفهمها بأنهم على علم بكل شـئ ، وأنهـا مجـني عليـها تمامـا كمـا هـي صفيـه . فقاطعته باسمه حيث أضافت وقد استولت الدهشـة علـى كيانهـا عندمـا سمعـت باسم صفيـه :

- " إن هناك الكثـــيرات ممـــن اختطفتـــهن العصابـــة وســـخرقن لأهوائـــهم وللعمـــل معـــــــــهم .. "

فطلب منها الضابط أن تصحب السيدة سهير وكأنمـــا ألمـــت بهـــا وعكـــة صحيـــة اضطرتهـــا للعودة ، ولتنتظره في بهو الفيلا ، بعدما يكون المهيمنون على العمل قـــد تجمعـــوا حولهمـــا .

لكي تتمكن الشرطة من جمع المعلومات عن الفيلا ومن فيها ، قـــامت بـــدس مجموعـــة مـــن العناصر بينهم ، يعملـــون في أعمـــال مختلفـــة ، ويتخفـــون في ملابـــس الخـــدم والبوابـــين ، وأفادت باسمه الضابط بأنه ليس هناك مهيمنون علـــى العمـــل ســـوى هـــذا الســـائق ، وبعـــد تردد ، أضافت بأن هناك كثيرون يعملـــون في ســـراديب الفيـــلا العديـــدة ، وأن هنـــاك بابـــا سريا خلف الفيلا يستخدمونه ليلا في تصريف أعمالهم وبضاعتـــهم ، لقـــد حـــاولت المســـكينة مرارا أن قمرب ، لكن جميع المنـــافذ مغلقـــة ، فـــالبوابون والخـــدم كلـــهم مـــن العصابـــة ، والحراسة مشددة في كل مكان حتى أسطح الفيلا ، وربما أســـطح الفيـــلات المجـــاورة أيضـــا ، فهي كثيرا ما كانت تلمح من يقـــف متلصصـــا فـــوق ســـطح إحـــدى الفيـــلات المجـــاورة ، وعندما تدقق النظر ، تكتشف أن هناك ســـلاح يختفـــي تحـــت الملابـــس ، وأضـــافت بـــأنهم منظمون بشكل قد يكون أكثر مـــن أي جيـــش .

كانت باسمه بناء على أوامر الضابط ، تتحدث وهـــي تخـــرج الســـيدة ســـهير بهـــدوء مـــن السيارة ، وكأن عملها هذا عمل عادي جدا ، باعتبارها علـــى درايـــة بـــالطب ، مـــع ســـيدة تعاني من وعكة صحيـــة ، فأسرع البوابون والجنايني الذيـــن دســـتهم الشـــرطة بـــين أفـــراد العصابة لمساعدة باسمه في حمل الســـيدة ســـهير إلى داخـــل الفيـــلا ، وكـــانت الشـــرطة قـــد عمدت إلى جعلهم يتخفون في ملابس تجعلهم يبـــدون كمـــا المجرمـــين ، كمـــا قـــاموا بتغيـــير ملامح وجوههم ، وكذلك تم إعداد هويات جديـــدة لهـــم ، كمـــا تم إدراج ملفـــات خاصـــة بهم كلها إجرام ، وزودوا بمستندات تثبت دخولهم السجن ، وذلـــك حـــتى يقتنـــع المـــهيمنون على تلك العصابة بقبولهم للعمل معهم . وبناء على تعليمات الضـــابط كـــان لا بـــد للســـائق من الخروج والمساعدة ، فمن غير المعقول أن يتجمـــــهر الجميـــع لمســـاعدة الســـيدة ســـهير ، ويبقى هو في كرسيه أمام عجلة القيـــادة ، ثم تســـلل الضـــابط مـــن دواســـة الســـيارة بـــين

المتجمهرين ، حيث قام رجال الشرطة المندسين بينـــهم ، بإبعـاد كـل مـن يمـت للعصابـة بصلـة ، بينما أصدر أوامره لاثنين من رجال الشرطة بالتوجه فورا للقبـض علـى كـل مـن يشتبه فيه بالمنطقة وعلى وجه الخصـوص ، مـن هـم فـوق أسـطح الفيـلات والعمـارات المجاورة ، وقام بتحذيرهم من أنهـم مسـلحون .

وتمت السيطرة على الفيلا تماما ، وتم القبض على جميع من فيـها ، جنـاة أو مجـني عليـهم ، بينما بدأ رجال الشرطة في التقاط كـل مـن قـدم إلى المنطقـة خـلال الفـترة السـابقة ، والعجيب أن المواطنين كانوا يظنونهم مـن الشـرطة ويعرفونهـم بأسمائـهم الحركيـة طبعـا ، ونعوا على أنفسهم الغباء والجهل في عدم معرفة حقيقتهم ، إذ أن مـا كـانوا يقومـون بـه لا يمكن أن يصدر عن رجال شرطة أو حتى مواطنين شرفاء ، حيـث إن هـؤلاء الغربـاء كـانوا يعلنون عن أنفسهم ، بالأسلوب الذي يتعرضـون بـه للمواطنـين لمـا كـان يصاحبـه مـن استفزاز سلطوي من نوع غريب ، وكثيرا ما حاول بعضهم التصـرف مـع النسـاء بطريقـة فيها خدش للحياء ، لكن البوابين والخدم المصريين كانوا يقفـون لهـم بالمرصـاد .

تعاون المواطنون مع رجال الشرطة الحقيقيـين (وذلـك بعـد التحقـق مـن شـخصياتهم) وقاموا بإرشادهم إلى أفراد العصابة المنتشرين في المنطقة ، وقـامت الشـرطة بالإمسـاك بهـم ، وقد كانت سابقة لم تخطر على بال أحد ، أن يصـل التخطيـط بمجموعـة مـن الأشـقياء أن يبسطوا نفوذهم على إحدى المناطق بوسط القاهرة بهـذه الصـورة .

وبمجرد وصولهم إلى مقر الشرطة بدأ التحقيق مع الجميع ، وتم عـرض المدعـوة باسمـة بـين مجموعة الفتيات اللاتي تم إحضارهن من ذلك الوكر علـى صفيـه حيـث أسـرعت تمسـك بتلابيب المدعوة باسمه وتمنعها حـتى مـن لهفتـها للبحـث عـن أبيـها وأمـها ، وأرغمتـها للاعتراف لها بما إذا كان هناك من اعتدى عليـها مـن هـؤلاء المجرمـين ، وفي بـادئ الأمـر ظهرت علامات الفزع والخوف على الفتاة عندما رأت صفيـه أمامـها حيـة تـرزق ، فقـد كانت تظن أنها ماتت ودفنت ، فأخذت تتحسسها حـتى تتـأكد مـن أنهـا صفيـه وليسـت شبيهة بها ، ثم حاولت أن تعرف كيف عادت إلى الحيـاة بعـد أن ثبـت لهـا أنهـا توفيـت ، وتأكدت من أنهم قاموا بدفنها ، لكن لهفة صفيه على معرفة الإجابـة علـى سـؤالها ، جعلـها

تتلكأ في الإدلاء لها بما حدث ، وبدأت باسمه تنتقي عباراتها بدقة كي تصيغـــها بالطريقـة الـتي يطيب بها خاطر صفيه ، وأخيرا قـالت هامسـة :

- " اطمئني يا صفيه ، لم يكن سوى أسامه ، ولم يسـتطع الوصـول إليـك إلا بعـد أن تم تخديرك تماما ، وأرجو أن تغفري لي ، فالحقن التي كنت أحقنـك بهـا لم تكـن سـوى مخدرات ، وغذاء صناعي ، وذلك بعد أن رفـض جسـدك بتلقائيـة عجيبـة تنـاول أي طعام ، حتى وأنت تحت تأثير المخـدر .."

وعندما أشارت صفيه إلى السائق ، قـالت باسمـه :

- " هذا .. لقد كانوا يقولون عنه إنه " شاسيه " فقـط ، ليـس لـه في النسـاء ، ثم إن أسامه كان يحبك جدا ، ولذلـك لم يسـمح لأحـد أن يقـترب منـك ، ولكنـه أمـام مقاومتك الشديدة وعنادك حتى وأنت تحت تأثير المخـدر ، أظـهر " جوبـتر" شـهامته ، وتطوع بتقييد حركتك ، فقد كان كل ما يرجوه هو الحصول علـى إربـه منـك .."

وبعد فترة صمت قصـيرة :

- " أتعلمين يا صفيه .. لقد قال أسامه لك في لحظات اختلائه بـك مـا لم يقلـه قيـس ولا روميـو ، ولا كـل حبيبة هذا العصر والعصور السابقة ، ليتـني أجـد مـن يحبـني جزءا من حب أسامه لـك .."

فعلقت صفيـه :

- " ويختطفك .. ويطلع هذا "الجوبتر" عليك ، ثم يلقـي بـك في مقـبرة وأنـت علـى قيد الحيـاة .. "

ودهشت باسمـه :

- " ماذا ؟ لقد كنت فارقت الحياة ، لقد تحققت أنا مـن ذلـك .."

فقالت صفيه ســـــاخرة :

- " عليك أن تراجعي دروس الطب التي تدعين .. من الواضح أنك قـــد نســيتيها مــع الكثير من الأمور الأخـــــرى .."

فأطرقت المســكينة ، وألقــت بوجهــها ورأســها نحــو الأرض ، والدمــوع تتســاقط مــن عينيـــــها ، تطلب من صفيه أن تغفر لها ، فقد كانت مجبرة علــى كــل مــا فعلتــه معــها أو مع غيرها ، لكن عزاءها الوحيد أنهم جميعــا لم يكونــوا رجــالا ، فقــد أنهــى المخــدر كــل مقومات الفحولة عندهم ، وأن جميع الفتيات عذارى ، لكـــن صفيــه فاجأتهــا بأنهــا كــانت حامل ، وتعجبت باسمه ، لكنها اســـتدركت :

- " لقد أقلعت عن الإدمان بعد لحظة اختــلاء مــع النفــس ، وتدبــر لمــا أنــا فيــه ، وحاولت مع أسامه ، ولعله استجاب .. فقد كـــان في بداياتــه .."

ثم اســـــتدركت :

- " لكن .. أين أسامه ..؟ لقد كنا نظنـــه في الصعيـــد .."

وقبل أن تجيبها صفيه ، لمحت باسمه والديها وعيونهمــا تكــاد تفتــش في كــل الوجــوه بحثــا عنها ، واللهفة التي في وجهيهما تكاد تجعلهم يقفزون فوق الجميـــع لملاقاتهــا ، فقفــزت هــي الأخرى فوق الجميع ، وألهبت حرارة اللقاء كــل الكلمــات ، فــانفجرت دموعــا وســعادة غامرة ، وكأنهم في عالم غير هذا العالم ، لا يسمع فيه إلا دقات قلــوب تحمــد الله علــى لقــاء يأس بعد طول بعاد ، وشقاء جاء بعده هنـــاء ، وإذا بــالعربدة الــتي تملكــت نفســها فــترة وجودها في ذلك الجو الخانق من الإجرام ، تتبدل وداعة فتاة كـــانت قــد فقــدت نفســها ثم عادت إليها ، وإذا بالوجه يشرق إشراقة طفلة في العشرين من عمرهــا ، وإذا بهــا وكــأن مــا حدث كان فقدان ذاكرة ، نسيته ونسيت معه كــل الوجـــوه ، وكــل الأحــداث ، حــتى أنها أبدت تعجبها من وجودها في ذلك المكان ، وتساءلت من هـــم هــؤلاء البشــر ؟ خاصــة عندما اقترب الضابط يريد إفادتها في بعض الأمــــور ، حيــث ســارعت بالاحتمــاء بأبيــها ،

وأخذت تحثه على الانصراف سريعا ، وذكرته بالاختبار الذي كان محـــددا لـــه اليـــوم التـــالي لاختطافها في الإدمان أولا ، ثم إلى وكر الإجرام بعد ذلك ، فـــأيقن الضـــابط أنهـــا عـــادت إلى الصواب ، فأومأ إلى الوالد أن يذهب بها إلى المنزل ، وإذا كـــان هنـــاك مـــا يســـتجد فســـوف يتصل بـــــه .

٤ – حنان الأم

بمجرد أن عاد الجميع من ساعات الشقاء التي مــــرت بهـــم بـــين التحـــاليل الـــتي أجريـــت لصفيه بالمستشفى ، وتحقيقات الشرطة لمعرفـــة جرائـــم تابليـــانو وأســـباب مصـــرع أســـامه ، سارعت مايسه بالسؤال عن خالها الذي تركتـــه في بيـــت عائلـــة أبيـــها ، وخرجـــت دون أن تعلمه بوجهتها ، فقالت جدها بشيء من الدلال وهـــي تحتضنـــها :

● " أو تظنين أننا لا نستطيع أن نقوم بـــالواجب معـــه ؟ "

واعتذرت مايسه وهي تحتضن جدها بشدة تعبيرا عـــن شـــكرها ، لكنـــها كـــانت تريـــد أن تعرف ماذا فعل عندما لم يجدها ؟ ولم تعلق الجدة ، ســـلمتها رســـالة كـــان قـــد تركـــها لهـــا ، حدد فيها خط سيره ، وأن الغداء سيكون في مـــترل الســـفير اليابـــاني ، وأنهـــا مدعـــوة هـــي ووالدها ، وأن سيارة السفارة ستصلهم في الثانية ظهرا ، وســـتغادر الثانيـــة وخمـــس دقـــائق ، أما هو فقد عبر عن شكره للحفاوة التي لقيها في هذا المترل من هـــذه العائلـــة ، وحيـــث إنـــه لا يعقل أن يكون في مصر ولا يرى عظمـــة آثـــار قدمـــاء المصريـــين ، فـــإن الجولـــة اليـــوم ستشمل الأهرامات والمتاحف إذا كان الوقت يســـمح ، وإلا ، فســـيكمل في اليـــوم التـــالي ، وكم كان يتمنى أن تكون معـــه .

أما بالنسبة لمصطفى ، فقد كانت صفيه هـــي كـــل اهتماماتـــه ، فســـاعدها في الوصـــول إلى غرفتها ، وطلب منها عدم الحركة مطلقا ، فكفاها ما لاقتـــه مـــن عنـــاء ، هـــو فـــوق قـــدرة احتمال البشر ، ولم تعقب ، تلقتها مريم هـــائم بحنـــان الأم ، وهنأتهـــا معـــبرة عـــن ســـعادتها بالمولود القادم ، وطمأنتها أن كل شئ في الفيلا على ما يرام ، والبنـــات بـــألف خـــير والحمـــد لله ، أما شريف ، فإنه يلعب في الحديقـــة مـــع ســـعدية ، وأن عـــم نعيـــم وزنوبـــه يقومـــان بالإعداد للغداء بترتيبات خاصة للجميع ، الوالد والاخوة وأبناء العـــم وطبعـــا مـــنى ومايســـه وخالها ، وأن كل ما يهمهم جميعا في هذه الفيلا هـــو راحتـــها .

ولم تنس السيدة أن تغمر مصطفى بوابل من عطفـــها وحنانهـــا وتهانيـــها بـــالمولود القـــادم ، فأعطاها مصطفـــى قائمة الطعام الـــتي وصفـــها الطبيـــب لصفيـــه ، لكـــن مايســـه بعـــد أن أظهرت همتها بالاهتمام بأمور المطبخ وأنها لا تريد للجـــدة أن تتعـــب ، همســـت في أذن أبيـــها بمحتوى رسالة خالها التي يقول فيها بأنه سيتناول الغـــداء مـــع الســـفير ، ويدعـــوه ومايســـه لتناول الغداء معهم ، ذلك أن ابنة السفير كانت زميلتـــها في الدراســـة منـــذ الصفـــوف الأولى حتى الجامعـــة ، لكن مصطفى أومأ برأسه إلى هـــذا الجمـــع الغفـــير مـــن عائلـــة صفيـــه ، حيث لا يجوز أن يتركهم منذ اليوم الأول ليتناولوا الغداء بـــــدونه ، وإلا عـــد ذلـــك عيبـــا كبيرا في حقه وحق صفيه ، كما أنه طلب مـــن شـــكري بـــك الحضـــور علـــى الغـــداء هـــو والعائلة ، لكنه اعتذر لبروتوكولات في عاداته لا يحب أن يغيرهـــا ، وقطعـــا لا بـــد لـــه مـــن الحضور للسلام على والدة صفيه التي في طريقها إليهم ، حيث إنـــه في مكانـــة ابـــن خالهـــا ، وطبعا لابد أن يكون هناك عشاء للجميع ، وأفهمها أن هذه الأمور كـــانت صفيـــه تقـــوم بهـــا دون أن تثقله بأي مسئولية عن أي شئ ، فقط تعرف العدد ، وتعـــد لســـتة بالطلبـــات يتـــولى السائق أو سعيد إحضارهـــا .

ونظرا لأنه يعلم أن مايسه لا تستطيع أن تقوم بذلك وحدهـــا ، ذلـــك أن صفيـــه خريجـــة اقتصاد منزلي ، يعني هذا تخصصـــها ، فلا بد لها مـــن إشـــراك جدتهـــا ، واستشـــارة صفيـــه ، لكن مايسه التي ورثت الثقة بالنفس من عائلـــة الخوجـــه ، والعمـــل بصـــبر ودأب وهـــدوء من عائلة كازو ، همست في أذن والدها بأنها ستثبت له أنها لا تقـــل عـــن خريجـــات الاقتصـــاد المنزلي في شئ ، يعني ليس بالقدر الـــذي يجعلـــها لا تســـأل مامـــا صفيـــه ، ولكنـــه ســـيرى العجـــب ، فضحك وطلب منها أن تتصل بصديقتها بنت الســـفير تليفونيـــا ، وتعتـــذر لهـــا عدم المشاركة في غداء اليوم ، والفرص القادمة كثـــيرة إن شـــاء الله ، ولهـــا أن تشـــرح لهـــا الظـــروف .

وأصدر مصطفى أوامره للجميع بعدم إزعاج صفيه مهما كـــانت الظـــروف ، وظنـــت مـــريم هانم أن ذلك بسبب الحمل فهي لا تعرف ما حدث ، والحقيقـــة أن مصطفـــى يريـــد أن يريـــح أعصابها مما لاقته في ذلك اليوم من عذاب مـــا بعـــده عـــذاب ، أب يتلقاهـــا بصفعـــة قويـــة

تفقدها رشدها ، وشريط ذكريات تمنت لو يندثر كما اندثـــرت أيامـــه ، ومفاجـــآت متتاليـــة ، الواحدة تلو الأخرى ، في تسلسل درامي يجرح القلوب قبـــل الأحاســيس والمشـــاعر .

وما إن خلت صفيه لنفسها ، حتى اجترت المســكينة أحــداث تلــك اللحظــات القاســية ، ووقفت عند بعض الأمور ، أولها - كيف تم اختطافها ، وهـــل يمكـــن اختطـــاف إنســـان دون أن يشعر به أحد ممن في الطريق ، أم أن شوارع القاهرة التي لا تكاد تخلـــو مـــن البشـــر ليـــلاً أو نهاراً ، قد اكفهرت هكذا فجأة وبدون مقدمات ، لأن ابن الغانيـــة (هكـــذا كـــان أبوهـــا يطلق عليه) هَمَّ أو نَوَى أو عَزَمَ على اختطافها ، هناك خطـــأ ارتكبتـــه ، ولا يجـــب أن تلـــوم إلا نفسها ، كيف سمحت له أو لغيره أن يختطفـــــها ، وحـــاولت أن تتذكـــر كيـــف حـــدث ذلك المشهد المأساوي ؟ لكنها ربما كانت قد أصـــدرت أوامرهـــا للعقـــل الحـــاضر وكذلـــك الباطن أن يمسح هذه الأحداث من الذاكـــرة ، لكـــن الـــذي لم تســـتطع أن تمحـــوه ، هـــذا الحدث الجديد ، أن شريفاً ليس ابناً لمصطفى ، وهذه هــــي أهـــم وأعظـــم مـــا في الأحـــداث شدةً على النفس .. شريفاً ليس ابناً لمصطفـــى ، يـــا لخجلـــها !! كيـــف تســـتطيع أن تواجـــه نفسها بهذا الأمر قبل الغير ، ومن المؤكد طبعا أن مريم هانم تعـــرف هـــذه الحقيقـــة ، وســـعيداً أيضا ، والبنتين ، وإلا فمن أين لبنت القرنفلي باشا بهذه المعلومــــة الـــتي زرعتـــها في ابنتيـــها ، شريف ليس أخاكم ، ظنت في البداية أن ذلك باعتبار أنه ليس أخـــاً شـــقيقاً لهمـــا مـــن الأم ، ولم تعتقد ولو للحظة ، أنه ليس أخاهم بالمرة ، فلا هو أخ مـــــن الأب ، وكذلـــك هـــو ليـــس أخاً لهما مـــــــن الأم .

وحاولت أن تجد لنفسها عذراً ، فتذكرت بأن أسامه قد عقد عليـــها قبـــل وفاتـــه ، فـــهي لم تخطئ ، ولم تغضب الله ، وشريف ابن حـــلال ، ولـــه جـــدة ، يطلـــق عليـــها والدهـــا لقـــب غانيـــة ، ولكنها فنانة معروفة ، والدها باشا من رجـــال السياســـة الســـابقين ، ربمـــا قبـــل أن يحصل القرنفلي والد سميحه هانم على الباكوية حتى ، ولكن أيـــن كـــانت هـــذه الجـــدة الـــتي تطالب بحفيدها ، عندما اختطفها ابنها وهذا المدعـــو جوبيـــتر ، بـــل كيـــف لهـــا أن تطـــالب بشريف ، وقد كتب والده شهادة وفاته عندما قرر دفن والدته وهـــي مـــا زالـــت علـــى قيـــد الحياة ؟ وقررت بينها وبين نفســـها ألا يكـــون شـــريف لســـهير المرعشــــلي ، حـــتى ولـــو حاربت الدنيا بأكملـــها .

وحمدت الله ، وتذكرت قوله سبحانه وتعالى " ومن يتق الله يجعل لـــه مخرجـــا ، ويرزقـــه مـــن حيث لا يحتسب " وما حدث ، كان ابتلاء منه سبحانه وتعـــالى " ونبلونكـــم بالشـــر والخـــير فتنة " ولقد ابتليت بما هو أكثر من الاثنين ، لكنه سبحانه كـــان لطيفـــا بهـــا ، فقـــد خرجـــت من تلك المحن بخسائر لا تقـــارن بما فازت به بعد نجاتهـــا منـــها ، ويكفيـــها مصطفـــى زوجـــا محبا يعمل المستحيل لراحتها ، وغلبها سلطان الكرى ، فاستسلمت لـــه ، وهـــي تتلـــو آيـــات الله وتدعوه وتســـبحه .

حضرت والدة صفيه ، وأصبحت الفيلا مـــهرجانا ، ومـــا إن علمـــت بحمـــل ابنتـــها حـــتى أطلقت زغرودة ســـعادة وحـــب وفـــرح ، إلا أن الحـــاج وهـــدان أبى إلا أن يجعلـــها تبتلـــع فرحتها بأسئلته اللحوحة المتكررة لأكثر مـــن مـــرة :

- " كيف حضرت بهذه السرعة ، لابد أنك خرجـــت بعدينـــا طـــوالي ، وركبـــت الديـــزل الذي يغـــادر سوهاج الساعة خمسة ، يبقـــى وصلـــت محطـــة مصـــر الســـاعة عشـــرة أو حداشـــو .."

وأخذ الرجل يعد عليها خطواتها ، حتى أن السيدة لم تســـتطع أن تتحمـــل ، فنظـــرت إليـــه شزرا ، موضحة له أن صفيه ابنتها قبل أن تكون ابنتـــه ، فقـــد رآهـــا قلبـــها قبـــل أن تراهـــا عيناه بتسعة أشهر ، وأن شوقها لها لا يعادله شوق العالم كله ، وكفاهـــا حرمانـــا منـــها طـــوال ما مضى من سنوات ، وأخذت تسأل عن غرفتها التي ترتاح فيها ، لكـــن أحـــدا لم يـــدل لهـــا بمكانها ، والسيدة تخشى أن تتحرك بحثا عنها ، فهي ما زالت تشـــعر بالغربـــة في بيـــت عائلـــة زوج ابنتها ، لكنها قلقة ، لا تســـتقر في مكـــان .

أخذت شريفا حفيدها بين أحضانهـــا تمطـــره بوابـــل مـــن القبـــل ، واســـتكان الطفـــل في حضنـــها ، فقد أحضرت له من اللعب والهدايا ما جعلـــه لا يفارقـــها ، ولم تنـــس الســـيدة أن تحضر لمريم ومها أيضا بعضا من الهدايا ، فكرت ولم تجد خيرا مـــن الذهـــب ، فـــأحضرت لهمـــا ذهبا من صناعة الصاغة في سوهاج ، ذهـــب كثـــير ومصنعيـــه زيـــن ، وذوق يقـــارب أذواق الناس هناك ، والعجيب أن البنتين تقبلتا عطاياها بالشـــكر والامتنـــان ، والتصقتـــا بهـــا مـــع

أخيهما شريف ، ولم يستطع أي مـــن الحـــاضرين أن يفـــرق بـــين الأختـــين وبينـــه ، البنتـــان جميلتان شقراواتان ، وشريف أسمر بشعر أشعث ، لكن التفســـير المنطقـــي أن البنتـــين للوالـــد والولد للأم شبها ، لكن الملامح تكاد تكون واحـــدة بـــين الثلاثـــة ، وكأنمـــا حياتهمـــا مـــع شريف قربت هذه الملامح ، فمن يراهم لا يستطيع إلا أن يقول إنـــه أخوهمـــا ، لـــولا سمرتـــه الخمرية الواضحة ، الذي ربما يرجعه من يراه إلى لون بشـــرة أمـــه .

وما إن أعلنت زنوبه أن الست صفيه استيقظت ، حتى تركـــت الســـيدة شـــريف والبنتـــين ، وأسرعت تعدو درجات السلم ، كأنها بطلة في الجري السريع ، ومـــا إن وقفـــت أمـــام بـــاب الغرفة ، حتى اندفعت صفيه إلى أحضانها ، في لهفـــة مشـــتاق للحيـــاة ، فـــالأم هـــي الحيـــاة ، جنينا كانت أو طفلة أو حـــتى امـــرأة ناضجـــة ، الأم هـــي الأم ، ينبـــوع العطـــف والحـــب والحنان ، فتمهلت السيدة بها ، وهي تعتصرها لقلبها ، وتحركت بهـــا ببطـــيء نحـــو الســـرير ، ريثما تستريحان ، فقد أنهكها صعود السلم بســـرعة ، ثم ارتمـــاء صفيـــه في أحضانهـــا ، وهـــي تعلم أنها حامل ، فلا بد لها من أن تتعامل مع الحياة بالنظام المناســـب . واجهتـــها صفيـــه بمـــا لم تستطع أن تواجه به أباهـــا :

- " ثلاث سنوات وأكثر !! يا لقلوبكـــم.. "

وبحثت السيدة عن كلمات مناسبة تقولها ، ترفع عن نفسها وعـــن زوجـــها اللـــوم ، وهـــي تعلم يقينـــا أن ما ارتكباه في حق ابنتهما هي تعتبره جرمـــا مشـــهودا :

- " ما كنا نستطيع أن نحضر إليك ، حتى لا تعرف تلك الحيزبون والـــدة أســـامه مكـــانك ، وفي هذه الحالة قد يحدث أحد أمرين ، إما أن تقوم بتكليف مـــن يقتلـــك أنـــت وزوجـــك ، أو أي منكما ، لظنها بأنكما السبب في مقتل ابنـــها أســـامه ، أو في أحســـن الأحـــوال ، أن تأخذ ولدك منك ، وكأنك لا تعلمين أن أباك فضل البقاء عنـــد شـــكري بـــك ، بينمـــا أنا هنا معك في المندرة التي في الحديقة ، وصـــبر أن يعـــرف أخبـــارك يوميـــا بـــالتليفون ، حتى لا يكون هناك أي خيط يوصلهم إليـــك ، وحـــتى تحركـــات والـــدك كـــانت قليلـــة جـــــدا .."

ثم ضحكت السيدة بشكل أثار عجب صفيه ، فضحكت هـــي الأخـــرى بالتبعيـــة :

- " أتدرين يا صفيه .. لقد ارتدى أبوك بذلة الأفندية ، وغير مـــن شـــنبه ، صغـــره حبتـــين ، وصبغ شعره وحط نظارات سود على عينيه ، وبجـــى شـــكله ولا ولاد الـــذوات ، وكـــل ده علشان لما يخرج يتمشى ، أو ييجي يطل عليـــك ، محـــدش يعرفـــه .."

وانخرطت السيدتان في ضحك ، نسيت معه صفيه كل همـــوم ذلـــك اليـــوم ، لقـــد كـــانت جائزة من الله سبحانه وتعالى ، يوم شاق ، عانت فيه الكثير الكثـــير ، لكنـــه أتـــى لهـــا بفـــرج كثير أيضا ، فها هي تنعم بقرب نبع الحنان أمها ، والوالد أيضا ، يا لقلبـــه الـــذي صيـــغ مـــن ذهب – سامحه الله عن هذه الصفعة – يغير من عاداته الـــتي رســـخت فـــأصبحت جـــزء مـــن حياته ، ويرتدي بذلة أهل البندر التي طالما نعتـــها بنعـــوت كثـــيرة ، ويتخفـــى كمـــا رجـــال المباحث ، من أجل الحفاظ على حياتها ، هذا شـــئ كـــــــثير .

قدمت مريم هانم ، ومن اللحظة الأولى لاحظت والدة صفيـــه كـــم هـــو الحـــب والاحـــترام الذي يسود بين ابنتها وبينها ، وبعاطفة لا تقل عن عاطفـــة الأم احتضنتـــها ، وتحسســـت كـــل جزء من جسمها لتطمئن على سلامتها ، وسألتهما إن كانتـــا تفضـــلان تنـــاول طعـــام الغـــداء سويا في غرفة صفيه ، أم معهم في غرفة الطعام ، فنهضت صفيـــه ســـريعا ، واحتـــوت والدهـــا بذراع ، ومريم هانم بالذراع الأخرى واتجهن جميعا إلى قاعـــة الطعـــام ، حيـــث كـــانت مـــريم هانم قد أمرت بإعداد طاولتي طعام ، إحداهما للسيدات ، والثانيـــة للرجـــال ، فـــالعدد كـــان أكبر بكثير من أن يشمله طاولة واحـــــدة .

والعجيب أن شريفا اتجه سريعا إلى جدته لأمه يجلس على حجرهـــا ، وتبعتـــه مـــها تلقائيـــا ، وما كانت مريم لتتخلف عنهما ، فأسرعت تجلس إلى جوارها ، وكأنمـــا الحنـــان الـــذي تحتويـــه هذه السيدة ، يجذب إليها الأطفال تلقائيـــا بصورة تعجب منـــها مصطفـــى ووالدتـــه ، حـــتى سعيد هم بالتعليق ، لكنه ابتلع كلماته ، فقد خشي أن يكون الحـــاج وهـــدان ممـــن لا يحبـــون المزاح ، لكنه اكتشف بعد ذلك أن الطعام ، ليس كطعام كـــل يـــوم وأعـــرب عـــن ذلـــك " لمنى" التي بدأت تشعر بالغيرة من صفيه ، فـــهي أمامـــها في كـــل شـــئ ، وأعلـــن ســـعيد أن

مايسه ابنة أخيه مصطفى هي التي أعدت كل شئ ، ولذلك فإن طعـــام اليــوم ليــس كالأيــام السابقة ، ويختلف عن طعام كل يوم ، لكنه ليس سيئا للدرجة الـــتي تعافــه النفــس ، ولــولا مزاح وقفشات ذلك الرجل القادم من أقاصي الصعيد عن كل صنـــف مـــن أصنـــاف الطعـــام ، حيث اختلط فيها المطبخ المصري بالمطبخ الياباني ، لما كـــان للطعـــام ذلـــك الجمـــال الـــذي شعر به الجميع ، وذلك بالإضافة إلى أن أحداث هذا اليوم ومـــا تبعـــها مـــن جـــهد ومشـــقة أدى إلى شعور الجميـــع بـــالجوع ، والعجيـــب أن معظـــم قفشـــات ومـــزاح والـــد صفيـــه الصعيـــدي ، كانت عن أهل بلدته وقريته ، رجـــالهم ونســـائهم .

حاول الحاج وهدان أن يستأذن في السفر بعد الغداء ، لكن الجميع تمسكوا بـــه ، أمـــا عـــن زوجته ، فقد كان تواجدها مع صفيه أمرا هاما خلال فـــترة حملـــها ، فرجـــاهم أن يســـمحوا لأولاده وأولاد اخوته بالسفر ، لمتابعـــة أعمـــالهم ومصالحـــهم ، فســـافر الجميـــع ، وتركـــوا الحاج وزوجته حيث تم تخصيص غرفة الأولاد له هو وزوجته وشـــريف معـــهما ، بينمـــا مـــريم ومها مع أختهما مايسه في الغرفة التي كان مصطفـــى قـــد خصصـــها لمـــاي ســـيتو ومايســـه وهداياه لها في أعياد ميلادها الستة عشر التي غابها عنـــها أو الـــتي غابتـــها عنـــه ، وصورهمـــا معه ومع أفراد عائلتـــه .

٥– قبلة

أسرع سعيد إلى الأتيليه بعد الغداء مباشرة ، وعرفت منى أنه ينوي نوم القيلولة ، فأسرعت خلفه تذكره بوجودها ، وأنه إذا فضل نوم القيلولة عليها ، فلن يراها ثانية ، وأسقط في يده ، وفكر فيما يفعل ؟ ذكرها أنه منذ الفجر ، فذكرته بأخيه مصطفى ، تماما كما هو وربما أكثر ، وتصورت أن هذا كاف ، لكنها فوجئت به يلقي عليها محاضرة طويلة في مزايا وفوائد نوم القيلولة ، فانصرفت عنه بطريقة تشعره بغضبها ، وأنها ذاهبة إلى منزلها ، وسوف تعود مع عائلتها مساء ، لكنها وقبل أن تخرج من باب الفيلا ، فوجئت بمستر نرسنج وزوجته وابنته ، وتذكرت ، إن الرجل وعد بالعودة في اليوم التالي مع عائلته لتصوير تمثالين لهما ، فرحبت بهم ، واصطحبتهم إلى الصالون ، وأسرعت إلى سعيد توقظه ، وتذكره بموعده مع مستر نرسنج وعائلته ونهض سعيد متأففا :

● " دائما مستر نرسنج ، ألا ينام هؤلاء الخواجات نوم القيلولة ؟ "

وبعد لحظات من ترحيبه بهم ، فوجئ بحضور مصطفى أخيه متأبطا مايسه ، ورحب مصطفى بمستر نرسنج وزوجته وابنته ، وكذلك فعلت مايسه ، ولكن ترحيبها بابنته كان فوق العادة ، فقد كانتا صديقتين في صغرهما ، ولذلك فقد انتبذتا مكانا تجتران فيه الذكريات ، وما بعد الذكريات ، أما مصطفى فقد اعتذر للعائلة أن زوجته ألمت بها وعكة ، وربما لن تتمكن من الحضور للترحيب بهم ، لكنهم فوجئوا بصفيه تدخل وخلفها زنوبه تدفع عربة الشاي والحلوى ، فاحتضنتها مايسه بحب ، وقدمتها لهم باعتبارها ماما صفيه ، مما اثلج قلب صفيه ، فأعادت احتضانها لها وتقبيلها بحب وحنان ، بينما منى تنظر إلى سعيد بتعليق لطيف لخصته في عبارة :

● " كم هي عائلتك متحابة ؟ وبدون نوم القيلولة الذي أصبح يسبب لي العصبي . "

أخذت الأحاديث مصطفى وأولف مآخذ شتى ، سياسة على اقتصاد على أمور عائلية على تجارة ، بينما ماريا ومايسه في حديثهما الخاص عن الدراسة والعمل والحب وأشياء

أخرى كثيرة ، وسعيد منهمك في رسم السيدة " جونيلا " زوجة " مستر نرسنج " ، ومنى مع زنوبه منهمكتان في تجهيز الأتيليه ، وصفيه تعد مريم ومها وشريف للسلام على مستر نرسنج وعائلته ، فهذه هي المرة الأولى التي يحظى بها الأولاد بالاحتكاك المباشر مع العائلات الأوروبية ، أما الحاج وهدان وستوته زوجته ، ففي الغرفة التي خصصت لهما ، ينامان نوم القيلولة ، ومريم هائم في غرفتها أيضا ربما تنام نوم القيلولة ، والبروفيسور ناجا سيتو لم يعد بعد من بيت السفير الياباني .

ما إن انتهى سعيد من رسم مدام جونيلا حتى صدرت عنها صرخة إعجاب ، الحقيقة ألها أفلتت منها دون قصد ، لم تتصور أن هناك من يستطيع أن يحاكي الصور الفوتوغرافية رسما ، فقد تصورتها صورة فوتوغرافية استطاع هذا الساحر أن يعدها خلال خمسة عشر دقيقة بعد أن ركز عليها عدسات عينيه ، رغم احتجابهما خلف النظارات الطبية السميكة ، وتجمهر الجميع سريعا لاستطلاع الأمر ، وصدرت بعض تعبيرات الإعجاب من الجميع ، كل بحسب طريقته ، بينما مصطفى وصفيه يبسملان ويحوقلان ، فهما يعرفان أن الحسد عين وليس نية ولا قصد ، وتبعتهما مايسه تقرأ المعوذتين والإخلاص ، هكذا علمها شيخ الجامع الأكبر بطوكيو ، فانحنى سعيد بحركة رشيقة كما الفارس ، وهو يحصل على توقيع مدام جونيلا باعتباره موافقة منها على عمل التمثال ، تقليد جديد تعلمه من خبير الفنون الدكتور الشنواني.

وأسرعت ماريا تطالب بحقها في تمثالها ، وتعجب مستر نرسنج ووالدتها كذلك ، حيث إنها كانت ترفض الحضور أصلا ، وهي في حالة عدم تصديق من أن التمثال الذي صيغ لأبيها لا يمكن أن يكون من صنع فنان مصري ، وأن أباها لا يقول الحقيقة ، ربما كان ذلك اعتزازا منه بصداقته لأنكل مصطفى ، وهذا شأنهما ، أما هي ، فلولا رغبتها في رؤية مايسه ، لما حضرت ، وعبثا حاول أبوها أن يذكرها بعظمة فن قدماء المصريين منذ القدم ، وأن الغرب يظلم حضارهم الحالية لأسباب لا صلة لها بالحقيقة ، ربما خوفا من أنه لو أخذ المصريون حقهم في الحياة ، لكانت حضارتهم الآن أفضل كثيرا من الحضارة الغربية .

ومصر على وجه الخصوص ، بموقعها الجغرافي المتميز ، حيث تتوسط العالم القديم والحديث أيضا ، وتتوافر فيها كل عناصر النجاح ، الزراعة والصناعة والبترول والتعدين وقنال السويس ، الشريان الذي يربط أوربا بباقي دول العالم القديم وبعض دوله الحديثة ، والأهم من هذا كله البشر ، فهم العنصر الأساسي في أي حضارة ، ويكفي أنه عندما يتمتع أي مصري بالحرية الحقيقية – في حدود الشرع والقانون والأعراف والتقاليد – الحرية في الحياة بالطريقة التي يرغبها والحرية الفكرية فلا يوجد من يحجر على أفكاره ، والحرية الاجتماعية ، فلا توجد قيود على ارتباطاته لأي سبب كان ، والحرية الاقتصادية ، يعمل كيفما يشاء وحيثما يريد ، دون قيود تصريح عمل ولا ضرائب عاملين في الخارج أو في الداخل ، ولا جمارك تجبره على الكذب ومحاولة اللجوء إلى لعبة القط والفأر مع جلاديها ، والحقيقة أنه لا توجد دولة في العالم تحصل رسوما جمركية على ما يحضره المواطن معه أو يرسله من الخارج لاستعماله الخاص إلا فيما ندر .

لكن كل هذه الأمور تجعل الفكر الذي من المفترض توجيهه للعمل والإنتاج ، يسرن بعيدا في الحيل التي يستطيع بها أن يتهرب من ضريبة العاملين مثلا ، أو من الضرائب عموما بما فيها الجمارك ، وأخذ يضرب لها الأمثال من الواقع الحي ، بأولئك المصريين الذين سمحت لهم الظروف بالدراسة أو العمل بالخارج ، وتوفرت لهم الحرية التي ضمنتها قوانين تلك الدول لهم ، والكفاية الاقتصادية التي توفر لهم ما يزيد عن الحد الأدنى للحياة بكثير ، والنتائج المبهرة التي تحققت على أيديهم في جميع المجالات .

بدأها بالدكتور مجدي يعقوب أكبر جراح زراعة قلوب في العالم – مصري – ، والدكتور فاروق الباز في أعلى المراكز الهامة في ناسا ، وخبير جيولوجيا كوكب القمر ، ومساهمات عديدة في مجالات كثيرة يصعب حصرها ، والدكتور أحمد زويل ، الذي ما زالت أخباره تملأ الجرائد والمجلات العلمية وغير العلمية ، والدكتور بطرس غالي أمين عام الأمم المتحدة .. وغيرهم كثيرين في جميع المجالات العلمية والعملية والتجارية .

ثم ذكرها بأنها في بلدهم ، واللياقة تستوجب منها احترامهم واحترام عاداتهم وتقاليدهم ، ومصر ليست الأحياء الشعبية فقط ، ولا حتى الأحياء الغنية ، لكن مصر هي كل مصر ، الأغنياء والفقراء ، العلماء والأميون ، المؤدبون والسفلة ، القضاة والمجرمون ، الجلادون والمجلودون ، ولا بد لهم كدبلوماسيين من التعامل مع الجميع بكل اللغات التي تفرضها عليهم الحياة .

وجلست الفتاة بالبسمة المشرقة التي تعبر بها عن سعادتها بكشفها الحقيقة ، وكنوع من الاعتذار عن شكوكها في قدرة أبناء هذا الشعب ، على بلوغ القمة في الفن ، وجلس سعيد بعين الفنان يسجل هذه البسمة المشرقة على كراسة استكشاته ، وما إن تغيرت البسمة قليلا ، لشعور صاحبتها ببعض الأسف لظنها السيئ في هذا الفنان ، حتى نبهها سعيد للعودة إلى إشراقة نفسها ، ياله من فنان ، ذلك الذي شعر بالتغير الطفيف في خلجات نفسها ، ألهذا الحد كان الانعكاس على الوجه ، مرآة النفس البشرية .

ولم تقل صورة الابنة روعة عن صورة الأم ، ولم يقل الإعجاب بفن سعيد عن سابقه ، بل زادته فاتنة السويد بقبلة طبعتها على جبينه ، معبرة بذلك عن سعادتها ، وأسفها واعتذارها لسوء ظنها به ودخلت منى والقبلة في وقتها ، فشرعت الغيرة تأكل قلبها ، لكن سعيدا تصرف بصورة تلقائية بأن شكرها ، ولملم حاجياته وانصرف سريعا ، ليجد منى خلف الباب وقد تساقطت دموعها الحارة من عينيها ، وعبثا حاول سعيد التبرير ، لكن مع من ؟ فالدرس الذي تتلقاه الطفلة المصرية ، ربما قبل أن تتعلم الكلام " يا مؤامنة للرجال ، يا مؤامنة للمية في الغربال " قالتها جدتها ، ومن قبلها جداتها منذ حواء ، ولا بد أن يكون الرد عنيفا حتى لا يتكرر ، بحسن نية أو سوء نية ، من سيدة راشدة أو من فتاة في سن ابنة أخيه ، الكل سواء ، بنات حواء ، وآه من بنات حواء .

قالها كأمر يجب تنفيذه فورا :

● " هيا إلى العمل .."

ولم تتردد في زيادة عبارات التوبيـــخ والتـــأنيب :

- " ألا تخجل من نفســـك ..! "

وقدم المبرر دون اعتـــذار :

- " لم ؟ آه لقبلة ماريا .. ألا ترين أنك زوديتها حبتـــين .. إنهـــا أصغـــر مـــن مايســـه ، ثم أن هذه الأمور عندهم عادية ، يعني القبلـــة ليســـت محبـــة ، ولا إعجـــاب ، وأنـــا معنديـــش حاجة أعطيها لغيرك ، فقد ملكت علي حيـــاتي ، وأخـــذت كـــل كلمـــة حـــب حلـــوة ، ولولا أن والدتي وأخي سبقوك ، ربما مـــا وجـــدت لهمـــا مكانـــا في قلـــبي .. ثم إن حـــد يسيب الورد البلدي ، ويدور علي القرنفل ، يـــا ورد إنـــت يـــا ورد .."

ولف يده حول خصرها واحتواها بين يديه ، وكأنمـــا هـــو علـــى وشـــك أن يطبـــع قبلـــة ، ولكن أين ؟ في البهو ، حيث من الممكن أن يراهـــم أحـــد ، والعجيـــب أنهـــا كـــانت علـــى وشك أن تستسلم له ، لكنها لمحت والدها وقد صـــوب نـــيران عينيـــه عليـــهما ، فـــارتعدت خوفا ، وفرت سريعا وهي تـــردد :

- " بابا .. بابـــا .."

وتعجب سعيد .. أين بابا هذا .. ؟ ولكنها أكدت له أنه رآهمـــا .. وأنذرتـــه إن هـــو كـــرر ذلك مرة أخرى ، فلن يراها .. وأخذت عليه عـــهدا ، أن يؤجـــل عفرتتـــه هـــذه لمـــا بعـــد الزواج ، وأفردت له ألفية طويلة في مزايا الحب العذري ، وأن حـــب الجســـد فـــاني ، وكلمـــا طال الشوق ، كلما كان للقاء جماله وروعته ، فطمأنها أنه كان يريـــد أن يعـــرف الفـــرق بـــين الفتاة الشرقية ، والفتاة الغربية ، فقد تلقى من منى الفتاة الشـــرقية درســـا لـــن ينســـاه لمجـــرد أنه أقدم على شئ ، تلقاه سهلا وتطوعا من ابنة العشـــرين الغربيـــة ، ودون حـــرج ، وأمـــام والديها ، ولا يوجد بينهما أي رباط ، لا حـــب ولا خطوبـــه مثلمـــا هـــي الـــتي رأت أباهـــا يحذرها ، رغم أنه غير موجود معهما ، والمسافة بينهما بعيـــدة جـــدا .

كانا قد وصلا الأتيليه ، فوضع الغليون بعد أن عبأه بالطباق ، وأخذ ينفث دخانه حلقات ، ونسى أين هو ، ولا ماذا حدث منذ لحظات ؟ وأصبحت لا تصدر عنه سوى الأوامر ، ناوليني ، أعطني خذي هاتي ، ولا شئ أكثر من هذا ، حتى انتهى من التمثالين ، كأحسن ما يكون ، فتركهما لها لتجففهما وذهب كعادته إلي الحمام ، فتوضأ ووقف بين يدي الله يطلب الغفران ، فتبعته وهي على وضوئها دون أن تنبس بنبت شفة .

انتهز مستر نرسنج فرصة انشغال الجميع بالجميع ، وانفرد بمصطفى يناقشه في التعاون الذي يراه مناسبا لاستغلال الاكتشاف ، وكان رد مصطفى سريعا وسهلا ، فقد تذكر كلمات شكري بك ليلة الأمس :

- " أنا تحت أمركم ، شوف المناسب لكم ولنا ، واللي فيه الخير يقدمه ربنا ، لكني لا أحب التلاعب ، ولا المحاورات ، تحدد الشروط والحقوق لكل منا دون أن يجور أحد على الآخر ، وأرجو أن تكون لكم زيارة تالية ، تعرض على فيها مقترحات الشركات التي ترغب في التعاون والشروط والحقوق والالتزامات ، والأهم من هذا كله .. العربون .."

وتعجب نرسنج .. إنها نعم ولكن .. ما هكذا يكون العمل ، وأفضى له بمكنون نفسه ، إنه يريد أن يعرف شروطهم ، حتى يناقشها مع تلك الشركات قبل عرضها عليهم ، وذلك من منطلق حبه لمصطفى وحرصه على مصالحه ، ووجد أنه من الأفضل أن يزوره مصطفى في مكتبه أو منزله ، ويضعا سويا الشروط المناسبة .

وحضر سعيد ومنى ، وخلفهما عم محمد ونعيم يحملان التمثالين ، ويضعانهما على الطاولة ، وبالحركة الاستعراضية إياها ، أطلق سعيد اللحن المميز ، بينما مدام نرسنج وابنتها يرفعان الستارة عن تمثاليهما ، وتعبيرات الفرحة والإعجاب من الجميع ، وهمت بنت العشرين أن تطبع قبلة ثانية على جبينه ، فسبقتها والدتها وسط ذهول الجميع ، ثم تبعتها ابنتها بسرعة ، وهما تعبران عن شكرهما وسعادتهما بهذا العمل الرائع ، فنظر سعيد إلى منى ، التي استغرقت في ضحك هستيري ، وكأنما لسان حالها يقول :

• " عيبنا عليه الصغيرة ، فسبقتها الكبيرة .."

والجميع يصفقون لسعيد هذا النبوغ وهذه العبقرية ، فلمزت مدام نرسنج زوجها وهمست في أذنه ببعض العبارات ، فأخرج الرجل شيكا من جيبه ، ثم أخرج شيكا آخر وحرره ، وسلم الشيكين لسعيد الذي أبدى تمنعا ، لكنه رأى السيدة تقترب منه بهما وتهم أن تطبع المزيد من القبل ، فأخذ الشيكين وخرج سريعا ، بينما الجميع وأولهم مني يضحكون من تصرفه .

٦- الدكتورة باسمه

أقبل عم محمد وهمس لصفيه هانم بأن الدكتورة باسمه تريد مقابلتها ، وبتلقائية مطلقة ، انسحبت صفيه سريعا من الجمع الغفير ، الذي يشمل عائلة مصطفى ووالداها ومستر ناجا سيتو الذي كان قد عاد من منزل السفير الياباني .

وتلاقت العيون ، واستقبلتها بما توجبه واجبات الضيافة ، ثم أجلستها على أحد الكراسي المريحة بالمدخل بعيدا عن الحاضرين ، بينما جلست هي في مواجهتها ، ولم تدر ماذا تقول ؟ كانت هناك أمور كثيرة تود معرفتها ، لكن بغضها لها كان أكبر بكثير من أن تراها ، خاصة بعد أن ادعت الوداعة وفقدان الذاكرة بمجرد أن رأت والديها ، لكن باسمة كانت من الحنكة ورباطة الجأش بحيث تستوعب هذا الإعراض ، فواجهتها بما يعتمل في صدرها ، فهمست لها ساخرة ، أو ناصحة ، أو معالجة ، ولكنها بالقطع كانت تهدف صالحها :

● " أنا عارفة انك تكرهيني ، لكن ليه يا صاحبتي ، ما كلنا في الهم شرق ، على الأقل أنت كنت في وضع مميز ، كنت تتمتعين بحصانة من نوع خاص جدا ، يكفي أنك كنت الحب الكبير للمعلم الكبير ، ما حدش كان يقدر يقرب منك ، لكنني كنت كالأخريات ، ملطشة لكل اللي يسوى واللي ما يسواش ، لكن الحقيقة أنا جاية لك لأسباب ثانية خالص ، منها ما هو في صالحك ، ومنها ما هو في صالحي .."

ووقفت صفيه كالمذهولة من صراحتها المتناهية ، ولكنها بعد أن عقلت قولها ، وجدتها على حق ، فلم تكن باسمه سجانتها ، بقدر ما كانت هي مسجونة تماما مثلها ، الفرق الوحيد ، أن باسمه فهمت اللعبة ، وسايرتهم ، أما هي فلم تسايرهم ، تقول إيه .. عقل صعيدي .

ربتت على كتفها وأخذتها من يدها ، وتسللت بها إلى غرفتها ، وأغلقت الباب ، بينما مصطفى يتابع الموقف من بعيد ، فقد أوحى لقريبه الضابط " علي" أن يلح على

باسمه لتحضر هذه المقابلة ، فهو لا يريد أن يرى زوجته بضمير معذب لذنب لم تقترفه ، ومفتاح نهاية هذا العذاب عند باسمه . وأكملت باسمه :

- " الفرق بيني وبينك ، أنني أدمنت ، فأجبرني الإدمان على الارتماء في وكرهم ، حتى أستطيع تدبير المعلوم ، لكنني تمكنت بذكائي ، والطب الذي تعلمته ، من أن أخرج من هذه المحنة صاغ سليم والحمد لله .."

فنظرت إليها صفيه ولسان حالها يقول :

- " كيف ؟ وأنت تقولين أنك كنت للجميع مثل الأخريات .."

واستشفت باسمه ما يدور في خلد صفيه من تساؤلات ، فقالت وقد رسمت ضحكة تعمدت أن تكون عالية ومن قلبها :

- " أو كنت تتصورين أن أسمح بهذا معي أو مع غيري ، لقد منَّ الله عليَّ بالتبصر الحالي بمجرد أن رأيت بعض ما يحدث مع طالبات الكيف من كلاب المتعة الحرام ، وبعد أن عرفوا أنني في نهائي طب ، وعقلي الواعي والغائب يرفض هذا الابتذال ، كلفوني بأن أكون طبيبة للجميع ، وضاربة للحقن سواء كانت كيفاً أو علاجاً ، لذلك فقد كنت أقوم بتخدير كل طالب متعة ، كنت أحقنهم بمخدر حقيقي ، مش مخدر كيف ، فما كان يستطيع أي منهم أن يقوم بعمل أي شيء ، منتهى ما يمكنه هو نزع الملابس إذا لم ترضخ الضحية للرغبات ، وأنا كنت طيبة جدا ، ومطيعة جدا ، لأنني على يقين من أنه لن يتمكن من عمل شئ ، فالمخدر مفعوله أكيد ، ولو أنني زدت العيار حبتين ، لتوفاه الله .

- أما أنت فقد كنت عنيدة ، لذلك أصابك ما أصابك ، لكن للحق ، لم يقربك أحدٌ سوى أسامه ، وللحق أيضا ، فقد عقد عليك قبل أن يقربك ، فقد كشفت له عن نذالته ، وذكرته بكرم والدك معه ، وأن رفضك له كان نتيجة رسوبه ، ولو أنني على يقين من أن هذا الشيطان الآدمي " جوبيتر " هو الذي أوحى إليه بفكرة

اختطافك ، لكن أسامه ، كان أضعف من أن يقدم على أي شيء ، حتى أموره الخاصة ، فهو يطيع كل من يستطيع التأثير عليه ، واستطاع هذا " الجوبتر " أن يجعله كاللعبة في يديه ، حتى يتمكن من استخدام الفيلا وسراديبها في أغراضه ، دون علم أسامه .."

وتساءلت صفيه مستنكرة ما تقوله باسمه :

● " لكن قسيمة الزواج التي رأيتها كانت تحمل تاريخاً لاحقاً على اختطافي بمدة طويلة ، يعني بعد أن أنقذني مصطفى من المقبرة .."

فأخرجت لها باسمه قسيمة زواج تاريخها أقدم من القسيمة التي تحتفظ بها صفيه بثلاثة أشهر على الأقل ، وهذا يعني أن أسامه لم يقم بمعاشرة ابنة عمه ، إلا بعد أن عقد عليها ، وقصت باسمه عليها قصة هذه القسيمة :

● " انتهزت فرصة سفر جوبيتر في مهمة عاجلة ، لم أستطع أن أتبين طبيعتها ، وسارعت بالهمس في أذن أسامه ، موضحة له فظاعة تصرفاته ، وأنه لن يفلت من عقاب عمه لما فعله بك ، بل والعائلة كلها ستنقلب ضده ، وربما سوهاج كلها ، وربما شعب مصر كله ، سوف يستنكر تصرفاته هذه ، ولن يشفع له أنه كان تحت ضغط أو خلافه ، وكان قد بدأ أولى خطواته نحو الشفاء من الإدمان ، وسواء وافق على تصحيح أخطائه معك راضياً أو خائفاً من عقاب أهلك ، المهم أنه وافق على عقد زواجه منك ، وكنت أنت في حالة لا تسمح لك بالحركة ، وحتى ولو لم يكن الأمر كذلك ، فقد كان من المستحيل أن يسمح أعوان جوبيتر بخروجك ، وحتى أنا ، لو لم أختبئ في شنطة السيارة لما استطعت الخروج ، وأسرعت به إلى أقرب مأذون ، وقمت أنا بدور العروس ، وشهد العقد اثنان من أصدقاء أسامه ، ولولا أن حدث ذلك بعيداً عن المدعو " جوبيتر " لما تم ، وكأنما هو شيطان لا يقبل إلا بالعنف ، وعدم الشرعية ، أو ربما أراد أن يكسر بك عين أسامه ، ويتخذك إحدى وسائل الضغط عليه ، حتى يظل تحت رحمته .."

وتنهدت صفيه ، وحمدت الله أنه كان معها في هذه المحنة ، فكم كـــاد الخجـــل مـــن نفســـها أن يقتلها ، وشكرت باسمه على كل ما قامت به من أجلـــها ، فزادهـــا باسمـــه :

- " بعد أن سمعت أسامه وهو يوبخ جوبيتر على قراره احتجـــازك ، وتكـــراره لكلمـــة ابنـــة عمي بشكل متواصل ، وذكره للكثير مما قام بـــه والـــدك معـــه ، بعـــد أن تخلـــى والـــده عنـــه ، حتى تناولته بمجموعة من عبارات الوعظ والتوبيـــخ ، وعندمـــا وجـــدت أن لديـــه استعداداً للاستجابة ، أقنعته بالإقلاع عـــن الإدمـــان ، وســـاعدته علـــى ذلـــك بتقليـــل الجرعات رويداً رويداً حتى منّ الله عليه بالشفاء ، لكـــن جوبيـــتر لم يكـــن ليقبـــل بـــه إلا مدمناً ، فاقترحت على أسامه أن يبدو مدمناً أمام جوبيتر وعصابته ، لكـــن جوبيـــتر كـــان مصمماً على إخضاعك لرغباته هو أولاً وعصابته بعـــد ذلـــك ، حـــتى يزيـــد مـــن إذلال أسامه فلا يرفع رأسه بعد ذلك أبدا ، لا مـــع جوبيـــتر وعصابتـــه ، ولا مـــع أي شـــخص آخر ، كان يريد أن يسلبه شخصيته وشموخه وكبرياءه ، ومفتـــاح ذلـــك في يـــد أســـامه ، لذلك كان جوبيتر هو المحرك الأول لرغبـــات أســـامه وتصرفاتـــه معـــك ، آه لـــو كنـــت رأيت نظراته النهمة كلما رآك ، لا أدري ما الذي تتمتعين بـــه مـــن ســـحر يجعـــل رؤوس الرجال قميم بك ؟ ربما نظرتك الصارمة ، تلك التي تصوبينـــها نحوهـــم فترعبـــهم بـــالخوف الذي يحرك فيهم الرغبـــة !!.

- كان جوبيتر يقحم نفسه في علاقة أسامه بـــك ، ويكـــون في قمـــة الســـعادة وهـــو يقيـــد يديك وينزع بعض ملابسك ، وهو يتظاهر بأنه يساعد أسامه علـــى اغتصـــابك ، بعـــد أن صور له أنه بمجرد أن يتمكن منك ، فلن تستطيعين المقاومـــة بعـــد ذلـــك أبـــداً ، لا مـــع أسامه ، ولا معه أيضاً ، ذلك أن جوبيتر له خليلة خاصة من بـــني جلدتـــه ، علـــى درجـــة عالية جداً من الجمال والرشاقة ، وقد أشرك أسامه معه فيـــها ، حـــتى يغرســـه في الجنـــس فلا يقيم أية اعتبارات لنخوة أو رجولة أو غيرة أو دين ، ومـــا دام قـــد أشـــركه معـــه في حبيبته .. فلماذا لا يشركه أسامه فيـــك ، وبدأهـــا بتحســـس بعـــض أعضـــاء جســـدك أمامـــه ، وهو يحاول خلع ملابسك عنك ، لكـــن أســـامه كـــان دائمـــاً لـــه بالمرصـــاد ، وأفهمه ، أن العلاقات في مصر والعالم الإسلامي ليست كمـــا هـــي في عالمـــهم ، وبعـــد ذلك رفض أسامه أن يقترب منك ومنع جوبيـــتر مـــن الاقـــتراب منـــك ، وبعـــد ســـفر

جوبيتر خصص اثنتان من بنات بـولاق والسـيدة زينـب ، كنـت قـد عالجتـهما مـن الإدمان ، لخدمتك والعناية بك وحراستك ، وإبعاد كل مـن تسـول لـه نفسـه اقتحـام غرفتك ، وامتنع هو أيضاً من دخول غرفتك إلا بصحبـتي للاطمئنـان عليـك ، وكنـت قد أفلحت في علاجك ، وتماثلت للشـفاء قليـلاً .."

وقاطعتها صفيه منفعلـة :

• " وكيف اشترك معه في محاولة دفـني بالحيـاة .. "

وسارعت باسمـه :

• "هل رأيته ؟ بالقطع لم يكن أسامه .. ربما أحـد أعـوان جوبيـتر .. "

ولم تصدقها صفيـه :

• " لقد انتشلني مصطفى من المقبرة وأنـا مخـدرة .. منهكـة .. ضعيفـة .. لا أسـتطيع أن أفعل شيئاً ، وأنت تقولين أنني كنت قد تمـاثلت للشـفاء ..! "

فربتت باسمه على كتفها لكي تهدئ من انفعالها ، وقـالت بهـدوء :

• " أنت لم تتركي لي الفرصة لأكمل .. لقد تم كل ذلك خلال فترة سـفر جوبيـتر ، لكنـه عندما عاد ولاحظ هذا التحسن عليك وعلى أسـامه أيضـاً ، بدأهـا بعقـاب الحارسـتين اللتين عينهما أسامه لتقوما على خدمتـك ، وجـرني مـن شـعري وأنـا أحمـل معـدات الكيف ، واندفع إلى حجرتك وأعطـاك الكيـف بنفسـه بعـد أن قيـد حركتـك تمامـاً بطريقة وحشية ، وما كنت أستطيع منعـه ، أو الدفـاع عنـك ، فقـد كـان في ثـورة غضـب .. التعامل معها بغير الطاعة العمياء معناه الهلاك لي وربمـا لـك أيضـاً ، وبعـد ذلك حاول الكلب أن يعتدي عليك ، لكنـك بـالرغم مـن سـريان مفعـول الكيـف ، قاومته بكل ما تملكين من قوة ، حتى لكأن هذا الجسد الممتلـئ صحـة وحيويـة ، والـذي

يستطيع أن يصرع ثوراً ، كانت رفسة منــك كفيلــة بــأن تجعلــه يــترنح كــالخروف ، ولهـــذا .. فقد كان يعد بنفسه حقن الكيف لك ، ويشـــرف بنفســه علـى حقنـك بهـا أمام عينيه ، وما كنت أستطيع إلا الطاعة العمياء ، لكــني أوضحــت لأســامه مــا فعلــه بالتفصيل ، وكان أسامه قد عقد عليك ، وعندما أرغمـــه علــى معاشــرتك ، وقــام هــو بتجهيزك له ، بعد أن كنت قد فقدت كل مقاومة ، أجبره أســـامه علــى تــرك الغرفــة ، حيث أصدر إليه أمراً في حالة هياج غير مسبوقة منــه ، جعلتــه ينصــاع بــدون تــردد ، وأثناء خروجه من الغرفة ، أصدر إليه أمراً آخــر بعــدم دخــول غرفتــك لا هــو ولا أي من معاونيه ، وصرح فقط لي وللفتاتين اللتين ســبق أن عينــهما لحراســتك .. "

وبدأت صفيه ترتب الأمور لنفسها ، ولكن بصــوت مســموع ، حــتى إذا مــا أخطــأت في ذلك ، تقوم باسمه بـــالتصحيح :

● " يعني أسامه لم يكن ينوي اختطافي ، وأن هذا الشيطان هو الـــذي أجــبره علــى ذلــك ، ذلك أن هذا الشيطان كان يريـــدني لنفســه ، حــتى يتخــذني وســيلة إذلال لأســامه ، والسبيل إلى ذلك لا يتم إلا عن طريق أسامه ، وأسامه مــا كــان لــه أن يقــوم بذلــك في حضوره ، لكن المخدر الذي كان قد تمكــن منــه جعلــه مســلوب الإرادة ، ينفــذ كــل تعليماته بدون مقاومة ، ويسكت عن بهدلتي دون أن يدافـــع عــني ، ولم يحــاول إنقــاذي من هذا الذئــب ، وتركه يعبث بأعراض بنات الناس حـــتى ولــو لم يكــنَّ شريفـــات ، أو من عائلات ، ثم صرح له بدفني حيـــة .. "

وقاطعتها باسمه مصححـــة :

● " لهذه قصة أخرى يا صفيه هـــانم ، لا تخلطــي الأوراق .. "

وانتظرت صفيه أن توضح لها باسمه هذا الأمر ، لكن انتظارها طـــال ، فـــهمت بــأن توجــه لها بعض العبارات تستحثها بها على الإفضاء بما لديها ، إلا أن باسمـــه بـــدأت الحديــث :

● " ماذا أقول لك ..؟ لقد شعر جوبيتر أن أسامه ينـوي إخراجـك مـن القصـر ثم إبـلاغ الشرطة ، فقرر أن يقتلك أولاً ، ثم يقتل أسامه بعد ذلـك ، لقـد شـاهدته وهـو يقـوم بتسجيل مجموعات من العبارات المألوفة التي كان يجيب بها على تليفونـات والدتـه الـتي كانت لا تنتهي ، وربما كانت هذه التسجيلات هي التي استغلها لمـدة ثـلاث سـنوات في الرد على تليفونات والدته ، هي المدة منذ مقتل أسامه تحـت عجـلات القطـار ، وحـتى أحداث الأمـس .. "

ثم استدركت باسمه فجـأة :

● " أنا لا أستبعد أن يكون جوبيتر هو الذي ألقى بأسامه تحـت عجـلات القطـار ، فالنيـة كانت موجودة ، ووجدها فرصة عندما اختفى أسامه ، لنعلم بعد ذلـك أنـه عنـد أهلـه بسـوهاج .. "

لكن صفيه فاجأتهـا :

● " أسامه لم يختفِ في سـوهاج ، ولم يكـن ذاهبـاً إلى هنـاك بإرادتـه ، ولكـن والـدي ومصطفى ، هما اللذان دبرا أمر اختطافه وإجباره على السـفر وعقـد قرانـه بي ، حـتى لا يخرج الجنين إلى الحياة بدون أب .. وقد وجداه مقتولا بعـد أن غـادر الـدار مطـروداً ، وقامت العائلة بدفنه كما يجب ، فهو من العائلة أولاً وقبل كـل شـئ ، ولا أحـد ممـن في البلدة يعلم بما حدث ، لولا ما نشرته الجرائد والـتي لم يكـن بمقدورنـا منعـها ، لكننـا ننوي إن شاء الله الرد على كل هذه الافـتراءات بمـا لا يجـرح المشـاعر ، أو يـؤدي إلى وجود شقاق عائلي .. لكن لا تدافعي عن أسامه ، فقد كان كلبـاً ، لا يقـل دنـاءة عـن هذا الجوبيـتر .. "

واعتدلت باسمه في جلستها ، استعداداً للدفاع عمـا تعتقـده صوابـاً ، ولـو أنهـا كـانت متحرجة ، فإن الدفاع عن أسامه بهذه الطريقة ، قـد يوحـي لهـذه الضحيـة بـأمور ليسـت صحيحة ، إذ ربما يخطر ببالهـا ، أن هناك علاقة مـا كـانت بينـها وبـين أسـامة ، لذلـك

عدلت عن فكرة الدفاع هذه ، وقررت أن تنهي المقابلة ، مكتفية بما زفتــه لهـا مـن بشـرى عدم اقتراب أحد منها سوى أسامه ، وأن هذا لم يتم إلا بعد أن عقـد عليـها ، بغـض النظـر عن استخدام الغش في ذلك ، ذلك أن صفيـه لم تكـن في وضـح يسـمح لهـا بـالقبول أو الرفض ، بعد أن استولى المخدر عليها ، وبعد أن كشف الكثـير مـن جسـدها أمـام أسـامه وذلك الكلب النجس جوبيتر ، فقالت لها وهي تتـأهب للوقـوف مودعـة :

- " كانت لك عندي أمانة ، هي وثيقة زواجك من أسامه ، وكـان لا بـد لي مـن تسـليمها إليك ، ولم يكن ذلك ممكنا إلا بعد أن أفرجت الشرطة عن أمتعـتي الـتي كـانت بذلـك الوكر ، وأرجو أن تتذكري دائما بأنني أنا التي أوحيت لأسـامه أن يعقـد قرانـه عليـك ، وعندما عدت لأزف لك البشرى ، كان المخدر قد استولى عليـك كليـة ، فمـا عـادت لك إلا الأنفاس التي تتنفسينها ، لا طعـام ، ولا شـراب ، وقـد قضـى ذلـك علـى مقاومتك تماما ، ولولا هذا لما تمكن أسامه منك ، ولقد كنـت أنـا الوحيـدة الـتي أتـولى كل أمورك هناك ، من تغذية بالحقن ، إلى اسـتحمام ، إلى ..كـل شـئ ، لكـني كنـت على يقين من أن أسامه تركك عـذراء .. "

وتعجبت صفيه ! كيف تكون باسمه بهذا اليقين ، بينما هـي كـانت حـامل ، فشـرحت لهـا باسمه إمكانية حمل العذراء ، وزادها بأنها كانت تقاومـه حـتى وهـي تحـت تأثـير المخـدر ، وهذا أمر غير مألوف ، هل يستطيع العقل البـاطن أن يتحكـم في التصرفـات رغـم غيـاب العقل الواعي ، أم أن التربية والثقافة والديـن ، يتحكمـون في التصرفـات البشـرية سـواء كان العقل واعيا أو غائبا ، وابتسمت لكي تلطف من الجـو الـذي شـحنته صفيـه بعباراتها الأخيرة ، ثم قـالت :

- " أو تدرين .. لقد أوحت لي حالتك هذه بفكرة رسالة الدكتـوراه الـتي أنـوي الحصـول عليها إن شاء الله ، لذلك ليتك تسـتطيعين أن تكتـبي لي مشـاعرك كاملـة عـن هـذه التجربة الفريدة ، التي نسأل الله أن لا تتعرض لها مخلوقة كائنـة مـن كـانت .."

ثم استدركت وقد ملأت الابتسامة وجهها ، فتألق جمالها الذي أخفاه تذكرها لبؤس المحنة ، وجفاء صفيه بهذا البغض في بداية اللقاء :

- " شوفي بقى يا ستي ، من نعم ربنا علينا انه وهبنا نعمة النسيان ، وأنا علشان أنسى الموضوع ده كلية ، تصورت أنني كنت قد فقدت الذاكرة خلال تلك الفترة اللعينة ، ولذلك تجاهلتك ، وتجاهلت كل ما حدث في هذا الوكر ، ونصيحتي لك ، أن تفقدي الذاكرة عن هذه المحنة ، وتعودي إلى نفسك ، والحمد لله إن ربنا رزقك بزوج عظيم زي مصطفى بك ، أنقذ وعالج وغفر وأصلح ما أفسده أسامه ، وعمل حاجات كثيرة قوي ، ربنا يخلهولك ، ذلك أنني لم أحظ بأقل منها من عبد الحميد خطيبي ، الذي يرفض حتى مجرد ذكر اسمي ، أعمل إيه .. حظي كده ، ده بالرغم من إنه هو اللي بدأ معي لعبة الإدمان القذرة ، قال إيه بحجة أن نزداد اقترابا من بعض ، بدأها بالمورفين من صيدلية مستشفى والده التي كان يعمل بها طبيبا ، فقد كانت خطوبتنا من النوع الأسري ، أبوه زميل وصديق لأبي ، وأمه كذلك بالنسبة لنا جميعا ..

- بس كل رجائي إننا إذا تقابلنا في أي مناسبة ، أن تتصرفي وكأننا لا نعرف بعضا ، ربما إيماءة بسيطة نعبر بها عن حبنا الذي فرضته علينا محنة ندعو الله ألا تتكرر ولا تحدث لعدو أو حبيب ، والنسيان هو أفضل شئ ، وعلى فكرة ، لقد استطعت أن أتعافى من الإدمان كلية قبل أن أشرع في علاج أسامه ، حتى تعافى هو أيضا من الإدمان .. وساعدت كثيرات من البنات ، أدعو الله أن يكون قد من عليهن بالشفاء .."

فأخذت منها صفيه وثيقة زواجها من أسامه ، وأمعنت النظر في التاريخ ، وحاولت المقارنة مع تاريخ القسيمة التي أظهرها مصطفى لها ، حتى لا تخجل من شريف ، وتتأكد من أنه ابن حلال ، وتعجبت ، هل ظلت حبيسته كل هذه المدة ، أكثر من ثلاثة أشهر لم يفكر أبوها واخوتها في البحث عنها ، أو لعلهم بعد ما أعياهم البحث ، فوضوا أمرهم إلى الله ، فمن كان يتصور أن المسكينة حبيسة ابن عمها في قصر جده لأمه ، واحتضنتها بحب ، وضيفتها ، ثم صحبتها إلى الخارج ، دون أن يشعر بها أحد سوى مصطفى .

وجلست تتدبر هذه المقابلة ، بدأتها بكيــف ؟ كيــف عرفــت باسمــه عنوانهــا ؟ لابــد وأن هناك من أعطاه لها ، وهل قدمت هي مــــن نفســـها ؟ أم أن هنـــاك مـــن أوحـــى إليـــها ، أو أمرهـــا ، أو طلب منها الحضور وتقديم هذه النصـــائح الغاليـــة ، أو ربمـــا لتعطيـــها قســـيمة زواجها من أسامه ، أو ربما لتثبت لها أنها عكـــس مـــا تظـــن ، فلابـــد وأنهـــا شـــعرت بكـــم الغضب والكره الذي تكنه صفيه لها ، فأبت إلا أن توضح لها أنهـــا ليســـت كذلـــك ، وتثبـــت لها كم الطهارة والبراءة التي تحتويه نفســـها ، وفي النهايـــة ، مـــا هـــي مصلحتـــها مـــن كـــل ذلـــــك ؟

وفجأة .. قفز عقلها إلى ما طلبته باسمه منها ، أن تسجل جميع خواطرهـــا عـــن هـــذه المحنـــة ، وعلى وجه الخصوص تحكم عقلها الباطن في تصرفاتها للمحافظـــة علـــى شـــرفها حـــتى وهـــي تحت تأثير المخـــدر ، هل هي فعلت ذلك ؟ بل والأهم من ذلك ، هـــل هـــذا ممكـــن ؟

لكن أسامه تمكن منها وحصل على شريف ، أي أن المخـــدر كـــان لـــه مفعولـــه في القضـــاء على مقاومتها تماما ، أكبر الظن أن أســـامه نفســـه لم يكـــن ليقـــوم بذلـــك ، فكيـــف لـــه أن يكشف ستر ابنة عمه أمام هذا الجوبيتر ؟ أو حتى أمام باسمـــه ، النخـــوة والشـــهامة الصعيديـــة تأبيان ذلك ، حتى وهو في أضعف حالات النفس البشـــرية انحطاطـــا ، ومـــن المؤكـــد أنـــه لم يفعل ذلك إلا في غياب تام لكل متلصص ، فما قالته باسمه يثبـــت أنهـــا كـــانت مطلعـــة علـــى كل ما دار بينها وبين أسامه في حضور جوبيـــتر أو في غـــير حضـــوره ، ولابـــد وأن أســـامه لم يفعل ذلك إلا بعد أن عقد قرانه المزيف عليها ، ربما لأنه كان يعلم مـــا قـــد يحـــدث لهـــا لـــو حملت دون ورقة المأذون ، أو أنه تمنى لو يحصل علـــى ابـــن أو ابنـــة منـــها ، ولا يريـــد لهـــذا الوريث أن يخرج إلى النور وهو ابن سفاح ، وربما لأنه كان يظن أنـــه لـــن يخـــرج مـــن هـــذه الأمور سليما ، فقد كان هو أيضا سجين هذا الجوبيـــتر ، لا يتحـــرك إلا في غـــير وجـــوده أو حسب أوامره التي كان يصيغها له طلبات أو يزينها له رغبـــات ، وهـــل كـــان لـــه الحـــق في مخالفته ؟ إنه لم يجرب ، وأكبر الظن أنه لو جرب لمـــا وجـــد غـــير الإذعـــان بـــدون اقتنـــاع ، وربما بغيره من وسائله الشريرة التي رأت بعضها علامات على وجـــه الفتـــاتين اللتـــين عينـــهما أسامه حارستين لها ، وطبعا هو لم يختارهما إلا بناء علـــى بنيـــة قويـــة وشـــكيمة تمكنـــهما مـــن الوقوف في وجه أي متلصص ، فماذا كان يمكن لأســـامه أن يفعلـــه أمـــام عضـــلات جوبيـــتر

المفتولة ؟ أو هذا الجيش الذي كانت تلاحظ أن عددهم يتزايد يوما بعد يوم ، وتتسمع جوبيتر وهو يقدمهم له بصفات وألقاب مختلفة في كل مرة .

ومن يجرؤ على اختطاف ابنة عمه له ، وغيرها كثيرات رغم أنها لم تر إلا باسمه وشوقيه وجمالات ، وبعض الخادمات ، لكنهن كن من الكثرة بحيث يصعب تصور قبولهن جميعا للعمل خادمات ، وكان البعض منهن على درجة كبيرة من الجمال ، لولا ما سببه الإدمان لهن من مسخ للوجوه ، ووجوم وتيه كأنهن ساحرات أو عبدة شيطان ، وبالرغم من كل هذا ، فإن القشرة الخارجية لا تستطيع أن تخفي كل الحقيقة ، حيث لا يمكن القول بأنهن لم يمتهن الخدمة في البيوت إلا مجبرات ، هي تعرف أنه ربما الإدمان هو الذي أجبرهن ، وهل للإدمان كل هذا الجبروت ؟ شكل معظمهن في الغالب بنات عائلات ، فالبشرة مازالت تتمتع ببعض النضارة التي تدل على هنئ العيش وحسن التربية ، لكن .. هل كان أسامه يعلم ذلك ؟ كما أنهن كن مطيعات جدا ، تنفذن الأوامر دون اعتراض ، وتقبلن بتحرش جوبيتر أو غيره بهن دون مقاومة ، وما هكذا تكون الخادمة المصرية ، خصوصا ما بعد السبعينات من القرن العشرين ، مع الوعي الذي كان يبثه التليفزيون أفلاما ومسلسلات ، ووجود بعض فرص العمل الكريمة في المصانع عاملات ، أو في المتاجر بائعات ، أغلب الظن أنهن لم يفعلن ذلك إلا تحت تهديد قصري ، وليس أقوى من قهر الإدمان الذي يجبرهن على الطاعة العمياء وعدم الاعتراض ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا يختطفها أسامه ؟ هل هو نوع من التشفي والتلذذ بوصوله إلى هدفه ثمنا لرفضها له ؟ لقد كانت هناك من الفتيات من يفقنها جمالا ، بل إن جمالها لا يقارن بجمال باسمه على سبيل المثال ، فضلا عن عائلتها التي تبين لها أن الوالدين أطباء ويدرسان بالجامعة ، ومن الواضح أنها سبقتها إلى هذا الوكر ، تحت وطأة الإدمان ، أو مختارة أو مختطفة ، المهم أنها كانت هناك قبل صفيه بمدة .

هل هو الحب ؟ وهل يؤدي الحب إلى الإجرام ؟ الحب سمو بالروح ، وعلو بمكانة المحبوب ، فالمحبوبة بالنسبة للحبيب كالقمر في السماء لا يستطيع أن يصل إليها ، ويكفيه التمتع بالنظر إليها كما يسعده النظر إلى القمر ، ويتمنى لها السعادة لا الشقاء ، والنعيم لا الجحيم ، لعله لم يكن هو الذي اختطفها ، ليتها تستطيع أن تتذكر تلك اللحظات ،

على الأقل تريح رأسها الذي يكاد ينفجر بحثا عن معان لها قيمـــــة ، تشـعر معـها بالأســف على ابن عمها ، وتتقبل شريفا ابنا منه ، وتتقبل الغانيـــة جـدة لشــريف ، وعليـه وحـده تقرير قبوله أو رفضه لها عندما يبلغ ذلك العمر الذي يخولـــه الحـق في القبـول أو الرفـض ، وحتى لا يلقي عليها اللوم عندما يكبر بأنها حرمته من جدتـــه ، ومـن أمـوال جدتـه ، ومـا أكثرها ، إن كان القصر الذي احتجزت فيه أحد مفرداتهـــا ، وثمنـه لا يقـل عـن عشـرات الملايين ، فكم تراها مئات الملايين الأخرى التي تذخـر بهـا حسـاباتها بـالبنوك ، أو ممتلكاتهـا الأخرى ؟ إن قيمة ما كانت تتزين به من ماس ومجوهرات تزيد كثـيرا عمـا يمكـن لتقديرهـا المتواضع حصره ، وهي كانت ذاهبة إلى سوهاج لرؤية ابنها الـــذي قـالوا بأنـه عنـد أهلـه هناك ، فكم تراه قيمة ما لم تتزين به لهـــذه المناسـبة ؟ أو تدخـره للـتزين بـه في مناسـبات أخرى ، سهراتها مثلا ، لكنها عرضـت القصـر للبيـع أو للإيجـار ، لعلـها تمـر بظـروف صعبـة ، أو أن المجوهرات ليست أصلية ، والأبهة التي تعيشها ليسـت مـن أموالهـا ، لعلـها من أموال زوجها ، ذلك الذي ذكرت اسمه بفخر أمـام ضـابط التحقيقـات ، وأعطـت لـه عناوينه الكثيرة والمتعددة ، في مصـر وفي أوربـا .

لقد شاهدت السيارة التي أقلتها عند خروجها مـن مقـر الشـرطة ، ويقودهـا لهـا هـذا الجوبيتر ، إنها كتلك التي تراهـا في الأفـلام الأجنبيـة ، ودائمـا لا يسـتعملها إلا زعمـاء العصابات أو كبار الأثرياء ، وفجأة تذكرت ، لقد رأت هذه السيارة مـن قبـل ، لقـد كـان بها أسامه ، حيث أوقفها إلى جوارها وهي تشير إلى سيارة أجـرة لتقلـها إلى سـكن الجامعـة لتأخذ حقيبة ملابسها ثم إلى محطة القطار لتسافر إلى سـوهاج ، لقـد كـانت تـدرس ، فمـا قصة عملها صحفية في مجلة كل العلوم ، نسـيت كـل شـئ ولم تتذكـر إلا الدراسـة الـتي قامت بها عن الراقصات وكادت تفقد المجلة ترخيصها ، ألهذا الحـد شـدتها هـذه المهنـة ؟ أو لعلها فقدت الكثير من خلايا الذاكرة مع الضعف الشديد الذي أصابهـا نتيجـة عـدم تناولهـا الطعام وهي في ذلك الوكر ، أو لعلها فقدت الذاكـرة فعـلا ، وإلا فكيـف تفسـر تقبلـها الحياة مع مصطفى باعتباره زوجا وأبا لابنتيها مريم ومـها ، وشـريف أيضـا ؟ هـذا لا يمكـن أن يحدث إلا إذا كانت قد فقـدت الذاكـرة فعـلا ، ووجـدت نفسـها في بيـت زوجـها مصطفى ، فلم تمانع به زوجا ، لقد سـألها الشـاهدان :

• " أتقبلين مصطفى زوجـــا .."

فتعجبت ، وسألت أمـــها :

• " أليس مصطفى زوجي فعــــلا ؟ "

ولم تعلق الأم حتى لا تصيب الابنة بعواقب لم تكن في ذلـــك الوقـــت علـــى اســـتعداد لهـــا ، بينما اعتبر الشاهدان أن تعليقها هذا موافقة منها على الــــزواج مـــن مصطفـــى ، وتم الـــزواج الذي ظنته هي قائما منذ ما قبل السؤال ، وربمـــا وحـــتى هـــذه اللحظـــة هـــي لا تعـــرف أن زواجها من مصطفى تم يوم أن سألها الشاهدان عن رأيـــها ، لكنـــها صدمـــت عندمـــا جاءتهـــا زوجة مصطفى السابقة لتعلن أن مريم ومها ابنتيها وليســـت هـــي أمـــهما ، ثم وبعـــد ذلـــك ، فوجئت بالبنتين وهما تعلنان أن شريف ليس أخوهما ، وظنـــت أنهمـــا يقـــولان ذلـــك باعتبـــار أنه ليس أخوهما من الأم ، ولم تعرف أنـــه ليـــس أخوهمـــا مـــن الأم وكذلـــك مـــن الأب إلا عندما طالعت الجرائد ، وتعلم أن مصطفى التقطها مـــن الشـــارع حـــاملا ، ثم أكدتـــه ســـهير المرعشلي أثناء التحقيقات عندما طالبتـــها بحفيدهـــا .

شريف ليس ابنا لمصطفى ، لقد أصابها هذا الخبر بصدمة كبيرة ، وأخـــذت تـــواري وجهـــها من مصطفى خجلا ، إلى أن أوضح لها مصطفى من هـــو والـــد شـــريف ، وأعطاهـــا قســـيمة زواجه منها ، لكن بقي السؤال الصامت الـــذي لم يعلـــن عـــن نفســـه بـــالرغم مـــن إظـــهار مصطفى لوثيقة زواجها من أسامه حتى يطمئنها إلى أن شريف ابن حـــلال ، وهـــا هـــي باسمـــه تظهر لها وثيقة زواج أخرى من أســـامه ، والوثيقتان تثبتان أن الـــزواج مـــن أســـامه تم قبـــل ولادة شريف ، فما هي أسباب وجودها في بيت مصطفى منذ ما قبـــل ســـؤال الشـــاهدين لهـــا ؟ إن الأمور متشابكة بشكل يصعب معه فهمها ، من تســـأل ؟ مصطفـــى الـــذي لا تريـــد أن تجرحه ، أم والداها اللذان يعيشان سعادتهما بهـــا وبزوجـــها وحفيدهمـــا شـــريف ، ووليدهـــا القادم ، وأخيرا قررت أن تترك الأمر لله ســـبحانه وتعـــالى ، لكنـــها وضعـــت يديـــها علـــى رأسها وهي تردد بلا وعي " لماذا كل هـــذا يـــا ربي ؟.. " .

٧- اتفاق زواج

حضر المهندس "حسني" يتقدمه عم محمد ليأخذ له الإذن بمقابلة مصطفى ، واصطحبه مصطفى إلى غرفة المكتب ، فأخرج المهندس مجموعة من ورق الكلك ، خط عليها الرسومات التفصيلية والتنفيذية للجناح الذي أمر مصطفى بتصميمه ليكون عش الزوجية لأخيه سعيد ، وبعد المناقشات والتعديلات ، نادى مصطفى أخاه وخطيبته ووالدته ، وأطلعهم على الرسومات ، والمكان الذي اختارته "منى" ليكون عشا للزوجية ، لكن سعيدا صمم أن يكون الجناح والأتيليه في إطار واحد ، على أن يحتفظ الأتيليه بموقعه الحالي ، وبذات الديكور الذي صممه له أخوه مصطفى ، فقد أعجب به الجميع بدون استثناء ، حتى خبير الفنون الدكتور الشنواني .

وناقش مصطفى معه الأمر ، فالبناء قديم ، ولا يستبعد أن يكون الصدأ قد أتى على حديد التسليح بما يجعله عرضة للهدم في أية لحظة ، وتدخل المهندس حسني طارحا رأيا أعجب به الجميع ، وهو أن يتم بناء هيكل للأتيليه ، بحيث يمكن بعد ذلك هدم السقف الحالي دون التأثير على الحوائط ، ويتم كسوة الحوائط من الخارج بالطوب الفرعوني ليشكل مع حوائط الجناح بناء واحدا .

حضر شكري بك وعائلته ، ورحب به الحاج وهدان بالطريقة السوهاجية ، حيث تلقاه بكل الود والمحبة التي يكنهما له ، فقد صفا بال الرجل ، وما عاد يقلقه شئ ، أسامه توفاه الله ، والخاطفون بين يدي العدالة والشرطة ، وخيب الله ظن زوجة مصطفى السابقة ، فابنته حامل وتتمتع بحياة أسرية سعيدة ، مع زوج محب ، وعائلة طيبة .

وأسرعت نازلي هانم تحتضن صفيه وتشبعها بالقبلات والتهنئة ، وكذلك فعلت مع مريم هانم التي قالت بكلمات مقتضبة ولكنها مقصودة :

- "العقبى لهدى هانم ، ونفرح بعروستنا منى .."

وتلقاها الحاج وهدان ، فقال بعد أن أخذ كلٌ منهم أقرب مقعد منه وجلس :

● " أيوه صحيح يا شكري يا خويا .. هي عروستنا مـــنى لســـه مـــا اتجوزتـــش ليـــه .. أنـــا عندي ليها مائة عريس ، تختار زي ما هـــي عـــايزة .."

فتنحنح سعيد ، وكأنما يقول لهم نحن هنا ، وعاتب شكري بـــك الحـــاج وهـــدان ، أن قـــال ذلك في وجود عريسها الدكتور سعيد ، فقال الحـــاج وهـــدان بعفويـــة :

● " طب ولما عريسها الدكتور سعيد موجود .. أمال مـــا اتجـــوزوش ليـــه ..؟ "

وشرح شكري بك للحاج وهدان الظروف ، وأن الخطوبة لم تتـــم إلا منـــذ يومـــين فقـــط ، وأن عش الزوجية الخاص بهما لم يتم بناؤه بعد ، فقـــال الحـــاج وهـــدان :

● " عش إيه .. وبتاع إيه .. إيه الحجج دي ؟ والبيت ده ماله .. ؟ مـــا هـــو واســـع ويكفـــي بدل العائلة مائة ، والا صفيه بتي مـــش رايـــده ..! "

فعلقت صفيه ســـريعا :

● " لا يا بوى .. بس مصطفى بيبني لهما جناحا خاصـــا بهمـــا في الجنينـــة .."

وهمهم الرجل بما يفيد أن هذا تعطيل لا يوجد ما يبرره ، ولمـــاذا لا يتـــم الـــزواج في الفيـــلا الحالية لحين إتمام الجناح الجديد ؟ ولماذا كتب عليهما الفـــراق ، والوفـــاق أســـهل ؟ وشـــكري بك ينظر إلى زوجته بما يفهم منه أن الرجل غير موافق على تواجد مـــنى مـــع ســـعيد وفي بيتـــه طوال اليوم تقريبا ، فما دام الأمر كذلـــك ، فلمـــاذا لا يتزوجـــان ؟ وعلقـــت نـــازلي هـــانم بصوت مســـموع :

● " هي العملية سلق بيض ، ده جواز يـــا شـــكري .."

وعلق مصطفى بهـــدوء :

● " الهانم إيه طلباتهـــا .."

وأفرغت السيدة كل ما يشغل تفكيرها ، فستان الفرح ، والأثاث ، وحجز قاعة في فندق خمس نجوم ، والفرقة ، والمغنيين ، والراقصة ، وأشياء كثيرة ، أهمها أن ينتهي بناء الجناح أولا . وحل مصطفى المشكلة ، فتحدث في التليفون ، وأخذ تأكيدات من مهندسيه ، بأن البناء سيكون جاهزا خلال أسبوعين أو ثلاثة على الأكثر ، وبالنسبة للأثاث ، طلب أحد أكبر محلات الأثاث ليرسل أحد مهندسيه ومعه الكتالوج لتختار العزيزة منى ما تشاء وسوف يتم شراؤه فورا ، وفستان الفرح ، ممكن شراؤه ، ولكن نازلي هانم أصرت على أن يكون تفصيلا ، فذلك يدخل الفرحة ، ويشيع البهجة ، فاقترحت صفيه أن تتولى ذلك ، وأيد شكري بك الفكرة ، فهو يعرف صفيه جيدا ، فقد كانت تقدم مع كل عدد من أعداد المجلة ، طريقة تفصيل وحياكة موديل جديد من الموديلات التي يدفع فيها مبالغ غالية جدا ، واقترحت صفيه على نازلي هانم وهدى ومنى ، مشاهدة أعمالها على الطبيعة ، حيث إن كل ملابسها وملابس العائلة حتى قمصان وسراويل مصطفى وسعيد من صنعها ، وأبدت الحاضرات دهشتهن ، بما فيهن مايسه ، فالملابس تدل على ذوق راق ، وحرفية ممتازة ، وشكرتها منى وكذلك سعيد .

وبقيت بعض الأمور التي أصبح لها أهمية قد تؤدي في بعض الأحيان إلى فشل الزيجة ، فاقترح مصطفى أن يتم عقد القران في أحد بيوت الله ومسجد الخوجه بجوارهم ، وملحق به صالة للاجتماعيات ، يتم إقامة الحفل فيها ، وعلى هذا فإن الحفل سيغلب عليه الطابع الديني ، ثم وبعد ذلك العشاء والحفل الفني في حديقة الفيلا ، ويبدأ يصف الخراف وهي تشوى على الفحم ، والسفرجية يقطعون حسب الطلب ، هذا طبعا إلى جانب الخضار السوتيه والبوفتيك والفيليه ، وأيضا البمية والكوسة بالباشميل والسلطات المصرية والسورية واللبنانية وجميع الأنواع ، والحلويات العربية والغربية ، وتورتة العروس بأي عدد من الأدوار ، لكن نازلي هانم أظهرت بعض التململ ، فبادر شكري بك بكياسته قبل أن تعرب زوجته عن معارضتها ، فأيد مصطفى مشيدا بالعرض الشيق الذي صوره بواقعية مقنعة ، لكن نازلي هانم التي لم يعجبها استجابة زوجها لكل ما يعرضه مصطفى ، ثارت بصوت عال :

● " إيه يا شكري ، انت عايزهم يفتكروا إننا بنرمي بنتنا والا إيـــه ؟ الفـــرح لازم يكـــون في فندق خمس نجوم ، وفستان الفرح لازم يتفصل عند أحســـن بيـــت أزيـــاء ، وكفايـــة إنـــه يكون من مصر ما فيش داعي يكون من بـــاريس أو رومـــا ، واحتفـــال ديـــني إيـــه اللـــي بيتكلم عنه مصطفى ، هو فـــرح والا جنـــازة ، الفـــرح مـــا يبقـــاش فـــرح إلا براقصـــة وفرقة محترمـــة .."

وقاطعها شكري بـــك :

● " أولا اسمه مصطفى بك يـــا هـــانم ، أو البروفيســـور مصطفـــى زي مـــا كـــل الجرايـــد والمجلات والمحافل العلمية وغير العلمية بيســـموه ، وألا الجليطـــة بتاعـــة أهلـــك حتطلـــع على أولاد الناس الكمل ، ثانيا الاحتفال الديني مش للجنـــازات يـــا جاهلـــة ، الاحتفـــال الديني للمناسبات الدينية ، والزواج من أهم المناسبات الدينية ، وبعديـــن أنـــا إيـــه اللـــي يجبرني أزنق نفسي في صالة في فندق ، والأكل ما أعرفش إن كـــان اللـــي بيعملـــه نظيـــف والا ، واللي بيقدمه نظيف والا ، وفستان الفرح لو لفيـــتي الدنيـــا كلـــها مـــش حتلاقـــي أحسن من صفيه هانم بنتنا ، اللي ايدهـــا تتلـــف في حريـــر ، ولعلمـــك .. كـــل بيـــوت الأزياء اللي حضرتك بتتكلمي عنها اتحايلوا عليها علشـــان تـــروح لهـــم ولـــو ســـاعة في اليوم وبمبلغ خرافي ، بس هي اللي كانت بترفض ، وألا يعني علشـــان مـــا الحاجـــة جايـــة بالساهل تبقى كخة ، وبعدين لا انت ولا أنا ، الرأي لمـــنى وســـعيد ، ورأى ســـعيد قبـــل رأى منى ، هو اللي حيدفع ، لو كنت انت اللي حتدفعي ، ابقـــي اتشـــرطي زي مـــا انـــت عـــايزة .."

وحسمت منى الموضوع ، حيث جلست هي وسعيد بجـــوار مصطفـــى ، وأكملـــوا الحديـــث في ترتيبات الفرح والزواج وشهر العسل ، وكل شئ ، للدرجـــة الـــتي جعلـــت نـــازلي هـــانم تكاد تنفجر من الغيظ ، بينما شكري بك ينظـــر إليـــها ، وكلمـــا شـــعر أن درجـــة الغليـــان وصلت للحد الذي يهدد بالانفجار ، زاد من اتساع عينيه ، وأظـــهر مـــن الحـــزم مـــا ينبـــئ باستخدام أسلوب هو أقرب للهمجية مـــن أي تعبـــير آخـــر ، فتنكمـــش في نفســـها ، إلى أن

ظهر كل هذا القهر في دموع بدأت تنهمر رغما عنها فأسرعت إليها مريم هانم وصفيه ، وأرغموا مصطفى على الاستجابة لكل طلباتها .

ونزولا على أوامر والدته وزوجته ، أعلن مصطفى أن كل ما تأمر به نازلي هانم مجاب . لكنهم اختلفوا على الراقصة ، مصطفى يرفض تماما وجود راقصة ، لكن أمام إصرار نازلي هانم ، تم الاتفاق على أن تكون الراقصة على نفقتها الشخصية ، وترقص للحريم فقط .

وانتهت السهرة بتحديد موعد للزواج ، وسوف يستخدم شكري بك نفوذه للحجز في أي فندق خمسة نجوم ، والاتفاق مع الفرق الفنية ، وسوف تتولى منى وهدى وصفيه ومايسه ، شراء كل ما يحتاجه العروسان من ملابس وأقمشة وإكسسوارات وخلافه . وحانت ساعة انصراف شكري بك وعائلته ، وجال الرجل بنظره في الأرجاء ، فلم يجد لابنته ولا عريسها أي أثر ، وتساءل بصوت حاول جاهدا ألا يعكس عصبيته ، فأسرع مصطفى يذكره بأن العرس سيتم إن شاء الله الأسبوع القادم ، فابتسم ابتسامة تعبر عن تقديره لذكاء مصطفى ، فقد فهم الرسالة ، لكن لا وألف لا .. لكل شئ حدوده وهي ليست له إلا بشرع الله ، وهذا لن يتم إلا الأسبوع القادم ، وظلت نظراته تجوب المكان يمنة ويسرة ، وفي كل ركن ، وكلما تحرك الركب كلما زاد بحثه وتنقيبه عنهما ، لم يترك مكانا حتى السقف ، وابتسم مصطفى ، والرجل على نظرة الدهشة التي كادت تفقده صوابه ، وشعرت نازلي هانم بالكارثة ، فأسرعت :

● " إنهما في البراندة .."

وعلق شكري بك وهو يتجه إلى البراندة :

● " في البرد ده !! "

كانا في عالم آخر .. الأيادي تشابكت ، وذكريات حب سنوات طويلة لا يمل القلب من الخفقان بها ، ولا تمل الأذن من سماع موسيقاها ، والهمس كزقزقة عصافير فوق

أغصان نضرة أشجار الربيـــع ، والدفء ينبعث من قلوب ملأها الحـــب حـــرارة مرجـــل بــه حديد منصهر ، فانعكس على الوجنات فصبغها باللون الأحمر ، ربمـــا مـــن حـــرارة الحـــب أو من أريج السعادة ، إلا أن الزمن توقف ، فلحظات الحـــب لا تقـــاس بزمـــن ، إنهمـــا في عـــالم آخر ، لا يشعران فيه إلا بالا وجود ، لا يريدان أن يفترقـــا ، ولا يريـــدان لتلـــك اللحظـــات أن تنتهي ، وحاول شكري بـــك أن يشـــعرهما بوجـــوده ، فيعمـــهما شـــيء مـــن الحيـــاء ، ويعملان له الاعتبار المناســـب ، لكـــن محاولاتـــه ذهبـــت أدراج الريـــاح ، فتدخـــل بصوتـــه الأجـــــش :

● " إيه ده يا أولاد .. انتو مش حاسين بالـــبرد والا إيـــه ؟ .."

وأجابت منى والخجل يغلف صوتها ، وحمرتـــه تعلـــو وجنتيـــها ، وقـــد انتفضـــت مذعـــورة كأنما صدمتها كلمات أبيها بصاعقة ، أفاقت عليـــها مـــن الرومانســـية الحالمـــة الـــتي كـــانت تغلف جلستها مع حبيب القلب ، ثم تذكرت أنهمـــا مخطوبـــان ، وأنـــه تم تحديـــد الأســـبوع القادم موعدا ليجمعهما عش السعادة الزوجية ، وما كان أبوها ليهتم بمـــا يحـــدث بـــين أحمـــد وهدى بعدما تحدد موعد الزفاف ، وبـــالقطع لا بـــد وأن هـــذه الأمـــور تســـعده ، لكـــن ليس إلى هذا الحد ، لابد أن يكون هنـــاك ضوابـــط :

● " برد .. برد إيه يا بابا .. دي الدنيـــا ربيـــع .. "

وأكمل شكري بك ، حتى يخفف من حـــدة عصبيتـــه :

● " والجو بديع ، قفلوا بقى على كل المواضيع ، وهيا بنـــا الوقـــت ســـرقنا .. والله الحقيقـــة إن الواحد ما راغبش يغادركم ، لكن بقى لكـــل شـــئ أوان .. "

وبدأت منى تتحرك ، مبتعدة ببطيء ، وقلب سعيد يتحرك معـــها " بـــذات الـــرتم " وعينيـــه تحولت إلى دائرتين تتابعالها بشوق ينفطر له القلب ، ويدها تنســـل مـــن بـــين يديـــه بتثـــاقل ، كأنما لا يريدها أن تنفلت منه ، وشكري بك على جمر ، بـــين مبادئـــه الـــتي تجـــره إلى مـــاضي بلدته في أقاصي الصعيد وتقاليدها ، وبين مدنية هـــذا الزمـــان ، ومـــا يكتبـــه في مجلتـــه عـــن

الحرية الاجتماعية التي يجب أن تسود ، رغم استغلال البعـــض لهـا بأســلوب خــاطئ ، وقــد ربى بناته على الحرية ، ولم يفعلا ما يجعله يأسف عليها ، ولكـــن ذلـك الـــذي يــراه أمامـــه ، أكثر مما يحتمل ، رغم محاولته اليائسة أن يتجاهله وينشغل بـــأي شـــئ آخـــر ، وأخـــيرا أقنــع نفسه بأنها في حكم زوجته ، وتذكر كم هو أخوه مصطفى علـــى هـــذا القـــدر مـــن الشــهامة والرجولة ، فهذه العائلة ، الخيانة ليست من طباعهم ، ومن يتزوج مــــن امـــرأة التقطـــها مـــن مقبرة ، وتحمل كل هذه المشاق من أجلها ودفاعا عنها ، وأخـــيرا يعـــامل أهلـــها بكـــل هـــذا الكرم ، لا يمكن لأخيه إلا أن يكون على نفس الشاكلة ، ويكفـــي أنـــه انتظـــر كثـــيرا حـــتى وفقه الله وتقدم لخطبتها ، ويكفي أنه لم يترك الفرصة تمـــر دون أن ينتـــهزها ، حـــتى لا يرفـــض طلبــــه .

همس ســـعيد :

● " صباح الغد مبكرا .. لدينا أعمال كثيرة لابـــــد وأن ننهيـــها .. "

وأجابت بإيماءة من الرأس ، وابتسامة خجلة ، وشـــكري بـــك يتســـمع ، ويتظـــاهر بأنـــه لا يسمع ، ولم يعلق ، فقد فضل الرجل ألا يكون العزول الذي يـــهدم اللحظـــات الجميلـــة الـــتي شاء الله أن تجمعهما في هذا المكان ، ثم وجد أنه من الأفضل لـــــه ولهمـــا أن لا يشـــعرهما بأنـــه سمع أو رأى شيئا ، فأسرع يخطو نحو الباب الخارجي للفيــــلا ، تتبعـــه عائلتـــه ، بينمـــا ســـعيد يلاحقها محاولا الإمساك بيدهـــا المترددة المرتجفـــة ، ولكنــــها أســـرعت مـــن خطواقمـــا حـــتى لحقت بوالدها ، وحاولت أن تلف يدها حول خصره تحتضنــــــه ، لكـــن أنى لهـــا أن تصـــل إلى الطرف الآخر من ذلك الخصر ، فنظر إليها وابتســـــم ولـــف هـــو يـــده حولهـــا فاحتواهـــا ، فأسندت رأسها إلى صدره معبرة عن سعادتها ، فطبع قبلة علـــى رأســـها معـــبرا عـــن ســـعادته بها ولها ، ولسان حاله يقـــول :

● " أن لكل شئ حدودا يا بنـــت شـــكري . "

٨- ماي سيتو

شعر مصطفى بحركة غير عادية في الحديقة ، فنهض مسرعا ليستكشف الأمر ، وفوجئ بالدكتور ناجا سيتو يتريض ، وتعجب أن هناك من يفوقه نشاطا . وبمجرد سماع آذان الفجر ، دبت الحركة في الفيلا ، فاصطحبهم إلى الصلاة ، وبعد الإفطار ، أعرب الدكتور ناجا سيتو عن رغبته في حديث هام مع مصطفى ومايسه ، وتعجب مصطفى أن الدكتور استخدم اليابانية ، فهم في الغالب لا يستخدموها أمام من لا يعرفها حتى لا يساء الظن بما يقولون ، فاصطحبه إلى غرفة المكتب وتبعتهم مايسه .

بدا مترددا على غير عادته ، وأخذ يلملم شتات نفسه ، لكنه انفجر أخيرا في شبه ثورة :

- " أنت السبب ، فلولا عنادك وتحديك لتقاليدنا ، وإصرارك على السفر بماي سيتو إلى بلدك ، لما حدث كل ذلك .. "

ولاحظت مايسه الدموع تتجمع في ركن من عينيه ، لم يستطع الإطار السميك للنظارة الطبية أن يخفيها ، وأظهر مصطفى دهشته ، فقد بدأ كلامه بدون مقدمات ، وهاهو يلقي عليه التهم جزافا ، إنه لا يعرف عن ماذا يتحدث ، وأسرعت مايسه إلى خالها تحتضنه ، فقد شعرت بأنه يريد أن يعترف ، هكذا تعلمت من عاداقم ، عندما يثقل الذنب على ضمير أحدهم ، يواجه نفسه بذنبه ، إما أن ينتحر أو يعترف ، ولكن ذنبه مع مصطفى كان أكبر بكثير من سنوات تحمله له ، وأكبر بكثير من أن يواجه نفسه به ، وقد ظن أن وجود مايسه إلى جانب أبيها في القاهرة قد يخفف من حدة شعوره بثقله ، لكن هيهات .

وأسرع مصطفى محاولا تهدئة انفعالاته ، لكن الرجل ازداد بكاؤه الصامت ، ويده تبعد مصطفى عنه برفق يصاحبه ضعف عمره ووهن جسده ، ولا يزال يردد عبارة أنت

السبب ، أنت السبب . وفهمت مايسه ما يجول بخاطر خالها ، فحاولت أن تخفف عنه حمله :

• " خالي .. هذا موضوع قديم ، فلا تجدد الأحزان .. "

نظر إليها نظرة حنان ، واحتضنها ، والكلمات تتساقط من فمه :

• " إنه من أجلك يا " ما " .. إنه من أجلك .. "

وكفكف دمعه ، لكنها أبدا لا تكف ، ثم بدأ يسرد قصة هروبهم بماي سيتو من بيت مصطفى في طوكيو ، ومصطفى يحاول معه أن يجعله يكف عن الحديث ، ويخفف عنه ثقل ما يريد أن يفرغه من أحداث ، لكن مايسه انفجرت باكية ، وقد تذكرت مشاهدها لوالدها وهم يحرقون جثمانها ، وهي تبحث عن أبيها ليمنعهم ، لكنها لم تجده ، وبدأت تخرج الكلمات من فمها دون شعور :

• " أبي .. دعه يقول ما حدث ، أريد أن أعرف .. بل من حقي أن أعرف ، لقد رأيتهم يحملون أمي ، ويضعونها على المحرقة ، ويشعلون النار في جسدها ، وأنا أبحث عنك لتنقذها منهم ، ثم ساورني الخوف أن يقوموا بحرقي أنا أيضا ، فأسرعت أختبئ ، ومن أختبئ عنده إلا أنت ؟ لكنك كنت غائبا ، ومن أحتمي به سواك ؟ ولكني لم أجدك ، ظننتهم فعلوا بك ما فعلوه بأمي لولا خالتي التي احتضنتني ، وأفهمتني أن هذه هي طقوسهم ، ولم تتركني إلا بعد أن وضعت بصمة كبيرة من الجفوة بيني وبينك مما زاد من بلواي ، فقد أفهمتني أنك تركتني وسافرت إلى بلدك ، وكنت على وشك أن أكرهك وأكره بلدك ، فأنت تعلم جيدا كم كنت متعلقة بك ، وعصفت بي الأسئلة والتساؤلات ، كيف طاوعك قلبك أن تتركني وحيدة ، حتى دون كلمة وداع ؟ لقد تصورت أن وجودك مهم في حياتي ، وأن وجودي مهم في حياتك ، بل إنه وبعد فقداني لوالدتي لم يبق لي سواك ، كيف طاوعك قلبك أن تتركني وحيدة بلا أب ولا أم في بلد ليست بلدي ، ومع أهل يحرقون أعز الناس لديهم ؟

● ولم أصدق خالتي ، فمن تقدم على الاشتراك في حرق أختها لا يمكن أن تكون صادقة فيما تقول ، ولو كنت بهذه القسوة حقا ، لاشتركت معهم في إحراقها ، وشعرت بأنهم يخفون عني الحقيقة ، وأن مصيري هو نفس مصير أمي ، ولن ينقذني منهم سواك ، وعندما حضر خالي ، قال لي الحقيقة كاملة ، وعرفت منها أنك لم تتركني وتهرب ، ولكنك ربما لا تعرف مكاني ، ورجوته أن يخبرك بمكاني ، ويحضرك إلي ، أو يأخذني إليك ، وكان يسوف ، لولا إصراري الذي استكان فترة ، حالما تجدد بمجرد نشر أخبار اكتشافكم الذي نقلته لنا الأخبار من جميع دول العالم ، وتذكرت أن مصطفى الخوجه هذا هو أبي ، وأن سعيدا الخوجه هو عمي ، كيف تهنأ لي الحياة بعيدة عنهما ؟ والعالم كله يتمنى ، مجرد تمني أن يتعرف بهما !! "

وسارع مصطفى باحتضانها عندما انفجرت باكية ، ولم يتمالك نفسه فقد انهمرت دموع تغرق عينيه ، وأمام هذا لم يجد خالها إلا أن ينطق ببعض كلمات المواساة :

● " ما " .. أنت تعلمين أن أباك لم يتركك مختارا ، لقد ذهب يستنجد بالسفارة المصرية لكي تستخدم نفوذها ، وتساعده في السفر بكما إلى القاهرة ، فقد كانت والدتك تحتضر ، وهو مصمم على أن علاجها في مصر ، كما سبق أن عولجت في المرة السابقة ، وأنت تعلمين أننا بلد علم ، ولسنا بلد خرافات ، وإصابات والدتك بإشعاع قنبلة هيروشيما كانت واضحة ، ومهما فعل كهنة آمون ، أو سحرة موسى ، فما كان لهم أن ينقذوها ، وكان علينا أن نطهر جسدها من آثام الدنيا ، حتى تحل روحها في جسدك بدون آثام ، أما هو فقد أقام حجته على سابق علاجها في أرض النوبة ، فإذا لم يشفها ربه ، فقد أوصته أن تغسل وتدفن وفقا للشريعة الإسلامية .. "

وقاطعته مايسه :

● " أليس هذا حقها ؟ أن تطلب أن يفعل بجثتها ما تشاء ، ألم تكن أمي مسلمة .. ؟ لماذا لم تحترموا عقيدتها .. ؟ لماذا تسمحون للعقائد الأخرى أن تتمتع بحرية العبادة

والطقوس ، وتحرموها على الإسلام ؟ لم أعرف عنكم التعصب الديني ، لقد كان أبي محقا في أن يستعين بالسفارة المصرية لتحميني وأمي من همجيتكم ، ألسنا مصريين ؟ .. وتدعون أنكم بلد علم ، وهل في العلم حرق جثث الموتى ، وإحلال الروح في جسد الأبناء ..!! أليست هذه هي الخرافة بحقيقتها ؟ "

وأجاب ناجاسيتو بهدوء :

- " لقد خشيت العائلة أن يأخذك منا ، وأنت تعرفين كم كانت جدتك تحب والدتك ، ولما أثقلَ على ماي سيتو المرض ، تصورت أن روحها ستحل بك بعد رحيلها ، فأنت أغلى شئ عند أمك بعد والدك طبعا ، والروح لا تحل إلا بالأبناء أو الأحفاد ، هذا بالإضافة إلى أنك كنت تشبهينها إلى حد كبير ، لولا العينان التي ورثتهما عن جدتك مريم هانم ، ثم أن أباك أسماك مايسه ، وكان الجميع ينادونك " ما " ، وهو ما كنا ننادي به والدتك ، وبهذا ، لم ينقطع مناداة اسم والدتك حتى بعد وفاتها ، وما كانت جدتك لتسمح ببعدك عنها مهما كلفها الأمر . "

كانت مايسه تستمع ، وصور الذكرى المحزنة تكاد تقطع أحشاءها ، وحرقة القهر الذي عانت منها وهي في الرابعة تلهب مشاعرها اليافعة بسياط من العذاب تكاد تقضي على كل ما قد يكون من روابط مع هذه العائلة التي لم تراع صغر سنها ، وارتباطها بأمها ، وبعد أبيها عنها ، تصورت ما حدث وكأنهم لا يكنون لأمها أية محبة ، يحرقون أمها أمام عينيها وهي عاجزة عن إنقاذها ، وأب يتركها وحيدة معهم ، ولا تعرف إلا بعد مدة طويلة أنهم هم الذين أبعدوها عنه ، أي مصير هذا الذي ينتظرها ؟ إذا لم تكن ابنتهم غالية عليهم بالقدر الذي يجعلهم يحرقونها ، فما بالهم بمن هي ليست ابنتهم ؟

وشعر مصطفى بما يفتعل في قلبها ، فقد أخذ صدرها يعلو ويهبط بسرعة كبيرة ، خشي عليها من أن تصاب بأي أزمة مرضية ، فاقترب منها ما وسعه الاقتراب ، واعتصرها إلى قلبه وهو يهون عليها المصاب ، ودموعه تنهمر بحورا على خدها وشعرها دون أن يشعر ، ودون أن تشعر هي بها ، حارة بحرارة حبه لها ولأمها ، ملتهبة بلهيب النار التي

أحرقت حبيبة قلبه ، تعذبت المسكينة وهي على قيـــد الحيـــاة بإشـــعاعات قنبلـــة هيروشـــيما التي ألقاها الأمريكان بعد استسلام اليابان وكأنما لتؤكد أمريكـــا هيمنتـــها علـــى العـــالم بهـــذه القوة الغاشمة ، ودموع التماسيح تقطرها حزنا على ضحايا الجـــوع في العـــالم الثـــالث ، ذلـــك العالم الذي كتب عليه أن تكون ثرواتــــه نهبـــا للـــدول الغنيـــة ، وأن تكـــون ســـوقا جيـــدة لمفاسدهم ومنتجاهم ، ويشيعون بين أبنائــــهم أن دول العـــالم الثـــالث هـــي الـــتي تســـخرهم لينتجوا ما يتمتعون به من مزايـــــاه .

وعذبت مرة أخرى بعد وفاتها بنيران إحراق جثمانها ، ولكنه تذكر أنهـــا فعـــلا بذلـــك قـــد تطهرت كلية من أية ذنوب أو سيئات ، ولو أنه لم ير لهـــا ذنوبـــا أو ســـيئات ، وإنمـــا حياتهـــا معه كانت كلها كرما وعطاء وعبادة ، وحتى ما قبلــــه ، فـــهو لم ولـــن ينـــس اليـــــد الـــتي أخذت بيده في خطواته الأولى باليابان ، ولن ينسى الرخـــاء الـــذي جلبتـــه معـــها ليـــس لـــه فقـــط ، وإنما لكل عائلته ، عندما أعلنته بحبـــها واســـتعدادها للـــزواج منـــه ، ولـــن ينســـى حياته معها التي كانت كلها حب وتضحية وفداء ، ولن ينســـى عذابهـــا في مرضـــها ، ثم بعـــد وفـــــاتها .

لذلك خرجت كلماته قنابل ورعودا وهو يحمل ناجا سيتو مســـئولية كـــل هـــذه الأحـــداث المؤلمة المؤسفة ، فالدين الإسلامي يحرم التمثيل بجثث الموتى ، وربمـــا كـــل الشـــرائع الســـماوية كذلك ، ويكفي احترام قدماء المصريين للموتى بـــالقدر الـــذي عظمـــوا بـــه شـــعائر الدفـــن والذكرى " أخمسة وأربعينات وســـنويات " ربمـــا تمتـــد حـــتى الممـــات ، والأجـــداث تحـــت الأرض ، ولكنها في غرف ، يتفنون في زخرفتها ، والاهتمام بها ، حـــتى أيامنـــا هـــذه .

والشعب المصري الحالي ينتمي إلى الطين الذي خلق منه هـــؤلاء العظمـــاء ، الذيـــن لم ولـــن تصل المدنية الحديثة بكل ما تحمل من تقدم تكنولوجــي إلى عشـــر التقـــدم الـــذي حققـــوه ، وما فرعنة فرعون إلا نتاجا لهذا التقدم ، لقد سمي حمزة رضـــي الله عنـــه ســـيد الشـــهداء ، لأن هندا زوجة أبي سفيان مثلت بجثته في الجاهلية ، فما أصعـــب أن يـــرى مســـلم أخـــاه يحـــرق دون أن يمد له يد المساعدة ، حيا كان أو ميتا ، فما باله والمغـــدورة زوجتـــه ، حبيبـــة قلبـــه ، انتزعوها وابنته بعيدا عنه ، ليقترفوا جريمتهم البشعة بعيدا عن ســـلطان ســـفارته الـــتي ذهـــب

يستنجد بها ، وهل كانت السفارة بل والحكومة المصرية كلها لترضى بأن تحرق جثة مصرية توفت ؟ حتى ولو كانت قد اكتسبت الجنسية المصرية بالزواج من مصري ! وهل يقبل القانون المصري أن يمثل بجثة مصري ميت ؟

صب غضبه كلمات تخللتها لهنهات حزنه وقهره ودموعه ، قال لناجا سيتو ما لم يستطع أن يقوله طوال هذه المدة ، ذلك أن إكرام الضيف واجب ولا يجوز أن تجرحه المشاعر مهما بلغ الحزن أو الشجن ، قال له :

- " لقد كان في إمكانك الاتصال بي لتعلمني بمكانهما ، أو في أسوأ الأحوال ، كان في إمكانك إخطار السفارة المصرية ، فماي سيتو مصرية حصلت على الجنسية بعد زواجها مني ، ولديها جواز سفر مصري ، تماما كما هي مايسه مسجلة منذ ولادتها مصرية ولها جواز سفر مصري سافرت به عدة مرات إلى مصر ، وكان من الواجب إثبات وفاة ماي سيتو في السجلات المصرية وكان من الواجب تسليم جواز سفرها بعد وفاتها حتى ولو دفنت ولا أقول أحرقت في اليابان ، وكان من الواجب إحضار مايسه إلى مصر لتعيش مع أبيها وأهلها ، ولا أدري كيف بعلمك وأبحاثك تسمح بهذه الأعمال الوحشية ؟ وتشجعهم على الهروب من محاولاتي إنقاذها كما حدث في المرة السابقة ، وأنت أول من شهد بعبقرية أطباء مصر الذين يعالجون بالطب العربي والطب المصري القديم ومواد التحنيط ، والدفن في رمال صحراء مصر وفي طمي النيل ، بل لقد أوصيت أكثر من مصاب باتباع نفس أسلوب العلاج ، ثم تأتي اليوم وتدعي البراءة ، وتدلي باعترافات هي في شريعتنا جرائم ، بدعوى أنك تريد أن تطهر نفسك من آثام أنت السبب فيها ، وتبحث عن ضحايا لتلقي عليهم باللوم أي علم هذا الذي تعلمته ؟ إذا لم يكن العلم مفيدا للبشر فلا فائدة منه ..! "

وكان لهجوم مصطفى على خالها بعض العزاء ، فقد قال له ما كانت تتمنى أن تقوله هي ، ثم أنها تمالكت نفسها بعض الشيء ، فهمهمت تحدث نفسها بصوت يكاد يكون مسموعا ، تجتر بعض ذكرياتها المؤلمة التي ترتبت على هذه الأحداث المؤسفة :

• " وأنا في العاشرة ، نظمت المدرسة رحلة إلى طوكيو ، ومرت الحافلة أمام بيتنا ، ومن العجيب أنني تذكرته كما لو لم أبرحه غير البارحة ، فما كانت أيامي معكما لتغيب عن بالي لحظة من ليل أو نهار ، وتذكرت حياتي في ذلك البيت الواسع ، والحديقة المترامية الأطراف حوله ، ولا أدري ، كيف واتاني هاجس بأنك ربما تكون بالداخل ، فصرخت في السائق أن يقف ، وانزعجت المشرفة على الرحلة ، فقد تصورت أن أمرا جللا قد حدث .

• ولكن بمجرد أن أوقف السائق الحافلة ، خرجت منها أعدو إلى الباب المغلق للفيلا ، ولم أجد "سوبو " البواب ، ولا "ساهي" الجنايني ، وبح صوتي من ندائي عليك وعلى أي من الخدم ، وأسرعت المدرسة إلي ، وحاولت أن تتفهم الموقف بشيء من الهدوء ، وبحثت معي عن طريقة للدخول أو معرفة ما حدث ، وتصادف مرور جارنا " السيد كيوكي " ، لعلك تذكره ، فقد كنتما أصدقاء ، تعلقت به والرجل ينكرني ، ولما عرفته بنفسي ، عانقني عناقا حارا ، وهو يسألني عن أخباركما ، فمنذ أن رأى والدتي وهم يخرجونها على نقالة ، وبعد بحثك المستميت للتعرف على أخبارنا ، وبعد أن صرفت الخدم ، وبعد أن أوصيت الجميع أن يبلغوك بأي خبر عنا بمجرد معرفتنا به ، سافرت يائسا .

• وأراد مستر كيوكي أن يأخذ عنواني ليرسله إليك ، لكن مدرستي رفضت ذلك ، وطلبت منه أن يتصل بأهلي ليعطوه العنوان ، وسأل الرجل عن عنوان أهلي أو كيف يتصل بهم ، لكن المدرسة رفضت وتركته وانصرفنا . وتفهمت مدى ما تعرضت له من خداع ، فقررت العودة إلى منزلنا في طوكيو وحدي ، ودون علم من أحد ، وتسلقت السور ، وفتحت الأبواب عنوة بمساعدة جارنا " السيد كيوكي " ، ومن حسن الحظ أنه كان مدينا لك بمبلغ كبير من المال ، أنفق الرجل منه على إيصال الخدمات ، الكهرباء والماء والتليفون ، وإصلاح ما يلزم ، وقام بالاتصال بك في القاهرة ، لكنه لم يجدك ، والرجل لا يعرف غير اليابانية ، فلم يستطع التفاهم مع أحد ، وأنا كنت قد نسيت العربية التي تعلمتها منك ، فقررت أن أتعلمها من جديد ، حتى أستطيع أن أتصل بك وأعلمك بمكاني . وقد بحثت عائلة والدتي عني ، وعندما

أخبرهم المدرسة بما حدث في طوكيو ، أسرعوا إلي ، ولم نغادر منزل طوكيو منذ ذلك الحين . "

ومصطفى يحتضن ابنته ويبكي لبكائها ، وللذكرى التي ألمت به ، والحزن الذي لم يفارقه منذ أن فارقاه ، بينما ناجا سيتو سيطرت عليه حالة من العجب ، كيف احتفظت مايسه بكل هذه المشاعر طوال هذه السنوات ، ولم يتصور أن عناصر الوراثة ستتغلب على التربية ، إن حياهم في اليابان عمل .. أما المشاعر ، فإنها تكاد لا تحتل كل هذا الحيز من التفكير أو من العقل الباطن ، وكلما تقادمت الأحداث ، كلما تعرضت للإهمال المطلق ، ووجد أن لمايسه الحق في أن يقدم اعتذارات تتناسب وما أصابها من أحداث :

● " تصورت أن الزمن كفيل بأن ينسيها .. لكن أبدا .. ما إن انتقلنا إلى منزل طوكيو ، حتى جابت كل غرفه باحثة عنك ، ورغم علمها بل وتأكدها من عدم وجودك ، إلا أنها كانت تتحسسك ، وتشعر بك ، بالأثاث الذي ظل على حاله ، بنظام المنزل الذي لم يتغير ، وبملابسك التي تركتها ، وبما أن التقليد الذي نعتقده ، بأن الملابس تنادي صاحبها ، فقد احتفظت بها وهي متأكدة من عودتك .. "

وأكملت مايسه :

● " ركزت في تعلمي للغة العربية على سؤال وحيد وأساسي ، أين السيد مصطفى الخوجه ؟ وعبارة أبلغيه أن مايسه ابنته اتصلت وتريده أن يتصل بها على رقم .. ثم تعلمت فيما بعد كلمات الترحيب والرد على كلمات المجاملة تحسبا من أن ترد على جدتي أو عمي سعيد ، وعجيب أمر تليفوناتكم ، فإذا تغير الرقم ، لا يستطيع المرء أن يعرف الرقم الجديد ، فكانت أرقامك كلها رنين بلا رد ، حتى انتابني اليأس ، ولولا ذلك الكشف الذي نقل لنا التليفزيون الياباني مقتطفات منه ، ورأيتكما أنت وعمي سعيدا ، وقرأت اسميكما حتى دفعت بجواز سفري إلى من يجدده لي بالسفارة المصرية ، وقام بالحجز بعد أن استأذنت خالي ، الذي صمم على اصطحابي .. "

وقاطعها ناجا سيتو :

● " لقد قرر مجلس إدارة شركتنا ، التعاقد معكما لاستغلال هذا الكشف في اليابان ، فأنت تعلم كم نحن في حاجة إلى مثل هذه الاكتشافات لما لها من أهمية في تدبير البروتين الحيواني ، بدون مشاكل تربية الماشية ، خاصة وأن المجلس لاحظ التشابه بين اسميكما واسم الشركة .. فأنت تعلم أنك أسميتها الخوجه وكازو ، فما رأيك ؟ "

كانت مايسه قد أعادته إلى طوكيو بحديثها عن منزلهم هناك والجيران وكل شئ ، فلم ينتبه لسؤال الدكتور كازو ، فاحتضنته مايسه ، لتعيده إلى القاهرة ، ولما تساءل عن الموضوع ، قالت مايسه :

● " إن الشركة التي يتحدث عنها خالي ، هي شركتك التي تركتها لي في طوكيو ، فقد استخدم خالي الأموال التي تركتها لي في البنوك في إعادة هيكلتها ، وأصبحت الآن من أكبر شركات الإلكترونيات في اليابان ، وربما في العالم .. "

وأكمل ناجا سيتو :

● " ليس فقط الإلكترونيات ، ولكن هناك أعمال أخرى كثيرة غير الإلكترونيات .. "

وظهرت علامات الدهشة على وجه مصطفى ، ما هذه الأخبار التي تظهر فجأة ، شركة صغيرة كان يديرها هو وماي سيتو ، تصبح من أكبر الشركات في اليابان ، وربما في العالم ، بإعادة الهيكلة وإدارة ناجا سيتو ، ولاحظت مايسه شروده ، فأضافت :

● " إن خالي ناجا سيتو هو رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب للشركة .. ذلك أنني لم أبلغ بعد سن الرشد ، وإلا لكنت أنا رئيس مجلس الإدارة ، فإن حجم استثماراتي بها يزيد عن النصف بكثير ، فأنا أمثل حصتك في الشركة ، وكذلك نصيبي من ميراث حصة أمي .."

وتدخل ناجا سـيتو :

- **" وكما قالت " ما " فإنها تملك غالبية رأس المـال ، ولذلـك فإنهـا عضـو مجلـس الإدارة المسئولة عن الأبحاث بالشـركة ، ولا تتصـور أنهـا عضـو مجلـس إدارة لأنهـا شـريكة وفقـط ، إن الفصل بين الملكية والإدارة أمـر هـام لنجـاح المشـروعات ، كمـا أنـني لست شريكا بالشركة ، فقد احتفظت بها لكما ، أنـت و" مـا " ، ولـولا كفاءتهـا ، لمـا قبلناها في هذا المركـز .. "**

وأطرق مصطفى برهة وهو يتسـاءل :

- **" لكن لك الحق في نصيبك من حصة أختك حسـب الشـريعة الإسـلامية .. "**

لكن ناجا سيتو أفاده بتصميمه على تنازله عن نصيبه لما ، ولـو أن هـذا التنـازل في وصيتـه فقط ، حتى يحتفظ للشركة باسمها ، ويكسبها شرعيتها اليابانيـة ، ذلـك أن مايسـه مصريـة ومصطفى مصـري ، ولا يجوز أن تكون ملكية الشركة بالكـامل لغـير يابـانيين ، وتسـاءل مصطفـى :

- " منذ متى بدأتم هذا الجهد الجبـار ؟ "

وأجاب ناجا سـيتو :

- " فور سفرك مباشرة ، وعودتي من أحد المؤتمرات العلمية التي كنـت قـد سـافرت إليـها أثناء مرض ماي سيتو ، فلا تنس أنني فوجئت بكل هـذه الأحـداث بمثـل مـا فوجئـت أنت بها ، وربما أكثر ، فلعلك لا تعرف أنني عندما عـدت مـن السـفر ، وجدتهـم قـد أحرقوا جثمانها ، وأنت سافرت ، والشركة أغلقت أبوابهـا لعـدم وجـود المديـر الـذي يصرف أمورها ، وبما أنك كنت قد تركت لي تفويضا عاما ، فقـد قمـت بموجبـه بإعـادة هيكلة الشركة ، وهكذا أصبحـت الشـركة كمـا سمعـت ، وذلـك بفضـل تفكـيرك

الصائب في ترك التفويض لي بالإدارة ، والتوكيل العام للتصرف في جميع أملاكك .. "

وهمهم مصطفى وهو يخفي وجهه حتى لا يراه ناجا سيتو :

• " شركتي في اليابان كانت تكسب الملايين ، وأنا في مصر لا أجد قوت يومي إلا بشق الأنفس ، يا لتصاريف القدر .. "

وسمعته مايسه ، فتساءلت بالعربية ، حتى لا تسبب له إحراجا أمام خالها :

• " ماذا تقول يا أبي .. أرجو أن تشرح لي معناه .. ؟ "

ورد مصطفى على تساؤلاتها ، وكأنما هو يكمل همهمته لنفسه :

• " أجل يا مايسه .. لقد فقدت كل شئ مع بداية الثمانينات ، وعدت إلى ما تحت الصفر والفضل للتجارب الاقتصادية التي يجريها علينا كل من يتولى جانبا من حياتنا الاقتصادية ، فمنهم من أقفل أبواب الرزق أمام الملايين بدعوى أن الانفتاح كان انفتاحا استهلاكيا ، ومنهم " وبدعوى صالح المواطنين أيضا " خرب شركات كنا نعدها عملاقة ، بدعوى أنها بلا أصول رأسمالية ، أو أنها تتعامل كما البنوك ولكن بنسب سيولة تقل عن موجوداتها الفعلية ، أو أن الأموال كلها في الخارج .. إلى آخر هذه الأقاويل التي لم يتضرر منها أحد بقدر ما تضرر منها المواطنون البسطاء ، اللذين وثقوا في هذه الشركات لما تصدره الجرائد من أخبار عنها وإعلانات تمجد في أنشطتها ، وما يفتتح لها من مشروعات يشارك فيها الكبار من رجال الدولة ، وآخر شئ ما أعلنه أحدهم ، من أن الاقتصاد لا يبنى إلا إذا وصلنا به إلى درجة الصفر ، ثم نبدأ من جديد ، كنا حقل تجارب ، بين هذا وذاك ، لا يجدون ما يوازنون به عجز الموازنة إلا فرض المزيد من الضرائب ، حتى أصبحنا والحمد لله دخول الخمسينات ، وربما الأربعينات ، وأسعار القرن القادم .. "

وعلق ناجا سيتو رغم أنه لم يفهم حرفا مما قيل :

- **" دعنا من الماضي يا سيد مصطفى ، ولننظر إلى المستقبل .. ما رأيك فيما عرضته شركتك باليابان عليك .. ؟ "**

واستمهله مصطفى حتى يتشاور مع شريكه ، أخيه سعيد ، وكذلك لا بد لباقي الأسرة من الموافقة ، فقد ساهم كل منهم في هذا العمل بأسلوب أو بآخر . لكن ناجا سيتو أوضح له أهمية سفره ، فالسنة المالية لمجموعة شركات الخوجه وكازو " K K " على وشك الانتهاء ، ولا بد من تواجده ، وكذلك مايسه التي تنتظرها اختبارات الماجستير ، ولا بد لها من استكمال أبحاثها ، ففاجأه مصطفى بما تم الاتفاق عليه مع مايسه من أنها سوف تبقى حتى شفاء صفيه وزواج عمها سعيد ، وبعد ذلك سيكون مصطفى كله ملك أيديهما ، فقط يطلب مهلة لترتيب أموره ، والسفر معهما ، فهو في حاجة إلى بعض الراحة ، ثم أضاف :

- " أليس من حقي الحصول على إجازة ، والا إيه .. ؟ "

ورددت مايسه وخالها كلمة إيه ، دون أن يعرفا المقصود منها ، ولما شرح مصطفى لهما المعنى ، أكداها وسط الضحكات ، وتعجب مصطفى من أن الدكتور ناجا سيتو يضحك ، بل ويقهقه ، لقد كان متحفظا منذ أن حضر ، ماذا حدث ؟ وأجابه ناجا سيتو :

- " كنت أرى في عيني " ما " ، اتهامها لي ولباقي الأسرة ، وكنت أتصور ما يعتمل في نفسها من مشاعر مكبوتة ، وكان هذا ما يسبب لي الشعور بالذنب ، لكن انفجارها اليوم ، واعترافي لكما بخطئي ، وغفرانكما لي ، سببا لي راحة كبيرة ، وأعادا لي بسمة كانت قد اختفت منذ سنوات ، عملت خلالها بجد واجتهاد لتنمية شركتكما هناك ، دون أن أحصل لنفسي منها على أي مزايا ، ولا حتى راتب أو مكافأة ، على بذلك أكفر عن هذا الذنب ، ذلك أنني كنت في انتظار اليوم الذي أجد نفسي فيه أمام

قاض لا يرحم ، الضمير ، ثم أواصر الصداقة ، ثم النسب الـــذي يربـــط بيننـــا ، والأهـــم من ذلك كله ، " المايتين " ، " ما " الأخت ، " وما " ابنـــة الأخـــت ، والأخـــيرة يـــهمني أن أبقى في قلبها ، الخال والعائلة كلها ، وألا تتغير هـــذه النظـــرة إلي بـــأمور لا دخـــل لي فيـــــها .. "

وقاطعه مصطفـــى :

- " إلا شيئا واحدا يا سيد ناجا سيتو ، أنـــني كنـــت أريـــد معالجـــة مـــاي ســـيتو بـــالطب العـــربي ، والطب المصري القديم ، فقد كانا سببا في التمـــهيد لشـــفائها أثنـــاء حملـــها في مايسه ، فما كنت أتصــــــور أن تغيب مـــاي ســـيتو عـــني حـــتى لـــو كلفـــني الأمـــر حيـــــاتي .. "

وانهمر مصطفى في بكاء حار كان النحيب يتخلله ، وكأنمـــا هـــو يفقدهـــا الآن ، لكـــن ناجـــا سيتو لم يرحمه ، ففجر قنبلة كان لها أكبر الأثر في تحول مصطفـــى مـــن موقـــف الضحيـــة ، إلى المتهـــــم :

- " لكن ماي سيتو كانت حامل يا سيد مصطفى ، وهذا ما جعل العائلة تتخـــذ منـــك هـــذا الموقف العدائي ، ظنا منهم أنك وراء هذا الحمـــل ، فـــهم يعرفـــون أن الشـــعب المصـــري يحب الأولاد ، والعائلة لا تكون عائلة إذا لم يكن بها ولد ، وأنـــت لم تحصـــل علـــى الولـــد بعـــــد .. "

وساق مصطفى من الأيمانات ما يؤكد عدم علمه بهذا الحمل ، ربما تكـــون مـــاي ســـيتو هـــي التي رغبت في أن يكون لمايسه أخ أو أخت ، أمـــا هـــو ، فلـــم يشـــارك في التخطيـــط لهـــذا الأمـــر ، ثم أضـــاف :

- " وماذا عنكم يا شـــعب اليابـــان ، ألا تحبـــون الأولاد ، وعددكـــم يزيـــد عـــن ضعـــف عددنـــا ، بـــالرغم من أن مساحة أرضكم تكـــاد تقـــل عـــن نصـــف مســـاحة أرضنـــا ، ومعظمها صخور بركانية .. لا تقل إننا فقط الذيـــن نحـــب الأولاد ، لا يوجـــد شـــعب في

العالم لا يحب الأولاد ، لكن الشطارة بقي في الخصوبة ، ومنذ قديم الأزل ، والمشهور عن المصريين رجالهم ونسائهم ، أن الخصوبة لديهم زيادة حبتين .. "

وأصدر ضحكة تعمد أن يعلو صوتها ، لكن ناجا سيتو لم يتركه يسعد بهذه الضحكة ، أراد أن يشعره بأنه تجاوز حده ، كيف له أن يضحك وهو في ذكرى ماي سيتو ؟ فكاد له مرة أخرى :

- " ربما تكون ماي سيتو قد شعرت بأنك تخطط للزواج من امرأة مصرية ، فقد قرأت ما يفيد أن الزواج من مصرية سنه ، ذلك أن إبرا هام ، وكذلك محمد ، كل منهما تزوج من مصرية وأنت رجل مؤمن ، ولا بد وأن تتبع السنة . "

واختفت الضحكة من وجه مصطفى وشعر بالأسف الشديد ، بل زاد من تأثره أن العبرات كادت تخنق كلماته ، أوضح له أن ماي سيتو كانت مصرية ، فقد عاشت على أرض مصر سنوات عديدة ، تربت على طينها وشربت من ماء نيلها ، وهذا وحده كفيل بأن يحيل طينتها إلى المصرية ، وقد حصلت على الجنسية المصرية ، بل لقد كانت مصرية قلبا وقالبا ، ولو رأى " ناجا " سعادتها بانتصار مصر في حرب رمضان ، حتى وهي تعاني من متاعب الوضع ، لعرف أنها مصرية ، وربما كان لهذا النصر دور كبير في شفائها من القروح الإشعاعية التي أصابتها ، وشرح لناجا سيتو احتواء ماء النيل على مواد مشعة ، وهذا ما لا يخفى عليه ، هذه المواد تجعل شعب مصر يتحمل كل هذا التلوث ، وكل هذه الأمراض سواء البلهارسيا أو اليرقان أو خلافه ، دون أن يقضي عليه .

لكن ناجا سيتو لا يحب أن يهزم ، فعناصر الوراثة تؤدي دورا هاما في الشعب الياباني ، شيوخه قبل شبابه ، ولقد تحذلق هذا المصري ، وتطاول على شعب اليابان ، فلا بد وأن يوقفه عند حده :

- " ما هذا التخريف الذي لا يستند إلى واقع أو صدق ، شعب مصر كان أيام قدماء المصريين ، فماذا هو الآن ؟ مجموعة من المتسولين ، القمح وأصناف عدة من أهم

قوت الشعب من أمريكا وأغلبها معونة ، وكذلــك التبــغ رغــم كــل مــا يقــال عــن مضــاره ، يعني وصل بكم الاستهتار بــأرواح النــاس إلى هــذه الدرجــة ، تســتوردون وبالعملة الأجنبية ما يضر شعبكم ، أما باقي الاحتياجــات ، فكلــها مــن بــاقي الــدول ، لكن شعب اليابان الذي لا يعجبك يا سيد مصطفى ، فإنه بــالرغم مــن كــل مــا قلتــه ، إلا أنه أعلى مستوى دخل في العالم ، والأرض الــتي تقارنهــا بــأرضكم ، أفــادت ضعــف العدد ، فبماذا أفادت أرض مصر المصريين ؟ إنها لا تؤمن لهــم حــتى الغــذاء ، وأبناؤهــا بين عالم مشهور وصعلوك ، بين مليارديرِ وفقير لا يجد قوت يومــه ، وهــذا كلــه نتيجــة غياب الوعي ، والعقل الذي أخذ إجازة بين التملــق للمســئولين ومراءاتهــم حــتى ولــو كانوا على خطأ ، وبين الانغماس في المغيبــات ، مخــدرات ومســكرات ونســاء .. فمــن أنتم قل لي بربك الذي تعبده ، وتريــدني أن أعبــده ؟ "

وطأطأ مصطفى رأسه حزنا ، على شعب قاد المدنية في العالم ، وترك مــن الآثــار مــا عجــزت تكنولوجيا اليابان ، وحتى باقي الدول عن حل ألغازهــا ، ولم يصلــوا إلى عشــر مــا توصــل إليه قدماء المصريين من تقدم وازدهار ، ذلك الذي جعل فرعــون يدعــي الألوهيــة ، وحالــه الذي وصفه ناجا سيتو بالتخلف والضعف والفقر وعــدم التــوازن في كــل شــئ ، وأراد أن يفاخر بالماضي ، فوجد ناجا سيتو قد سد عليه المنافذ فلم ينقص مــن قــدر القدمــاء ، حيــث ذكر الماضي بالاعتزاز ، ولماذا نبعد كثيرا ، إن مصر مــا قبــل الخمســينات كــانت دائنــة ، والآن هي مدينة ، كانت تصــدر القطــن والقمــح واللــبن والبيــض والتبــغ ، والآن هــي تستورد كل هذه الأشياء وغيرها كثير ، ويكفي أن الاقتراض فــرض عليــها ، فــأصبح بنــدا من بنود الميزانية ، فآثر مصطفى الصمت حيث وجــد أن أيــة إضافــة قــد لا تــؤدي إلا إلى مزيد من الحســرة .



وأنا في العاشرة نظمت المدرسة رحلة إلى طوكيو ، ومرت الحافلة أمام بيتنا ، والعجيب أنني تذكرته
كما لم أبرحه غير البارحة ، وتذكرت حياتي في ذلك البيت الواسع

٩- هدية زواج

تعجب مصطفى من أن الطارق قد تجاوز الحدود ، ففتح الباب بعصبية واضحة ، ليجد سعيداً أمامه ينحني بطريقة اليابانيين ، وخلفه عم محمد وعم نعيم وقد حمل كل منهما شيئا تم إخفاؤه تحت قطعة من القماش المخملي النبيتي ، فأفسح سعيد لهما الباب ليزلفا منه بحركة عسكرية علمها لهما ، ثم يضعا حملهما على الطاولة ، وينادي سعيد على البروفيسور ناجا سيتو ليرفع الستار عن تمثاله ، ثم مايسه لترفع الستار عن تمثالها ، وقد بدت عليه بعض علامات الحيرة ، فأيهما تمثال من ؟ لكنه هون من الأمر حيث أنهما عندما وقعت عيناهما على التمثالين فغرا فاهما ولم يصدر عنهما إلا آهات الدهشة التي تحمل كل مشاعر الصدق في التعبير عن إعجابهما بعبقرية سعيد الفنية ، وعظمة فنه الذي يصيغه تماثيل غاية في الدقة ، أما عن مصطفى فقد عبر عن مشاعر سعادته باحتضانه أخيه ، ورقرقة العبرات تتأرجح في عينيه ، والبسملة والحوقلة والمعوذتين والإخلاص ، هي سبيله ليحفظ الله أخاه من الحسد والعين .

نظر الدكتور ناجا سيتو إلى مايسه نظرة لها معنى خاص ، فأخرجت شيكا كان الدكتور قد أعده لهذه المناسبة ، حيث قام الدكتور بتسليمه إلى سعيد مع كل تعبيرات الشكر والتهاني القلبية ، لكن سعيداً رفضه رفضا باتا قائلا :

- " خال ابنة أخينا أخونا ، واللي يصير عليه يصير علينا ، ومن حبنا أحببناه وصار متاعنا متاعه ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نقبل منه مالاً لعمل أديناه له ، مهما بالغ في الكرم .."

ثم أخرج الشيك السابق ، وقدم الشيكين إليه ، لكن الدكتور رفض ، وسعيد أصر ، وبين رفض الدكتور وإصرار سعيد ، تدخلت مايسه :

- " يا عمي العزيز .. خالي الدكتور ناجا ، يفصل تماما بين العلاقات العائلية والعمل .. "

وازداد إصرار سعيد ، وهو يهز رأسه يمنة ويسرة مرددا كلمة لا لا لا ، وتدخل الدكتور ناجا سيتو :

• " يا سيد سعيد ، إن لم ترض بهما تقديراً لفنك ، فأرجو أن تعدهما هدية لزواجك .. "

وعلقت مايسه :

• " لا يا خالي العزيز .. هدية زواج عمي سعيد لابد وأن تكون من إنتاج شركة الخوجه وكازو " KK "اليابانية المصرية .. "

وفغر سعيد فاه ، وجحظت عيناه ، وهو يسمع اسم الخوجة مقرونا باسم الشركة ، لكن الدكتور كازو أضاف:

• " مجموعة الإنتاج بالإضافة إلى الشيكين ، وهذا قرار إداري يا ما ، ينفذ فورا .. "

ولما رأى مصطفى أخاه وقد ثبت على الوضع مندهشا ، أشار إليه وهو يضحك ، وشاركه ناجا ومايسه الضحك ، وسعيد لا يزال على ذلك الوضع ، فربت مصطفى على ظهره برفق ، وهو يذكره بتلك الشركة الصغيرة التي تركها لابنته في اليابان ، فقال سعيد :

• " ما لها ؟ "

فأكملت مايسه :

• " أصبحت الآن من الشركات الكبيرة في اليابان .. "

وقبل أن يعلق سعيد ، استأذنت منى في الدخول ، وقد حملت معها حافظة طعام وحقيبة صغيرة ، وبعد أن ألقت تحية الصباح ، نظرت إلى التمثالين ، وكادت أن

تصيبها الدهشة هي الأخرى ، فقد أبدع سعيد صنعهما بما هـــو أفضـــل مـــن الســـابقين بكثير ، وتذكرت أمراً هاماً ، فقالت موجهةً كلامـــها إلى سعـــــيد :

- " ألم نتفق على عدم التعدي على الاختصاصات ..؟ "

وسارع سعـــــيد :

- " أي تعـــدٍ ؟ "

وأظهرت مني بعض تعبيرات التعجب من سرعة نســـيانه ، وقـــالت :

- " هل نسيت .. ؟ تسليم الأعمال من اختصاصي أنا .. أليـــس كذلـــك ؟ "

وأطرق سعيد خجلا ، ولم يجد ما يعبر به عن أسفه غير المقصود ، وعـــض علـــى إصبعـــه كما هي عادته كلما شعر بأنه أخطأ ، فصدرت منه آهة ، سارعت مـــنى وهـــي تهمـــس في أذنـــــــه :

- " سلامتك يا حبيبي من الآه ، لكن هذه الأعمال بروعتها تستحق ما هـــو أكـــثر مـــن الإعجـــاب ، ولولا أننا مازلنا مخطوبين ، لطبعت قبلة علـــى خـــدك .. "

وصعر سعيد خده لها وهو يقـــول :

- " إحنا فيـــها .. "

وأفاقا على أنهما ليسا منفردين ، فكست حمرة الخجل وجهيهما ، لكنـــه التفـــت إليـــها مغاضبا ، وسألها عن الساعة ، ولما كانت متأخرة عن الموعد المفـــترض حضورهـــا فيـــه ، قالت :

● " لقد كنت معك ، أحضر لك طعام الإفطار ، إذ أنه من الآن فصاعد ، لن يُطْعَم حبيبي سعيد إلا من عمل يدي ، صحيح أنا خايبة في أعمال المطبخ ، كما هن معظم بنات جيلي ، لكن مهما كان فلا بد وأن الطعام الذي يشكله الحب ، سيكون له طعماً أفضل مما في العالم من طعام ، ثم أن المعدة طريق المرأة إلى قلب الرجل .."

وقاطعها مصطفى :

● " ألا يكفي كل ما قمت به من طرق ، كان لها كبير الأثر فيما نراه الآن من همة ونشاط ، وفن وعلم .. "

ومع رعشة أصابت صوتها خجلاً أو انفعالاً بمشاعر جميلة انتابتها ، وقد أصبحت على وشك أن تجهش بالبكاء ، أشادت بما لدى سعيد من استعداد فطري ، إضافةً إلى ما قام به مصطفى ويقوم به من بطولات تعدل المايل ، وتصلح المعوج ، ثم أمسكت بيد سعيد وهي تخرج متجهة إلى الأتيليه وقد بللت عينيها دموع السعادة ، لكن مايسه أمسكت بإحدى يديها ودست فيها الشيكين ، فأخذتهما وهي لا تدري ماذا أخذت ولا لماذا ؟ فقد خيمت عليها حالة من الهيام ، كانت تتصرف وكأنها في عالم من السحر والجمال ، فعلق مصطفى :

● " الجماعة دول لازم يتجوزوا بسرعة .."

وقبل أن ينهي كلامه ، حضرت زنوبه لتعلن عن انتظار المهندس صبري في الصالون ، وشعر مصطفى وكأنما جاء في وقته ، فأرسل زنوبه في طلب سعيد ومنى ، بينما اصطحب معه الدكتور ناجا ، وابنته مايسه ، حيث أطلعهم المهندس صبري على الرسومات التفصيلية للجناح مع ضم الأتيليه إليه ، وقام الجميع بمناقشة الرسومات ، وكل أدلى بدلوه لتعديل ما يراه مناسباً من وجهة نظره ، وتقره المجموعة عليه مشاركة في الرأي ، فتساءلت منى :

● " متى يتم الانتهاء ؟ "

وأجاب المهندس صـــبري :

• " شهر .. ربما خمسة وأربعون يوما علـــى الأكـــثر .. "

وأعربت منى عن دهشتها ، فتســاءل مصطفـــى :

• " إيه .. كثير .. "

وتابعت منى دهشـــتها :

• " كثير إيه يا أبيه .. دي أقل شقة تحتاج لأكثر من سنة علشان يستلمها صاحبها ، وبتكـــون الخرسانة والمباني كمان خالصه ، يعني سنة تشطيب بس ، ويمكن زيادة .. "

فقال مصطفى بشيء من الحســـم :

• " لا تقولي ذلك أمام الجماعة اليابانيين دول ، حتى لا يسخروا منا ، ده يعد وقتـــاً كافيـــاً وزيـــــادة ، وحتشوفي بنفسك الهمة والنشاط الذي سيتم به العمل ، وده علشان إحنا في الشـــتاء ، ولو كنا في الصيف ، كان الوقت بقى أقل .. "

وعلق سعـــــــيد :

• " أمال إزاى حنتجوز الأسـبوع القـــادم .. "

وبسط مصطفى له الأمور ، حيث قـــــال :

• " يا بروفيسور سعيد .. الزواج يحتاج إلى شهر عسل ، وفي الغالب شهر العسل ده بيبقى في مكان هادي جميل مميز ، علشان يبقى في الذاكرة ، فإذا حدث لا قدر الله ما يعكر صفـــــو السعادة الزوجيـــة ، وده شئ أكيد ، تبقى زيارة قصيرة للمكان الذي بدأ فيه العروســـــان حياتهما الزوجية ، كفيل بأن يعيد إليهما التوازن ، فيعقلوا حبتين .."

وهرش سعيد رأسه ، هكذا يفعل كلما صادفته مشكلة لا يعـرف لهـا حـلاً ، فسـأله مصطفى عما يشغله ، وأجابه بشيء من التعجـب :

● " هل هو شهر أم شهر ونصـف ؟ "

وشرح له مصطفـى :

● " إن الأمر لن يقتصر على بناء الجناح ، ولكن هناك الأتيليه الـذي يجـب أن يتحـول إلى معرض ، وصالون لاستقبال العمـلاء ، ثم ورشـة لتصنـع فيـها تمـاثيلك ولوحاتك ، ومعمل لتمارس فيه أبحاثك ودراساتك ، وهذا معناه أن الأتيليـه يجـب أن يكون من طابقين ، الأول للمعرض والصالون ، والثاني للبـاقي ، وسـيكون متصـل بالجناح بأبواب لكي تمرق إليه في أي وقت تشـاء مـا رأيـك ؟ "

وعلق سعيد باندفـاع :

● " ممتاز جدا .. على بركة الله .. "

كانت مايسه قد غابت لفترة بسيطة ، وما إن عادت حتى أومـأت لخالهـا برأسـها مـع ابتسامة خفيفة فقام الدكتور ناجا على أثرها بالاتصال تليفونيا ، وقـامت مايسـه بـالرد على علامات التساؤل التي بدت على وجوه أبيها وعمها وعروسـه ، فقـالت :

● " مبروك يا أنكل ، ثلاجة وبوتاجاز وتليفزيون وخلاط وفيديو وديكودر وريسـيفر ودش واكسسوارات المطبخ وطقم الشاي والسفرة والسرفيس كله ، وكمان المفروشـات الـتي اخترتموها من الكتالوج الذي أحضره التاجر صديق والدي ، والسجاد الشـنواه وكذلـك السجاد الحرير اليدوي ، كـل هذا سيكون هنا غدا بعد الظهر ، فسوف يتم شحنها مـن اليابان الآن .. "

وحددت لهم ساعة الوصول إلى المطار ، بينما أضاف الدكتور ناجا بـأن السـفارة سـتتولى التخليص على الكونتينر وتحضره إلى هنا مباشرة باعتبـــاره طـرداً دبلوماسـياً .

وتساءل سعيد عن الثمن والجمارك وخلافه ، لكن الدكتور ناجـا أجابـه بسـؤال :

- " كيف تكون هدية إذا تحملت أنت تكاليف شحنها أو جماركها ؟ ثم أنهـا كلـها مـن الأربـــاح الخاصة بأصحاب الشركة ، مايسه ومصطفى ، أما عن الجمارك ، فالسفارات لا تدفع جمـارك ، وإذا كنت ستحدثني عن حق الدولة وخلافه ، فنحن لا ندفع في بلدنا جمارك على ما نستورده خاصاً باستعمالنا ، وأنا أستورد هذه الأشياء لنفسي لأهديها لك ، فهي لي أولاً ، والقانون عندكم يسمح لأي أجنبي باستيراد أغراضه الشخصية بدون جمارك ، ولـو كانت مايسه يابانـية ، لاستوردتها باسمها ثم أن الأمر لا يعنيك ، المهم أن تصلك هديتنـــا برسم الخـــدمة .. "

فنظر مصطفى إلى مايسه ، حيث قـــالت :

- " حتى تعرف الآنسة منى ، أن الوقت عندنا يتلاشى تقريبـــا ، فقـد اسـتخدمت النوت بوك للدخول على الشبكة الدولية للمعلومـات ، ومنـها اتصلـت بالشـركة بالبريد الإلكتروني ، ثم دونت الطلبية ، وعلمـت منـهم موعـد الشـحن وموعـد الوصول ، بينما اتصل خالي بالسفير لتدبير الاستلام والتوصيل إلى أنكـل ، دي كـل الحكايـــة .. "

ثم نظر إلى منى ، ولسان حاله يقول لها ، كيـف أن هـؤلاء القـوم لا يضيعـون الوقـت ، فهكذا أمر بسيط ، كان له التخطيط والتنفيـذ وكـل شـئ ، بحيـث يتـم الانتهاء منه في أقصر وقت ، فطأطأت منى رأسها وكأنما هـي تعـترف بـأن الأمـم لا تتقدم بالتسويف والشعارات ، ومعسول الكلام والنفاق ، وإنما بـالعمل الجـاد والقاسـي والسرعة في التنفيذ والصـدق .

وما هي إلا لحظات ، وسمع الجميع جلبة وأصوات سيارات ، وأسرع عـــم نعيـــم ليعلـــن عن قدوم السيارات المحملة بالرمل والزلـط والأسمنـــت وحديـــد التســـليح والطـــوب ، وكذلك حضور العمال ، وأن المهندس صبري قد خطـط الأرض ، والعمـــال يحفـــرون ، فاصطحب مصطفى أخاه وعروسه وابنته ، وحضر معهم الدكتور ناجـــا ، ودهشـــت مـــنى من سرعة التنفيذ ، فما إن وصلوا حتى كانت الآبار قد حفرت ، والخلطـــة الخرســـانية تم إعدادها في أكثر من خلاطة ، وعمال التسليح يعـــدون أســـياخ الأعمـــدة ، والنجـــارون يثبتون الأخشاب ، فاقتربت مايسه من منى ، وهي تهمـــس ببضـــع كلمـــات ، ضحكـــت منى على أثرها وهي تردد وقد تملكها شـــعور بـــالفخر :

- " محدش أحسن من حـــد .. "

١٠- جناح الحب

خرج الدكتور ناجا ، وقد ارتدى ملابس غريبة عليه ، فهو دائما ما يكون في كامل أناقته ، البذلة بمستلزماتها بالإضافة إلى البالطو والقبعة ، أما أن يرتدي ملابس شبابية قريبة من شبيبة الكشافة وغطاء رأس كما الجنود ، فهذا ما لم يألفه أحد من عائلة الخوجة ، فسأله مصطفى عن سبب هذا التغيير، وأجاب :

● " في مصر .. ولا أرى عظمة الفراعنة .. أقصد قدماء المصريين ! "

وشعر ناجا بأن مصطفى قد أطرق رأسه خجلا ، ولسان حاله يقول إن هذا واجبه ، لكن الظروف التي مر ويمر بها هو وعائلته ، والأحداث التي تتلاحق ، جعلته لا يستطيع أن يقوم بأقل واجبات الضيافة ، مع خال ابنته ، الذي احتضنه منذ أن سافر إلى اليابان ، فكان له نعم العون ، ساعده في الحصول على عمل مناسب لقدراته وخبراته ، استطاع من عوائده أن يرسل إلى عائلته في مصر ما يكفيهم ويزيد ، ثم وهذا هو الأهم مساعدته له بعد زواجه من ماي سيتو في إنشاء الشركة التي أصبحت الآن من أكبر الشركات في اليابان ، وبغض النظر عن سلبيته في عدم إحضار ابنته إلى القاهرة ، أو عدم حضوره من سفره عندما علم بخطورة مرض أخته ، فربما استطاع إقناع عائلته بسفرها إلى النوبة ، إلا أنه لن ينسى أنه تولى تربية ابنته وأنشأها نشأة علمية ، بعيدة عن جنوح الشباب ، وشعر ناجا بما يعتلج في صدره من انفعالات ، فأراد أن يخفف عنه ذلك ، فقال :

● " أنت تعلم أن السفير الياباني في مصر من عائلتنا ، وقد تم الترتيب لهذه الزيارات منذ علم بقدومنا أنا و " ما " كما أن ابنته كانت زميلة " ما " حتى الجامعة ، وما زالت صداقتهما قائمة حتى الآن ، ولديهما خططهما هنا ، وربما كانت سيارة السفارة في طريقها إلينا الآن .."

وهم مصطفى بالتعليق ، لكن سيارة السفارة وصلت ، ونادى الدكتور ناجا مايسه ، لكنها اعتذرت لخالها ، حيث إنها لا تريد أن تترك أباها ولو للحظة ، ويكفي ما ضاع

من الزمن وهي بعيدة عنه ، فذكرها باعتذارها عن غداء الأمـــس ، فنظـرت إلى أبيـــها وهي تكاد تؤكد عليه ألا يشغله شاغل عن غداء اليوم ، فهز مصطفـــى رأســـه مؤكـــداً ، فأعاد ناجا تأكيده بأن السيارة ستصلهم الثانية ظهرا ، ثم أكمل وهـــو يدخـــل الســـيارة :

• " وتكون فرصة تقابل خلالها السفير وعائلته ، فهو في شوق للتعرف إليك بعد مـــا سمعـــه عنـــك ، وقد تقومان بعقد صفقة صغيرة ، فقد أتعبهم التعامل مع الشـــوكات المهنيـــة في مصـــر ، ولم يصدق أن هناك شركة دقيقة في مواعيدها ، وأمينة في عملها ، وســـريعة في التنفيذ ، ومعقولة في التكاليف ، ولما ذكرت له اسم شركتك ، فوجئت به يرحـــب أيمـــا ترحيـــب ، فقد بلغهم نشاطك وكثيرون هم الذين يعرفونك في السفارة كما تعلم ، منذ أن كنت تدرس اليابانية لهم وللجالية ووجدهم قد قرروا التعاقد معك لما سمعوه عن شركتك .. "

قبّل مصطفى يد والدته ، ووجنتي زوجته ، واحتضن كلا مـــن ابنتيـــه ، وعلـــق شـــريفاً بضع لحظـــات في الهواء وهو يحتضنه ويقبله ، والتقت عينـــاه بالحـــاج وهـــدان وزوجتـــه ستوته في الشرفة ، فذكره مصطفى بزيارة أولياء الله ، فحرك الحاج رأســـه مشـــيرا إلى أن الوقت مازال مبكرا ، فترك مصطفى لصفيه ترتيب الأمر مع الســـائق ، وقبـــل أن يـــهم بالخروج ، فوجئ بسعيد يأتي مـــهرولا :

• " إنهم ينقلون أغراضي كلها من الأتيليه ، يقولون إنهـــم ســـيهدمونه .."

فرد عليه مصطفى بهـــدوء :

• " ألم توافق على ذلك ؟ "

ثم ذكره بأنه أعطى الموافقة بأن يكون الأتيليه من طابقين ، وأن يتصـــل بالجنـــاح الخـــاص به بباب ، حتى يستطيع أن يلج إليه وقتما يشاء ، ودهش سعيد ، فمـــا كـــان يتصـــور أن موافقته هذه ، سيُعِدُّها مصطفى موافقة على هـــدم الأتيليه ، لكن مصطفـــى أوضـــح لـــه بأنه إذا كانت الديكورات هي شاغله ، فسوف يتـــم إعـــداد الأتيليـــه الجديـــد بـــذات الديكورات وربما أفضل ، وهدأت نفس سعيد ، وذهـــب للمســـاعدة في ترتيـــب المكـــان

الجديد ، ولم يبدُ عليه التذمر عندما تبين له أن المكـــان المقترح ما هـــو إلا الغـــرف الـــتي كان يخفي فيها كنوزه ، لكنه فوجئ بها وقد تم ترتيبها وتنظيفها بأحســـن مـــا يكـــون .

وانطلق مصطفى بالسيارة ، ومايسه إلى جانبه . هو وهي فقـــط ، للمـــرة الأولى تنفـــرد به بعد أن زال ما كانت تتهمه به من إهمال لها ، تبـــادلا نظـــرات الســـعادة والابتســـام ، واحتضنها وكأنما هما محبان ، سألته وهي ترجوه إذا كان في الإجابة ما يحرجـــه ، أو مـــا لا يرغب الإجابة عليه ، فهو في حل ، لكنه أجابها بعفويـــة مطلقـــة ، أنـــه مـــهما كـــانت أسئلـــتها ، فلن يتردد في الإجابة عليها ، قـــالت :

- " أمي .. حبك الأول !! "

وأجـــــاب :

- " بكل تأكيد .. "

فباغتته بسؤال لم يكن يتوقعـــه :

- " وقبـــــلها .. "

وأجابها بدبلوماســـية :

- " لم يكن هناك وقت ، فقد ولدت في ظروف أكثر من ممتازة ، أبي محسن باشا الخوجه ، كان العمدة ، ثم تفرغ للعبادة والدعوة لدين الله ، كنا نمتلك من الأراضي الزراعية ، ما يـــدر علينـــا عائداً ممتازاً ، ونمتلك عمارات في شوارع رئيسية ، وأيضـــاً تدر دخـــلا كبيرا ، ومساهمات في شركات كبيرة ، وهذه الفيلا بما يحيطها من أراضٍ واسعة ، كانت كلها حدائق غناء ، وملعباً للتنس ، وحماماً للسباحة ، وسيارات ، وحياة راغدة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى .

• ثم صدرت القوانين التي تحدد ملكية الأراضي الزراعية ، وتخفض الإيجارات سواء بالنسبة للأراضي الزراعية أو العقارات ، وتثبتها دون أي زيادة بما يتناسب مع الزيادة في الأسعار أو التضخم ، وانخفض الدخل بشكل كبير ، وزاد الطين بله عندما صدرت قوانين التأميم ، فقد سقط الوالد مشلولا بعد ما تم الاستيلاء على جميع الشركات التي كان الوالد مساهما فيها ، وكلها شركات قومية ، كانت المشاركة فيها بدوافع مصلحة الوطن والمواطنين ، وانتزاع الاقتصاد المصري من أنياب الأجانب الذين لا يهمهم سوى جمع الأموال والخروج بها من مصر ، مما يضعف اقتصاد البلد ويذهب بالسيولة ، ومن لا يهمه إلا جمع الأموال على حساب كل شئ وأي شئ ، ودون النظر إلى العدالة الاجتماعية أو الاقتصادية .

• من حسن الحظ أنني كنت قد تخرجت ، فقد أصبح الدخل لا يكاد يكفي أجور الخدم ومصروفاتنا الشخصية ، إضافة إلى ما أضافه مرض الوالد من مصروفات تثقل الكاهل ، وألمه الذي يفوق آلام المرض لعجزه عن الوفاء بالتزامات الأسرة ، ومن ثم التزاماته الأخرى نحو من كان يقوم بمساعدتهم ، سواء من فقراء العائلة ، أو من غيرهم .

• وكان لا بد لي أن أعمل ، والشعارات الجميلة التي كانت تنادي بأن العمل واجب والعمل شرف والعمل حياة ، تبلورت في طوابير طويلة من الخريجين تنتظر قرارات التعيين ، وكل بحسب حظه ، أو واسطته .

• بعد سنة من التخرج قضيتها مجنداً في الجيش ، عينت في شركة المناجم والمحاجر ، في الصحراء بعيدا عن العائلة ، وبراتب لا يكاد يكفي الإقامة في مساكن الشركة ، ومصاريف السفر للعائلة مرة كل شهر ، لكنني عاهدت نفسي أن أتولى رعاية أخي سعيد على الأقل ، فكنت أقتطع من هذا الدخل ما يساعد في مصروفه الشخصي ومصروفات دراسته .

● ووجدت أن السفر إلى الخارج ربما يكون هو الحل الوحيد لإنقاذنا من هذا الفقر ، فقمت بمتابعة ما تعلنه السفارات عن منح دراسية في مجال تخصصي ، أيا كان نوعها ، ومن حسن الحظ أن تقديري كان " جيدا " كنت قد بدأت دراسة الماجستير في الجامعة لكن مصروفات الماجستير ليست سهلة ، خاصة مع شراء الكتب ، ونقصها بالمكتبات سواء بالجامعة أو بالمكتبات العامة .

● ووفقني الله إلى منحة من جامعة طوكيو كان من شروطها إجادة اللغة اليابانية ، وقد ساعدتنا السفارة بأن عقدت لنا دورة في دراسة اللغة اليابانية ، وساعدني الحظ ، أو ربما الحاجة ، في أن أنبغ فيها بشكل ملفت للأنظار .

● وسافرت إلى اليابان ، ودراسة اللغة شئ ، وأن أتعايش مع أهلها شئ آخر ، خاصة مع الاختلاف الكبير في أسلوب الحياة بين القاهرة وطوكيو ، فقد كانت اليابان تبني نفسها بسرعة كبيرة ، بل هي قفزات ، وكنت في أشد الحاجة إلى صديق ، أو رفيق درب يعينني على تفهم الحياة والتأقلم معها ، خاصة مع خوفي من كل شئ ، أخشى من الطعام فقد يكون به لحم خنزير الذي يحرمه الإسلام ، كما أنني لا أتقن تناول الطعام بالعصي ، وأخشى أن أتحرك ، حتى لا أقع في أخطاء ، فاقتصرت تحركاتي على الجامعة والسكن الذي خصصته لي الجامعة ، والذي يقع في زمامها ، يعني لا مواصلات ولا خروج إلى شوارع عامة ، ولا حتى مشتريات من المعارض المنتشرة في المدينة الجامعية ، ولهذا فإنني لم أر الشارع العام منذ القدوم ، خاصة وأنني كنت حريصا على أن أرسل كل ما يمكنني تدبيره من المعونة التي تصرفها لي الجامعة إلى الأسرة بالقاهرة .

● وكانت ماي سيتو زميلة بالجامعة ، تدرس ماجستير في الاقتصاد ، وكان الاقتصاد من بين المواد التي يجب علينا دراستها ، وقد لمحتها أكثر من مرة ، كان نشاطها الاجتماعي مثار حديث الجميع ، لم تترك مشكلة تمر دون أن تشارك في حلها ، تبادر إلى معاونة كل من يحتاج إلى معاونة ، حتى دون أن يطلب منها ، وكنت ألتقط بعض الكلمات عن مساعداتها المالية لبعض الطلبة والطالبات من المدن

والقرى اليابانية ، وكذلك الدول الأخرى ، وكنت معجبا بنشاطها حقا ، لكنها يابانية ، ولم يتطرق إلى تفكيري ولو للحظة ، أن تكون هناك علاقة بين يابانية وأجنبي ، فقد قرأت عن بعض عادات اليابانيين ، وعلى وجه الخصوص ما يتعلق باختلاط الأجناس .. "

كانت مايسه تستمع إلى هذا الحديث الشيق ، وتتمنى ألا ينتهي ، فهي تعيش بداية العلاقة بين والديها بالرومانسية التي كان يقص بها مصطفي هذا التاريخ ، وبالحب الذي يغلفه ، وبالذكرى التي تعتصر قلبه ، حيث اختلطت ببعض العبرات التي حاول جهده أن يخفيها عن مايسه ، ذلك أنها عبرات صامتة تصحبها ابتسامات خفيفة ، ربما لما يتذكره من أمور كانت تحدث ولا يستطيع أن يبوح بها لأحد ، حتى لابنته .

فهو يتذكر المرة الأولى التي رآها فيها ، كان يقطع الطريق وأمامه شابان يابانيان يتحدثان بهمس ويشيران إليها ، وبطريقة لا إرادية ركز نظره عليها ، كانت تخطو خطواتها الرشيقة بسرعة وقد استقام عودها ، وارتفعت هامتها ، وانسدل شعرها الأسود المتراص ، كأنه خيوط ليل سرمدي ، يستر كل ما خلفه ، وكأنما وصلها همسات الشابين ، فالتفتت نحوهما بسرعة جعلت الشعر يتموج حولها وينسدل على وجهها ، ولما أزاحت ما علق بالوجه من بعض الشعيرات ، فإذا بالوجه كقمر حوله هالته ، وفي تأمله هذا صدمته دراجة لم ينتبه إليها ، فسقطت كتبه ، وكاد أن يصاب ، وفكرت أن تسارع لنجدته ، لكن الأمور مرت على خير وبسرعة ، فقد حرص ألا يلفت نظرها إليه وهو في هذه الحالة ، لكنها لاحظت بعد ذلك أن حوادثه كثيرة ومتكررة ، فظنته يتعمدها ليلفت إليه نظرها ، فانصرفت عنه كلية ، فهي لا تحب هذا الأسلوب من الغزل ، بل هي لا تحب أي أسلوب من أساليب الغزل ، لكن هذا لا يمنع من أنها صرحت له فيما بعد ، أنها كانت ترصد كل تصرفاته ، فقد بدا لها منذ الوهلة الأولى أنه قروي تزيد سذاجته عن كل من قابلتهم من القرويين ، وفاجأته مايسه :

● " فكيف تعارفتما .. "

تعجب من لهفتها في أن تعرف كل شئ بسرعة ، فقال :

- " أعلنت الجامعة عن رحلة إلى إحدى الجزر اليابانية ، ولما كنت قرويا ساذجا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، ذلك أن بلدنا أغلقت علينا ، لا خروج للجميع ، ومن يرغب فلا يحصل إلا على بضع جنيهات لا تكاد تقيم الأود ليوم ، فضلا عن المبيت وخلافه ، ومن يضبط ومعه أكثر من هذه الجنيهات ، تصادر ، وربما ناله بعض العقاب القاسي ، وبالتالي فقد نشأنا لا نعرف شيئا عن الرحلات في الدول الأجنبية ، فقط ما كانت تنظمه المدارس من رحلات باشتراكات زهيدة ، وحتى الرحلات إلى القناطر الخيرية بالبواخر النيلية التي يملكها بعض البحارة ، كانت أيضا اشتراكاتها زهيدة ، وربما أطول رحلة قمت بها ، كانت إلى الأقصر وأسوان ، نظمتها وزارة التربية والتعليم وهذه كانت مجانية تماما .

- ومن باب العلم بالشيء ، تساءلت عن أسلوب الرحلات التي تنظمها الجامعات باليابان ، ومصروفاتها ، ومدتها .. إلى آخر كل هذه المعلومات المهمة ، وتعجبت عندما وجدتها تأتي متطوعة لترد على أسئلتي ، بل وزادت ، فشرحت لي أن البعثات الدراسية معفاة من جميع هذه النفقات ، وأخذت أبحث عن أية أسئلة أخرى حتى لا ينتهي زمن الحوار بيننا ، فقد كنت في حاجة إلى صديق ، وأي صديق هي ؟ إنها حلم ، كنت أمني نفسي بمشاهدتها ، فقط مجرد مشاهدة ، وإذا بها أمامي تحدثني وأحدثها ، وعقد لساني ، ربما من الفرحة ، وربما لأنني كنت أبحث عن كلمات يابانية أعبر بها عن المعاني الجميلة التي تجيش في صدري ، وربما لأن ارتواء القلب بالنظر إليها كان كل أملي .

- لكنها أنقذتني من هذه الهواجس ، فسألتني عن بلدي ، ولما عرفت أنني من أرض النيل العظيم ، والأهرامات وأبي الهول ، وآثار حضارة مترامية الأطراف تمثل أكثر من ثلث الآثار في العالم ، سواء في البعد الزمني ، أو في المساحة ، أو في البشر ، والأهم من هذا كله ، في الفكر والعقل ، وأنا يا مايسه ضعيف جدا أمام حضارة أجدادي ، وما إن ينفلت أي لسان مادحا أو ذاما ، إلا واندفعت شاهرا

لسان معلوماتي ، وكأنني في حرب يحتم علي الواجب الوطني أن أثبت فيها قدرات شعبنا على كل ما هو رائع وحديث ، وما هذه الفترات التي سادت فيها همجية مستعمر أو استبداد حاكم ، لم يعرف كيف يستثمر قدرات ومواهب وفكر وعقل ومهارات أبناء هذا الشعب ، إلا غلالة من زمن لن ينبري وقت طويل قبل أن تنقشع ، فوجدتني وقد انطلقت عقدة لساني ، وذهب عني خوف اللغة ، وواتتني شجاعة كل شجعان العالم ماضيه وحاضره ، وربما مستقبله أيضا ، وانطلق اللسان الخجل ، وتسارعت المعلومات كأنها فيض ، وماي سيتو تصحح بعض الألفاظ التي لا تتناسب مع المعاني .

● هكذا بدأت صداقتنا ، لا يمر يوم ، بل لا تمر لحظة من يوم إلا ونحن سويا نتجاذب أطراف الحديث ، وكان لهذا شأنه في تحسين لغتي ، وزيادة معرفتي بشعب اليابان العظيم ، وبإنسانة وجدتها قريبة مني قرب نفسي لنفسي ، وربما أقرب .. "

وتساءلت مايسه :

● " وتزوجتما .. "

ما زالت في عجلة من معرفة كل ما يحيط بعلاقته بأمها من معلومات ، هز رأسه وأكمل :

● " إن لهذا الزواج قصة ، وأي قصة .. هل تريدينني أن أنهي كل ما لدي في جلسة واحدة ، لا تنسي أنني كلما وجدت من يستمع إلى قصتي معها ، أو يذكرني بها ، أجد سعادة ما بعدها سعادة ، وقلما أجده ، فلا أحد سوى والدتي ، وربما سعيد عمك هما اللذان يهتمان بالحديث عن ماي سيتو ، ولكن في وجود بنت القرنفلي باشا ، فقد كان هذا من أكبر المحاذير ، وكانت غرفتنا التي خصصتها لذكرياتنا وهدايانا ، مثار خلافات ومشاكل دائمة بيننا ، وربما كان لتقبل صفيه وجود هذه الغرفة مغلقة دون تعليق ، أحد أهم الأسباب التي ربطتني بها ، لكنك شئ آخر

يا مايسه فأنت هي .. أنت نحن ، فلا شئ يخفى عليك ، بل لا شئ يجب أن يخفى عنك .. "

بدا له أن يستعد للعمل ، فعدل من جلسته ، وانتظم في قيادته ثم نظر إلى مايسه وقال :

- " لقد اقتربنا من الشركة ، ولا بد من الاستعداد ، فهناك مراسم يقيمونها لي يوميا كلما شاهدوا سيارتي تأتي من بعيد .. "

وما إن انعطفت السيارة ، حتى فوجئت مايسه بشرطي المرور يطلق صافرته بطريقة معينة ، وصف من البشر يصطف على جانبي الطريق ، وآخرون كل يعرف مهمته التي حددها بنفسه ، فمنهم من يسارع ليفتح الباب لوالدها ، أو لها ، وآخر يحمل حقيبة أوراق والدها ، بينما مصطفى يسلم على كل منهم بابتسامة كبيرة ، ولا يمنع الأمر من بعض الأسئلة للمفاكهة ، أو ليعرف إجابة عن أحوال معينة ، كنجاح أبناء ، أو شفاء قريب ، أو إزالة بؤس عن بائس ، أو حل لمشكلة ، ولا يمنع الأمر من سيل من الطلبات ، فيحدد شخصا أو أمرا أو موعدا للقاء ، وهكذا ..

وتعجبت مايسه ، فلا يوجد شئ من هذا القبيل لديهم ، سوى عند من يسمونهم عصابات ، أو ربما العائلات الموغلة في القدم والعراقة ، وبالرغم من أن عائلة والدها كانت من تلك العائلات العريقة ، إلا أنهم ألغوا هذه الأمور منذ ردح طويل من الزمن ، فانتهزت فرصة خلو المكتب إلا منهما ، وتساءلت ببعض اللمز عن أن هذا يعتبر من قبيل العبودية .

شرح لها أنهم العمالة الهامشية بالشركة ، ومرتباتهم تعد من قبيل الزكاة ، وأنه يلحقهم بأعمال غير مهمة لا لشيء إلا ليعطيهم الراتب كنوع من أنواع المساعدة دون جرح المشاعر ، فهم في الغالب ممن تزيد أعمارهم عن الستين ، ولهم معاشات من الحكومة لا تكفيهم ، ويستطيعون أن يقدموا جهدهم وخبرتهم ، فمنهم الفراشين ، وعمال النظافة والمناولين ، فعلقت ببعض الغضب :

● " إذا كانت مساعدة ، فلتكن بدون تكليف بأعمال ، ولا صف النفاق الذي يستقبلونك بـه ، فعندنا أعمال المناولة والمخازن تتم بالكمبيوتر ، أما أعمال الشاي والقهوة ومناولة الأوراق ، فكل منا يقوم بها دون تكليف مراسلين أو فراشين .."

ولم يجد مصطفى أفضل من الدليل المادي ليقنع به بنت الشمس ، فنادى على واحد منهم ، وتركها تسأله ما شاء لها أن تسأل ، وأجابها الرجل بعفوية مطلقة :

● " مصطفى بيه ده أفضاله علينا وعلى أولادنا ، ده إحنا نتمنى طلعته علينا ، ده إحنا لو طلنا ، نبوس التراب اللي بيمشي عليه ، هو أنا أنسى وقفته جنبي لما مراتي جالها المرض الخبيث ، وفضل معانا بين المستشفيات ، وعربيات الشركة تنقلنا من هنا لهناك ، والدكاترة والمختصين ، وهو بتشجيعه ليها ، وتعليمه ليها الأدعية والصلاة ، وبالذات صلاة التسابيح ، وبفضل ربنا شفيت ، محدش مصدق ، ويمكن أنت كمان ما تصدقيش .. "

ثم توقف الرجل فجأة عن الكلام ، فقد أجهشت العبرات صوته ، وكاد يجهش بالبكاء ، لكنه سألها :

● " لكن حضرتك تبقي مين .. إنت لا شكلك مصري ، ولا لهجتك .. الشكل يعني يمكن الواحد يتمخول فيه شوية .. "

فقاطعه مصطفى بفخر :

● " يا رجل يا طيب .. ألا تستطيع أن ترى فيها مريم هانم ؟ إنها ابنتي الدكتورة مايسه إن شاء الله .."

وأسرع الرجل محاولا الإمساك بيدها ليقبلها ، وهو يقدم الاعتذارات ، ثم قال :

● " يا مايسه هانم ، قصدي يا دكتورة مايسه ، لو أنـــا مـــا اشـــتغلتش .. أمـــوت .. ده فضلا عن إن اللي بأقبضه من الشركة مبلغ محترم ، مكفيني أنـــا وأم العيـــال والحـــمد لله ، وطبعا الأولاد بدل ما المفروض يدونا .. بيأخذوا منـــا .. ومســـتورة والحمـــــد لله .. يبقى إزاي تطلبي مني أن أقصـــر في حقـــه ..؟ "

لكنها لم تترك أباها لعمله الذي دخل دوامته منذ اللحظة الأولى ، ســألته عـــن شـــرطي المرور الـــذي أطلق صافرته ، ومنع الجميع حتى المشاة من المـــرور إلى أن عـــبرت ســـيارته الشارع ، وأجابها مصطفى بشيء مـــــن الرفـــق :

● " كان يقوم بهذا العمل لرؤساء مجالس إدارات ومديـــري شـــركات حكوميـــة ، وفي المقابل ، أو لنقل إنهم كانوا يدرجون اسمه في قوائم الحوافز والعطايا الـــتي ينعمـــون بهـــا على من يريدونه أن يكون من خاصتهم ، وأية خصوصية تلـــك الـــتي تعـــامل الباشـــا رئيس مجلس الإدارة ، أو المدير العام معاملة الوزراء والمحافظين ، ولمـــا قـــدم إلى هـــذه المنطقة بعد عمليات الخصخصة ، وعدم إدراج اسمه في كشـــوف الحوافـــز والعطايـــا ، بدأها معي منبها لخدماته المجانية التي قصد منها تملـــقي ، وبالرغم من أنـــني كثـــيرا مـــا نهرته ورجوته الكف عن ذلك ، إلا أنه أفصح عن طلباتـــه الـــتي بدأهـــا برغبتـــه في إلحاق أخيه عاملا بالشركة ، ثم تلاه آخر وثالث ، وهـــو يطمـــع إن يلتحـــق بـــالعمل بالشركة بعد أن ينتهي فترة تجنيـــــده .. "

وتعجبت مايسه من كلمة تجنيده هذه ، وتســـاءلت في صمـــت :

● " أليس التجنيد للإعداد للدفاع عن الوطن .. ؟ "

لكنها لم تشأ أن تعطل أباها أكثر من ذلك ، ففد رأته في دوامـــة عمـــل لا تـــترك لـــه فرصة حتى لالتقاط الأنفاس ، ولولا هؤلاء الناس برعايتهم له ، لمـــا تمكـــن مـــن شـــرب كوب الشاي الذي يقدم له في العاشرة ، أو فنجان الحليب الدافئ المحلـــى بعســـل النحـــل الصافي الطبيعي ، الذي يحرص الرجل على إحضاره من منحل في قريتـــه ، الـــتي يعمـــل بـــه

أحد أقاربه ، ويؤكد عليه بأن يكون طبيعيا خاليا من أية إضافـات ، إنهـم أهلـه الذيـن يرعونه عندما يبعد عن المنزل ، حتى أن موعد انصرافه للغـداء ، لـو لم يـأت أحدهـم ليذكره به ، لنسيه أيضا ، لكنها اليوم هي التي ذكرته به ، فهم على موعـد للغـداء مـع السفير الياباني ، طلب منها أن تتصل بهم لتعلنهم أنهما في الطريـق ، ولا داعـي لإرسـال سيارة السفارة ، وأخذ معه التليفون المحمول ، وطلب من المهندسين عـدم الاتصـال بـه إلا عند الضرورة فقط ، وانصرف ومايسه خلفه ، بينما جميع العـاملين يهمـهمون بجمـال ورقة وشياكة ابنة سعادة صاحب الشركة ، وتلتقط أسماعها هذا المديـح الصـامت بشـيء من السعادة والثقة بـالنفس .

وفي الطريق ، أعادت عليه سؤالها اللحوح ، فنظر نظـرة رقيقـة ، واحتضنـها وبـدأ سلسلة الذكريات بسعادة لم يعهدها في نفسه مـن قبـل :

• " دعتني إلى قصرهم أكثر من مرة ، وعرفتني بعائلتها ، جدك رحمه الله وجدتك ، وخـالك ناجا وحشد كبير من الخدم ، كل له وظيفته ، ولا ينادى إلا بهـا ، الجنايني والبواب والطبـاخ والسفرجي وهكذا ، لا تنسي يا مايسه أنكم أخذتم الكثير من مصر ، النظـم وأساليب الحياة العصرية ، فقد كان اليابانيون ينظرون إلينا باعتبارنا قدوة لأن ظروفنا مشابهة لظروفكم ، ولعلمك يا فصيحة اللسان ، لقد قمت أنا بإلغاء هذه التشكيلة في بيتنا بطوكيو ، أما قصر جدك فكان كما هو حتى تركت اليابان .. "

وتساءلـت :

• " متى تزوجتما ؟ "

وأجـاب :

• " بعد حصولي على الماجستير ، وكنت قد خبرت البلاد بصورة أفضل ، تمكنـت مـاي سيتو من إلحاقي ببعض الأعمال التي تعود علي بدخل جيـد ، وخـبرة لا يمكـن أن أتصور إمكانية توصلي إليها ، لولا هذه الأعمال والعمل بها ، وقد كـان خـالك ناجـا

ذا عون كبير لي ، لذلــك ، فقد كان ولي أمري في اليابـان ، هـو الـذي يوقـع التعهدات ، والكفالات ، وكل ما يتعلق بشـئوني الشـخصية .. "

وانتابته حالة من الصمت المفاجئ ، كانت الذكرى تعتصره ، ومـع إلحـاح مايسـه ، واصل الحديث وقد اعترى صوته بعـض الخلجـات :

- " سجلت لدراسة الدكتوراه ، لكن حرب يونيو ٦٧ قامت ، وانتـهت بهـذه الهزيمـة المروعة الـتي هزت كيان كل مصري ، فقد كنا نتحمل كل ما تأمرنـا بـه الحكومـة من حرمان وتقشـف ، ونتقبل كل ما يتعرض له البعض منا مـن سـجن أو تعذيـب أو إهانات ، ونحن على يقين من أن الحكومة والحاكم علـى وجـه الخصـوص علـى حـق ، لكن النتائج كانت عكس ما كنا نأمل أو نتوقع ، ظننا أنهـا كفايـة وعـدل ، فاكتشفناها ظلما ونقصانا في كل شـئ .

- كنا نصدر القمح والتبغ والحليب والبيض ، أصبحنا نستورد كل شئ حـتى الحليـب ، وكل شئ بالطابور حتى الخبز ، وحتى ركوب الحافلـة وفي بعـض الأوقـات حـتى السجائر ، والسجائر بالنسبة للشعب المصري كما الحلـوى ، لا غـنى لـه عنـها ، والكل مشتت ، إما في وحدات عسكرية تبعد مئات وربمـا آلاف الكيلومـترات عـن السكن والعائلة ، أو في عمل يبعـد عـن سـكن الأسـرة المئـات مـن الكيلومـترات .

- أما عن الدراسة فقد كان العشرات التي تزيد عـن الخمسـة أو السـتة في الفصـل الواحد ، يكاد يتنفس كل منا زفير الآخر ومناهج لا ينتفع بها أحد حـتى الثانيـة عشـر من العمر ، وأوامر ونواه لا تنتهي ، لا لمن يقل سنه عن كذا سـنة مـن الالتحـاق بالتعليم الأساسي ، إن أمامه صف طويل لابد من إلحاقهم أولا ، هل يعقـل أن يكـون ابن السنوات الأربع في عقل يسمح لـه بالاستيعـاب ؟ والتعليـم الجـامعي تم السيطرة عليه تماما ، مكتب تنسيق لا يسـمح بالالتحـاق إلا بالطـابور ، طـابور مجـاميع ، وغير مهم أن تكون الجامعة قريبة أو بعيدة عن سـكن الأسـرة ، حـتى

أن المتيسرين منا كانوا يرسلون أبناءهم إلى الجامعات المصرية في الخرطوم أو في لبنان ، مع كل ما تحمله هذه الغربة من إنفاق زائد بدون تفكير أو ترو ، أو تقدير للمفاهيم الاجتماعية أو الاقتصادية أو العلمية ، أو حتى الوطنية .

● وكان غير المتيسرين يستدينون ليعدوا أبناءهم للحصول على مجاميع تؤهلهم للالتحاق بما يطمحون من كليات ، وبعد أن أغلقت الجامعة العربية في بيروت ، أيام الحرب الأهلية التي مزقت لبنان ، بدأ البعض يرسلون أبناءهم إلى جامعات الهند وباكستان ، وإلى جامعات الدول الاشتراكية ، حيث تعلموا فيها الفساد والإفساد ، والعجيب أن هناك من الأصوات من لا يزال يدافع عن هذه الأمور بدعوى تكافؤ الفرص ، وأن العاملين بالخارج ليس لهم انتماء لمصر ، وشعارات وصلت من زيفها أمرا يكاد يقتل من الغم ، ومع من تتفاهمين مع عقول على قلوب أقفالها ، أم نفوس تتعمد أن تفسد المجتمع ، وتفسد فطرة الله .. "

وعلقت مايسه :

● " كأنك ترفض الهزيمة ، ولا تقبل بالاشتراكية ..!"

وأجابها وقد احتد صوته :

● " وهل هناك من يرضى بالهزيمة .. أما عن الاشتراكية ، فقد قالوا إنها كفاية وعدل ، وكل ما قلته لك لا يتضمن هذه المفاهيم ، فالكفاية معناها أن أجد كل ما أريد ، على الأقل في أبسط الأمور المعيشية ، الطعام والشراب والكساء والسكن والتعليم والصحة ، والأهم من هذا كله الأمن من الخوف ، وهذه كلها يشوبها قصور ما بعده قصور ، فالفكر الاقتصادي الذي يهمل أهمية دخول الأفراد من معادلة الدخل القومي ، ويعمل على هدره وليس تنميته ، هو في الحقيقة يهدم الاقتصاد كله ، فالحكومة مهما بلغت من الكفاءة ، لا يمكنها أن توفر كل الأمور الحياتية للمواطن ، أما الأفراد فإنهم يتفهمون ذلك جيدا ، ورأس المال بقدر حرص أصحابه

على تنميته ، فهم مع ذلك الحرص ، يشبعون حاجة من حاجـــات المجتمـــع الملحـــة ، وتتقابل دائما الحاجات والرغبات مع ما يقدم من سلع وخدمات ، وموازيـــن الســـوق هي التي تحدد ماذا وكيف وبكم ، لكن أن تحدد كـــل هـــذه الأمـــور بقـــرارات ! لا يمكن أن يبنى الاقتصاد بقـــرارات .. "

أقنعها بمجموعة من المفاهيم ، التي ما كانت لتعقلها لـــولا أنهـــا لمســـتها مـــن منظـــور واقعـــي ، ووجدت نفسها تريد أن تنهل من هذا الفيض ، فلا يوجـــد أفضـــل مـــن الأب معلما ، فســـألت :

- " وماذا عن العدل .."

وأجابها ، وقد قطب حاجبيه ، إنها تفتح جروحا سأل الله أن تندمل ، لكـــن لا بـــد لـــه أن يجيبها ، هي تريد أن تعرف كل شئ عن المفاهيم التي تحكـــم مقـــدرات هـــذا الشـــعب الذي تنتمي إليه ، وليس أمامه إلا الإذعان ، فالنكوص عن الإجابـــة إهانـــة ، واســـتخفاف العقول تعال ، وإهدار الكرامة تكـــبر ، والظلم موجب للهلاك ، ذكر لهـــا قولـــه ســـبحانه وتعـــــالى :

- " وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون " صـــدق الله العظيـــم . "

ثم أكمـــل :

- " العدل يا مايسه ليس قوانين ، ولا محاكم ، ولا أحكامـــــا قضائية ، العـــدل مفـــهوم اجتماعي ، لو استطاع الكل تفهمه ، لساد العـــدل ، والرحمة فـــوق العـــدل أحيانـــا ، وقام البعض باستغلال عبارة الرحمة فوق العدل لتحقيق مصالح شـــخصية ، كمـــا صيـــغ العدل في شكل قوانين تحقق المصالح الخاصة ، ودهاليز القضاء لا يفهمـــــها ويجيدهـــا إلا أربابها من المحامين وكتبة المحاكم والقضاة ، أما الغلابة أمثالنا ، لهـــم الله ، وهـــــكذا ، فالقضية التي يتبين منها الحق واضحا ، تدخل بأســـاليب المحـــامين في دهـــاليز القضـــاء حتى آخر قرش معك ، أو آخر يوم في الحيـــاة .."

وأعادته مرة أخرى إلى ذكرياته مع أمها .. هي لا تفتأ تذكره بها ، وكأنها هي تذكره باليابان كلها فأمها بالنسبة له هي اليابان ، وتذكره لها هو تذكره لأيام الصبا وريعان الشاب ، وتذكره لأماكن لهو ومتع حياة ، وتذكره لمراتع نعموا فيها ونهلوا منها ، وهذه كلها تتلخص في اسم واحد ، وبلد واحد ، وحب واحد ، هذه كلها تتلخص في اليابان ، وتتلخص فيها هي ، مايسه ابنة مصطفى الخوجه المصري وماي سيتو كازو اليابانية ، فجرت مشاعر جديدة بسؤالها :

- " وما دخل هذا كله بزواجك من والدتي ؟ "

وصدق حدسها ، فها هو يتذكر الشعب الياباني كله ، ويذكرها بأمجاده حتى في حلكة أيام الهزيمة وسواد مستقبل التسليم بدون شروط ، اللهم إلا ما فرضه المنتصر :

- " تعلمين أن الشعب الياباني عندما استسلم في الحرب العالمية الثانية كان رافضا للهزيمة ، وتعلمين أن المؤسسة العسكرية اليابانية كانت في كامل تسليحها وقوتها وتفوقها ، وكانت رافضة للاستسلام لولا خطاب الإمبراطور الذي بكي فيه وأبكي معه كل أفراد الشعب ، فقد آثر الاستسلام وإعلان الهزيمة على أن تأكل القنابل الذرية أبناء الشعب الياباني ، ذلك أن العسكرية الأمريكية آثرت إلا أن تؤكد هيمنتها عالميا ، وذلك بأن تؤكد عزمها لضرب بلد ثان وثالث ورابع .

- وهكذا هي أمريكا ، ما أن تتوصل إلى أسلوب جديد في إنتاج السلاح ، إلا وتبحث أو لنقل تهيئ ظروف حرب مع دولة ما في الغالب من دول العالم الثالث ، لتجرب فيها تلك النوعية الجديدة من السلاح ، واليابان لم تكن في حاجة إلى تهيئة ظروف ، هي في حرب مع أمريكا ، خاصة بعد معركة بيرل هاربر ، وكانت أمريكا قد توصلت إلى القنبلة الذرية ، فلماذا لا تجربها ، والتجربة الحية لها لا تكون إلا في بلد به بشر ، وهناك من المقالات السياسية التي تؤكد على أن اليابان أعلنت استسلامها حتى قبل أن تلقي أمريكا بقنبلتها الذرية على هيروشيما ، وبالرغم من أن أمريكا لم تكن قد أنتجت سوى قنبلتين ، إلا أنها

آثرت أن تشعر العالم بأن لديها أكثر من قنبلة ، فبعد هيروشيما بأيام ، تلتها ناكازاكي ، وهذا معناه استعداد أمريكا للتثليث ببلد ثالث ، وفي كل مرة مئات الآلاف يموتون ومئات آلاف آخرين يصابون بالإشعاع القاتل أو المشوه لا تفرق .

● لذلك ، عندما أصابتنا الهزيمة العسكرية ، بعد الصخب الإعلامي وفبركة النصر في تصريحات الكثيرين من المسئولين ، ومن خلال البيانات العسكرية التي كانت تذيعها الإذاعة المصرية ، سخر الشعب الياباني من المصريين ، وعدونا جبناء ، خاصة بعد الجعجعة الكاذبة التي كان يطلقها كل من تبوأ مركزا عسكريا هاما في البلد وعبارات سنلقنهم درسا ، وسنلقي بهم في البحر .. إلى آخر هذه العبارات المثيرة ، لذلك بدأ التعامل معنا كمصريين يتغير ، فقد كان الشعب الياباني ينظر إلى مصر والمصريين نظرة كلها أمل وحب وتقدير ، وهذا ما أدى بالكثيرين منا إلى إعادة تقييم الأمور ، فحتى الحرب وهم أربابها فشلوا فيها ، وساعد على عدم رغبتي في البقاء باليابان تدهور صحة والدي بشكل كبير وما هي إلا أيام بعد وصولي إلى القاهرة ، حتى أسلم روحه لخالقها ، وكان لا بد لي من البقاء إلى جانب أمي وأخي سعيد .."

أرادت أن تعيده مرة أخرى إلى أمها ، فما لها وحكاياته مع أسرته ، كل ما يهمها الآن هو معرفة ما لم تكن حاضرته من أحداث ، هي تريد أن تعرف إن كان هذا الأب زوجا محبا لزوجته التي أنجبتها ، وأن ما فرض عليه من تركه لها خارج عن إرادته ، أم أنه فبرك مع خالها تلك الحكايات وما رأته من مشاهد حزن وأسى ودموع وشجن ، فسألته مرة أخرى :

● " وكيف تم اللقاء ثانية ؟"

أرسل بصره إلى الأرض ، وهز رأسه بنشوة ذكرى جميلة ، لعله لا يريدها أن تنقطع ، أو لعله يريدها أن تذكره بها ، وعلت وجهه بعض علامات سعادة غائبة ، غمرتها

السنون بتراب النسيان ، لكنها أبدا محفورة في الذاكرة ، لا تعصف بها أعتى العواصف القطبية :

• " لم تنقطع المراسلات بيننا ، وفي أحد الأيام ، فوجئت بها تتصل بي هاتفيا من القاهرة ، فقد قدمت مع أحد الأفواج السياحية ، ووجدتني سعيدا بسماع صوتها ، ولم أنتظر لحظة ، تركت ما هو هام أو غير هام ، وقفزت فوق كل الصعاب سعيا إليها ، وعندما تقابلنا وجدتني مندفعا إليها وقد شرعت ذراعي ، وفتحت قلبي وصدري ونفسي لاحتوائها ، ووجدتها تلقي بقلبها ووجدانها بين أحضاني ، وضاع الزمن ، فلم نشعر به ، واختفى كل شئ ، الناس والمباني والحافلات ، لا وجود لشيء في لقائنا إلا نحن ، انتهى العالم كله إلا منا ، وتساءلنا في صمت لعله الحب ، وهذا ما تأكدنا منه ، إنه لا شئ إلا أن يكون الحب هو الذي يربط بيننا ، لكنه ضاع في زحمة الحياة ومرارتها ، أو لنقل أنه كان غير قادر على فرض وجوده ، وجلسنا نتذاكر ، وإذا بها تتحول إلى هجوم شرس ، تسأل .. ولا تنتظر إجابات ، آلاف الأسئلة .. كيف استطعت أن أنساها ؟ الخطاب ردا على خطاب ، والعبارات بالكاد ومقتضبة ، كانت تظن أن سفري المفاجئ لم يكن إلا لمتابعة أحوال والدي المريض ، والإشراف على علاجه ، ولم تكن تتوقع أن أهجرها ، لكنني شرحت لها الظروف ، وأنني لم أكن أتصور أنها تكن لي حبا عظيما كهذا الذي أشعر به نحوها ، وأنها ابنة الشمس المدللة ، هل يعقل أن ترتبط بمصري ، وتؤدي بذلك إلى اختلاط الأجناس الذي ترفضه الديانات والتقاليد لديهم ، ثم أنني شعرت بالدونية بعد هزيمتنا في حربنا ، أو لنقل في حرب فرضت علينا ، ضاع فيها البشر والمال والشرف ، وحضارة آلاف وربما ملايين السنين .

• وفوجئت بها تتعجب ، لم تكن تتصورني بمثل هذه الغفلة ، فالشعب المصري له مكانته ، ليس فقط في اليابان ، ولكن في جميع أنحاء المعمورة ، ويكفي أن تذكر أنك مصري ، وتثبت ذلك بأخلاقك وتصرفاتك وعقلانيتك ، حتى تجد الجميع بدون استثناء ، العدو قبل الصديق يتودد إليك ، ويحاول التقرب منك ، فهم يعرفون مكانة مصر والمصريين في التاريخ والحضارة والموقع الجغرافي ، وفوق هذا كله ، في الديانات السماوية ، ألم تذكر مصر في القرآن ، وكذلك في العهد القديم والإنجيل ، وقد ظلت مصر محتفظة باسمها عبر العصور والقرون لم يتغير إلا عندما غيره المسئول

عن الهزيمة ، ولم يهزم الشعب المصري بهذه القسوة ، إلا بعد أن تغير اسم مصر ، ثم أن الكثيرين من الأنبياء عليهم السلام أقاموا في مصر ومنهم من عاش فيها ، ومنهم من ولد فيها ، إدريس الذي هو أخنوخ كان مصريا ، وهو جد أبي نوح ، وحفيد رابع أو خامس لآدم أبي البشرية ، وولد بعد وفاة آدم بفترة ليست كبيرة ، وهو أول أو ثاني نبي بعد آدم عليه السلام ، ثم إبراهيم ، أبو الأنبياء ، حضر إلى مصر وأقام فيها ردحا من الزمن ، وعندما قرر أن يعود إلى بلده ، ودعه الملك وأعطاه مالا وأنعاما ، وأوصله الجيش المصري حيث أراد ، وأهداه وصيفيتين من وصيفات الملكة ، إحداهما (هاجر) كانت ابنة ملك فتزوجها وأنجب منها إسماعيل جد نبينا عليه السلام ، ثم يوسف عليه السلام الذي حضر إلى مصر رقيقا ، ثم أصبح وزيرا للخزانة ، لينقذ مصر بقدرة الله ورحمته ، من أول جفاف تبتلى به ، وأحضر أباه يعقوب وأمه وكذلك اخوته ، ثم موسى عليه السلام ، ولد وعاش وتربى وبعث فيها ، ثم عيسى بن مريم عليهما السلام ، حضرها مع أمه رضيعا ، وتركها يافعا ، أما محمد عليه السلام ، فقد تزوج منها أم المسلمين ماري القبطية ، وأوصى بأهلها خيرا .

- لم تذكرني بما فعلته من أجلي ، سواء في الدراسة أو اللغة أو العمل الذي شعرت في لحظة من اللحظات أنه ربما كان مساعدة مالية مستترة ، وانتابتني بعض الهواجس من أنها ربما كانت تدفع راتبي ، لولا أنه بعد فترة من العمل الجاد ، قرر أصحاب العمل زيادة راتبي ، لحظتها فقط شعرت بأنني أعمل بحق ، وأنها ليست إعانة ، لكن هذا لا يمنع أنه ربما كان الأمر في بدايته كذلك ، لقد جندت أخاها ناجا بمكانته العلمية والعملية لمساعدتي ، ولحظتها .. شعرت أنني أغنى إنسان في العالم ، كيف أنني لم أستشعر هذا الحب الكبير الذي لم يتفجر إلا في القاهرة ؟ "

فعلقت مايسه بهدوء :

- " ربما لأن مصر هي بلد الحب .. "

وأمن على كلامـــها :

- " صدقت والله يا مايسه ، فبالرغم مما يعانيه الكثيرون ، سواء الظـــروف الاقتصاديـــة أو السياسية أو حتى الاجتماعية ، إلا أن الحب لم يغب أبدا عنا .."

لكنها لا تريده أن ينجرف في حديث آخر خارج علاقتــــه بأمـــها :

- " وتزوجـــــتما .."

وما كان له إلا أن يتـــابع :

- " في البداية سألتها عن مصدر المعلومات الدينية القيمة التي قالتـــها ، فوجدتهـــا تحفـــظ الكثير من آيات الذكر الحكيم والأحاديث النبويـــة ، وفاجأتني برغبتـــها في أن تشـــهر إسلامها ، وأنها قدمت إلى القاهرة لهذا الغرض ، سواء رغبت في الـــزواج منـــها أم لا ، ووجدتني أحتضنها بقوة الحب الذي أكنه لها ، واختطفتـــها في ســـيارة أجـــرة إلى الأزهر الشريف ، حيث سألها مشايخ الأزهر أكرمهم الله عـــن أســـباب إســـلامها ، وكان الجواب سهلا للغاية ، حيث قالت إنها وجدت أن الله في الإســـلام هـــو القـــوى الروحية في الطبيعة ، أو ما يطلق عليه (كامي) في ديانة (الشـــانتو) ، الـــتي يعتقـــد فيها غالبية اليابانيين وهي وعائلتها من بينهم ، ولما كان الإسلام يهدي إلى هـــذا الإلـــه بعظمته وجلاله وأسمائه وصفاته ، وكلها قريبة للعقل سهلة الاســـتيعاب فقـــد أراد الله لها الهداية ، فشرح صدرها للإسلام ، ثم قرأت قوله سبحانه وتعـــالى " فمـــن يـــرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام " وعندما طلبوا منها الاسم الإســـلامي الـــذي ترغـــب في تسمية نفسها به ، رغبت أن يكون فاطمـــة وعـــن الأب ، صرحـــت لهـــم بأننـــا نرغب في الزواج ، وفي الغالب تنسب الزوجة للزوج فيكون اسمـــها فاطمـــة مصطفـــى الخوجه ، وأسعدهم خبر الزواج فاهتموا بـأمره ، وقـــالوا :

- " خير البر عاجله "

فتولى أحد المشايخ عقد الزواج وشهد عليه شيخان آخران ، وتـــولى الســـادة الشـــيوخ أمر الاحتفال بهذا الرباط المقدس الذي ذكر الله سبحانه وتعالى أنه آية مـــن آياتـــه ، فقـــال " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا " فكـــان عرســـا إســـلاميا حقيقيـــا ، بـــين الإنشاد الديني وتلاوة القرآن . لقد عدنا السادة المشايخ أبناء لهم ، فكـــان احتفـــالهم بنـــا فوق كل تصـــور . "

كانا قد وصلا بيت السفير الياباني ، وما إن أعلن رجل الأمـــن عـــن قدومـــهما ، حـــتى فتحت الأبواب وخرج السفير بنفسه ومعه ابنته والدكتـــور نـــاجا ســـيتو ، ليكونـــوا في شرف استقبالهم ، ربما كان لتزكية الدكتور ناجا سيتو لهما عند السفير أثرهـــا الكبـــير ممـــا جعل لهما هذه الأهمية ، وربما هي البروتوكولات السياسية ، وربمـــا هـــذه هـــي الأصـــول الواجبة في الترحيب بقدوم ضيـــــف .

تعجب مصطفى من أن لهفة ابنته إلى التعرف على تفاصيل حياته مـــع والدهـــا ، جعلتـــها تنهي طعامها بالسرعة التي أنهت بها طعامها في بيت السفير ، حتى إن ابنـــــة الســـفير الـــتي كانت زميلة دراسة ، وما زالت الصداقة تربط بينهما ، فضلا عن القرابة ، والأمـــر يحتـــم البقاء سويا ، تتذاكران وتتفاكهان ، إلا أنها همست في أذن خـــالها ببضـــع كلمـــات ، وضح منها أنها تستأذن لها ولأبيها في الانصراف ، وهذا معناه أن خالهـــا إن كـــان يرغـــب في البقاء ، فهذا شأنه ، ومط ناجا سيتو شفتيه ، ثم هـــز رأسه موافقـــا ، وأومـــأ للســـفير برغبتها ، وتبادل الجميع معهما تحية الوداع بانحناء الرأس ، وانصرفت مـــع أبيـــها ، بعـــد أن تم تحديد موعد آخر للقاء ، في السفارة أولا ، لتوقيع عقد الصيانة ، وفي المـــترل ثانيـــا لقضاء سهرة ليلية جميلة تشترك فيها الجاليـــة اليابانيـــة .

ما إن برحت السيارة بوابة مترل السفير ، حتى نظرت إليه نظـــرة ذات معـــنى ، لكنـــه تعمد إثارة حفيظتها ، لقد حرمته من جو كـــــان يعيش فيـــه ذكريـــات مضـــى عليـــها ســـنوات ، فكثيرا ما دعي إلى هذا القصر ومعه ماي سيتو ، لكنـــها وكزتـــه بلطـــف ، فسألها مرادها ، كأنما لا يعرف ، فزامت مغاضبة فقـــال لهـــا :

● " ألا يكفي أنك لم تتركي لي فرصة الذكريات .. إنني لم أحضر إلى هنا منذ أن غادرت ماي سيتو القاهرة ، ولما عدت من اليابان ، لم أشأ أن تعاودني الذكرى وهي ليست معي ، لكن ذكرياتي مع والدتك وأنت معي ، تجعل للحياة طعما آخر .. "

فاعتذرت بدلال ، وهي تلقي برأسها على صدره ، ثم قالت :

● " ألست بعضا من هذه الذكريات ، إن لم أكن كلها .."

فاحتضنها ، وبدأ يستعيد ذكرياته :

● " أتدرين يا مايسه ؟ إن أكثر ما يميز أبناء الشعب المصري رجولتهم وشهامتهم ، إننا نطلق على من يعتمد على مال زوجته ألفاظا ونعوتا ، تضعه في مصاف الأنذال والبلطجية والأنطاع ، فالرجل لا يكون رجلا إلا إذا كان سيد بيته ، والسيد هو الذي ينفق ، فماذا يكون من يقبل بأن تنفق عليه زوجته ؟ أو أي شخص آخر .. ؟ تذكرت هذه العبارات وماي سيتو تعرض على السفر إلى اليابان ، بتذكرة سفر أحضرتها معها ، وعقد عمل يسيل له اللعاب .."

وبدأت فترات الصمت بين الفقرات تطول ، ومايسه تنظر إليه تستحثه الكلام ، فعاوده والعبرات تخنقه ، والدموع تترقرق في عينيه :

● " قالت لي إنها أدركت من خطاباتي أنني أمر بضائقة مالية ، فضلا عن أنها كانت تعرف ذلك مسبقا ، وحاولت إقناعي بالسفر إلى اليابان معها ، ففرصتي هناك أفضل بكثير ، حيث يمكنني مساعدة عائلتي بشكل أفضل ، وأكمل دراسة الدكتوراه التي سجلتها قبل سفري سنة ١٩٦٧ ، والعجيب أنني كنت أرفض بكل ما أملك من كرامة وعزة نفس ، وأمام إصراري على البقاء في القاهرة ، لم تجد بدا من الموافقة ، فهي تحبني ، وتريد البقاء معي ، في أي مكان شاء لنا الله أن نجتمع فيه ، والله هو المعين .

● هذا بالرغم من أن البيانات التي استخلصتها من الدراسات العلمية ، كانت تشير إلى مزيد من المتاعب ، فالبلد في رأى اليابانيين مستهدف من كل قوى الشر والعدوان ، وعلى رأسهم اليهود لإضعاف قوتها الاقتصادية في المقام الأول ، وهذا كفيل بأن يضعف باقي القوى ، إن بقيت هناك قوى ، وما الحروب التي خاضتها البلاد منذ أن قامت الثورة ، إلا مسلسل لم ينته إلا بحرب رمضان ، بداية باستنفار الجيش في بداية الثورة ، ثم مرة أخرى في الخلافات التي دبت بين أقطاب الثورة ، ثم حرب السويس ، ثم هزيمة يونيو ، ثم ما أسموه بحرب الاستنزاف ، ومن قبل الهزيمة حرب اليمن ، هذا بالإضافة إلى القروض التي أثقلت كاهل الاقتصاد المصري بفوائدها التي تحتسب اعتبارا من تاريخ عقد القرض بغض النظر عن السحب منه أو لا ، ثم تخفيض العملة ، وأخيرا تغيير الاسم والعلم ، أي أنها هوية جديدة لبلد كان له رسوخه وشموخه الذي يمتد إلى آلاف وربما ملايين السنين ، وترتب على ذلك ما نحن فيه الآن ، الإصلاح الاقتصادي في اعتقادي ، هو أن يكون المواطنون .. كل المواطنين في بحبوحة من العيش ، لا يعانون العوز ، ولا يخافون من الغد ، وهذا وحده كفيل بأن يعدل كل الموازين التي اختلت بفعل بعض السياسات التي تصدر في قرارات أو قوانين ، ولقد صدقت ماي سيتو في كل ما قالته ، لكني لم أكتشف ذلك إلا بعد فوات الأوان ، وعلى كل ، ما كان لي أن أترك القاهرة وبها والدتي وأخي الصغير ، وأدركت هي الموقف ، فوافقتني على البقاء معا في القاهرة .. "

تعجبت مايسه من موافقة والدتها البقاء مع والدها في القاهرة بالرغم من كل المحاذير التي توصلت إليها الدراسات اليابانية في هذا الشأن ، وازداد عجبها أن حياتها مع والدها في القاهرة كانت كالأحلام ، فقد حصل على إجازة من عمله ، وصحبها في جولة لتتعرف على مصر ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وغير الواقع الذي شاهدته عينا ويقينا بعض المفاهيم التي بنتها على دراسات علمائهم في اليابان ، قالوا إن السد العالي سيجعل الأرض تعاني من قلة الخصب ، وربما البوار فضلا عن عدم تماسك التربة ، فوجدت الريف بنضرته والخضرة تحيط به من كل جانب ، وتمتعت

بقضاء أوقات سعيدة مع طيبة أهل مصر التي تقطر خيرا وبركة ، وتفانيهم في خدمتهما مع اهتمامهم الزائد بها بمجرد علمهم أنها من بلاد الشمس المشرقة .

لكن الإنفاق الزائد الذي بدا لها بذخا ، أثار تساؤلاتها ، وشعرت أن في الأمور أمورا ، فما اجتماعاته المغلقة إلا ستار لشيء لا يريدها أن تعرفه ، والمرأة اليابانية تعبد زوجها ، وماي سيتو تعبده بعد الله سبحانه وتعالى ، وإذا كان لا يريد أن يطلعها على شئ ، فهذا شأنه ، لكنها أبدا تريد معرفة ما يدور حولها ، ولن تستطيع ذلك إلا بتعلم اللغة العربية ، خاصة وأنها كانت حريصة على معرفة أمور دينها الجديد والكتاب الذي يقدسه المسلمون قرآنا عربيا ، فطلبت منه أن يعلمها العربية ، وسارع مستجيبا بحماس من يرى في زوجته الإخلاص المطلق ، فالمرأة التي تريد أن تدرس لغة زوجها ، تريد لحياتها معه الاستمرار ، ولحرصها على سرعة التعلم ، أجادتها خلال أيام ، وتلمست أسباب الاجتماعات المغلقة ، وعلمت أنه رهن العزبة ليستطيع الإنفاق على ما ظنه يسعدها ، لكن لأنها لا تريد أن تشعره بضعف أو عجز ، طلبت العودة إلى القاهرة ، وسارعت بعقد صداقات مع الجالية اليابانية ، والكثيرون منهم حتى السفير ، يمتون لها بصلات قرابة ، ومن خلال نقاشاتها معهم تعرفت على بعض احتياجاتهم ، وأهمها الزهور ، فالشعب الياباني يحب الزهور حبه للحياة ذاتها ، ثم رغبتهم في تعلم اللغة العربية ، وانتهزت اقتراب أحد المناسبات القومية ، وطلبت من السفارة توجيه الدعوة لها باسم زوجها ، ولما تكشف للسفير إجادتها للغة العربية ، عرض عليها مركزا هاما في السفارة ، براتب ما كان لها أن ترفضه .

لكن مصطفى لم يقبل ، فعمل المرأة من وجهة نظره حرام ، إلا إذا كان تعليما أو تطبيبا لفتيات أو نساء ، أما أن تجالس الرجال في مكان واحد ، فهذا ما لا يرضاه ، لكنها أقنعته بأنها ستكون في غرفة خاصة بها ، وأنها لن تنفرد بأي من الرجال مهما كانت الظروف ، فهي تخشى الله سبحانه وتعالى ربما أكثر مما يتصور ، ولقد تعلمت اللغة العربية ، لأنها لا تتصور أن تكون مسلمة ولا تعرف لغة القرآن .

رفض مصطفى أن تساهم ماي سيتو في نفقات الأسرة ، أو حتى أن تنفق دخلها من عملها علي احتياجاتها الشخصية ، وهي لا تستطيع إلا تنفيذ أوامره ، لكنها تشعر بمعاناته ، فالنفقات كثيرة ودخله لا يكفي ، ففكرت في حيلة ذكية ، تزيد بها دخله دون أن تحرجه ، فاقترحت على السفير تدريس اللغة العربية للجالية اليابانية ، هي تدرسها للسيدات ، أما زوجها مصطفى الخوجة الذي حصل على الماجستير في العلوم من اليابان ، وما اللغة العربية التي تجيدها الآن إلا من تعليمه ، وعلى هذا فإنه خير من يتولى تدريسها للرجال ، ووافق السفير فورا ، فاتفقت معه على ألا يشعره بأنها هي صاحبة الاقتراح ، وأن عمله معهم سيكون من قبيل التطوع ، ثم يتم تسليمه مستحقاته على أنها مكافأة رمزية يقدمها له السفير بعد نهاية البرنامج ، وقدمت للسفير برنامج دراسة مدته ثمانية أسابيع ، وهي فترة كافية للإلمام بمبادئ اللغة ، وبعض الجمل التي تمكن من التعامل مع المصريين في الحياة اليومية .

ووافق مصطفى على هذا العرض ، باعتبار أنه سيكون مرافقا لزوجته في عملها خلال الفترة المسائية ، فما كان ليسمح لها بالعمل مساء ، وتبقى خارج المنزل بدونه ، ووجد متعة كبيرة في هذا العمل ، حتى أنه تحمس له ، فأضاف وعدل ما وجده لازما ، وشعرت ماي سيتو بسعادة غامرة ، أنها استطاعت مساعدته بعمله دون علمه ، ولم يستطع مصطفى أن يرفض المكافأة التي قدمها له السفير شخصيا في احتفال مناسب في نهاية البرنامج ، وهو يشكره على مجهوداته التي لا تقدر بثمن ، ويتفق معه على زيادة المدة ، نظرا لأن المجموعة الحالية ، تحتاج إلى مستوى أعلى ، وهناك مجموعة أخرى ستحل محلها ، ثم أصبحت المجموعتان ثلاثا ، ثم أربعة ، وكل منها ساعة ونصف بإجمالي ست ساعات ، بدخل شهري يسيل له اللعاب ، نهض بالأحوال المالية للعائلة ، وسدد رهن العزبة وبدأت حياة السعادة التي لا يعكر صفوها ضيق ذات اليد .

لكن ماي سيتو لم تتركه ، اقترحت عليه أن يؤسسا محلا لبيع الزهور ، وتعليم الراغبين فن تنسيق الزهور ، ووافق ، واقترحت أن يتم زراعة حديقة الفيلا بالزهور التي تباع في المحل ، ووافق ، ثم تحويل العزبة إلى مزرعة للزهور والنباتات الطبية والعطرية فهي أكثر ربحية ، ووافق ، ثم اقترحت أن يتم إخلاء العمارات التي لا تحقق

دخلا يتناسب مع ما يجب أن تحققه ، وتعويض المستأجرين ، وتأثيثها أثاثا راقيا وتأجيرها مفروشة لأعضاء الجالية اليابانية ، ووافق ، وأصبح الدخل من محل الزهور والزراعات الطبية والعطرية والبنايات المؤجرة للجالية اليابانية ، يزيد كثيرا عن الضروريات والكماليات ، فاقترحت أن يتم إيداع مكافآت تدريس اللغة اليابانية في حسابالهما بالبنك في اليابان مباشرة ، حتى لا يتم اتهامهما بالتهريب أو التهرب أو أي من تلك العبارات التي كانت ترعب أو تصادر أو تعاقب ، وربما تفلس من يتهم بها ، على أن يتم شراء فيلا صغيرة تكون عش حبهما إذا ما رغبا في السفر إلى اليابان لقضاء بضعة أيام مع الأهل ، فهي لا تريد أن يكونا ضيوفا عند أحد ، لا أسرتها ، ولا حتى أخيها الذي يحبهما كثيرا ، ووافق ، واقترحت أن يكون أخوها " ناجا " وكيلا عنهما في اليابان حتى يتمكن من شراء الفيلا أو بنائها ، وكان لها ما أرادت .

وحتى سعيد ، لم يسلم من إشرافها على دراساته ، بما لديها من علم ومعرفة بدروسه وعلومه ، كان في السابق يعاني من تدخل مصطفى ، فأصبح الآن يعاني من زوجته أيضا ، لكنها كانت تعرف جيدا كيف تحفزه على الدراسة ، وكيف تسهل له العلوم حتى تصبح مقبولة وميسرة ، حتى كأنه بات لا يفهم إلا من شرحها ، ولا يهتم إلا لما يسعدها ، وأصبحت بالنسبة له المعلمة التي لولاها لما فهم شيئا ، وتحسنت درجاته العلمية ، وزاد تحمسه للعلم .

وأكمل مصطفى ، وقد بدا التأثر في تهدج صوته ، وكميات من الدموع تملأ مقلتيه :

● " وتخطينا مرحلة الكفاف بكثير ، حتى لكأن الله سبحانه وتعالى ، أرسل هذه الحورية القادمة من الشرق البعيد ، لتنقذ هذه العائلة من فقر محتم ، نتيجة لاستسلام أعضائها وعلى رأسهم أنا لليأس وفقدان الأمل ، لما أصابنا من تأميم أفقدنا دخلنا ، وهزيمة عسكرية زلزلت كياننا ."

واعتدلت مايسه في جلستها ، وقد اختلطت دموع خفيفة هي تعبير عما يكنه أبوها لتلك الزوجة الرائعة ، التي هي أمها ، وابتسامة الرضا التي جعلتها تشعر بأن أباها لها ،

ولأمها من قبلها حياته كلها وهبها لتلك الراحلة ، ولابنتها من بعدهـــا ، ومــا الغرفـــة التي خصصت لها في الفيـــلا ، والتي تم فرشها " بالتنامي " وملئـــت بصورهـــا ، وهدايـــا أعياد ميلادها منذ أن غادر اليابان ، وصور أمها التي " بروزها " ووضعـــها في كـــل مكـــان من الغرفة ، وحرصه على أن تكون الغرفة دائما نظيفـــة انتظـــارا لحضـــور ابنتـــه ، وهو على يقين من ذلك ، تماما كما فعلت أمها من قبل ، إلا تـــأكيدا عمليـــا علـــى هـــذا الحب ، ووفاء نادرا لذكرى عزيزة لا يريدها أن تتوه وســـط الأحـــداث .

- " لقد كانت نعمة من الله تعالى ، فقد انهزمت إرادتي ، وأنا أرى كل شئ ينهار أمامي ، تأميم وحراسات وكبت حريات وحروب متواصلة ، وتحويلنا إلى طابور من الموظفـــين ، كتبـــة ومنفذين ينتظرون المرتب آخر الشهر بفارغ الصبر ، ولصغره وعدم كفايته فانه يحتـــاج إلى خبراء في كـــل شئ لتصريفه في الأمور الحياتية الهامة ، ولا تتاح الفرصة لأي متفـــوق في إخراج موهبته أمام جبروت الرئاسات التي انفردت بالقدرة المطلقة على اتخاذ كل ما هـــو صائب من قرارات ، وعلى الباقين الطاعة العمياء .

- ولقد كان لتضافر الجالية اليابانية معنا وتشجيعهم لنا ، أكبر الأثـــر في نجـــاح الكثـــير من تلك المجهودات ، فلم يبخل أي منهم بما لديه مـــن خـــبرات أو معلومـــات عـــن مساعدتنا في هذه الأعمال ، الكثيرون منهم يجيدون فن تنســـيق الزهـــور ، وقدمـــوا خبرتهم لنا طواعية ودون مقـــابل ، وفي الزراعة ، وجدنـــا الكثـــيرين الذيـــن أمدونـــا بخبراتهم في هذا المجال ، وساعدونا في استيراد الآلات الحديثـــة والمـــهمات المتقدمـــة ، بل والأسمدة والمبيدات ، التي كان لها الأثر الرائـــع في إنتاجيـــة الأرض مـــن النباتـــات العطرية والدوائية ، سواء من حيث الكم أو النوعيـــــة ، الأفضل كثـــيرا ممـــا هـــو موجود ، أو مما كنا ننتـــج ."

وتساءلت مايســــه :

- " ومتى سافرتما إلى اليابان ؟"

وأجـــــاب :

- " هناك سببان ، الأول واضح وهام ولا يحتاج إلى أي تأجيل ، وهو أن والدتك كانت حامل فيك ، وقد بدأت بعض أعراض إشعاعات قنبلة هيروشيما في الظهور ، فأنت تعرفـــين أن والدتك كانت تقيم مع عائلتها في قرية قريبة من هيروشيما خلال فترة الحرب العالمية الثانية ، ذلك أن الكثـــير من العائلات الغنية فضلت النزوح من المدن الكبيرة المعرضـــــة لدمـــار الحـــرب ، إلى الضواحي القريبة منها ، ولعل الجسم يستطيع أن يقاوم الإشعاع في الظروف العادية ، أما في ظروف الحمل !! كل اليابانيين وهي منهم يعلمون جيدا ما هي أسباب تلـك الآلام المبرحة سواء صحبها قروح ، أو لم يصحبها ؟ وعندما كانت الآلام بدون قروح كانت تعاني في صمت لكن لم تستطع بعدما ظهرت القروح ، وأقر الأطباء أنها من تأثير الإشعاع ، وأن الأطباء اليابانيين خـــير من يعالجون هذه الأعراض .

- كان لابد لوالدتك من الذهاب إلى اليابان ، حتى تكون تحت الرعايـــة الطبيـــة المركـــزة هناك ، وحتى تخرجين إلى النور معافاة من هذه الآثار ، أما السبب الثـــاني ، والـــذي لم أعرفه إلا لاحقا ، فقد وردت للسفارة اليابانية معلومات مؤكـــدة وســـرية ، بضـــرورة مغادرة أكبر عدد ممكن من الجالية اليابانية ، لاحتمــــــالات نشـــوب حـــرب بـــين العرب وإسرائيل ، وذلك بالرغم من خطاب الرئيـــس الســـــادات قبـــل الحـــرب بشهر واحـــد - وربما أقل - بأنـــه ليس مستعدا للحـــرب ، وكتابـــات الصحفيـــين المصريين التي تؤكد ذلك بناء على الأرقام الـــتي تظـــهر تفـــوق ترســـانة الأســـلحة الإسرائيلية ، على جميع ما يملكه العرب من أســـلحة ، ونظـــــــرا لأن اليابـــانيين عانوا من ويلات الحـــرب ، فـــإنهم يسارعون بمغـــادرة أي مكـــان تكـــون فيـــه احتمالات الحرب ولو بنسبة لا تكاد تذكـــر . ولم تذكر والدتـــك لي ســـوى الســـبب الأول ، وهذا كان كافيا لمغادرتي إلى اليابان فورا ، فصحـــة حبيبـــة قلـــبي مـــــاي سيتو وانتظارنا لقدومك كانت فوق كل اعتبار ، ومن أهـــم الأوليـــات ."

ابتسمت ابتسامة مجاملة ، واستعجلت اســـتكمال الحديـــث :

• " وسافرتما إلى اليابان .."

احترم رغبتها ، وأكمـــل :

• " وصلنا خطاب من خالك ناجا يخبرنا فيه أنه قد اشترى لنا فيلا جميلة كمـــا القصــر ، وأنشـــأ لنـــا شركة صغيرة للصناعة والتجارة ، بدأناها بالتجارة ، ثم طورناها بعد ذلـك لتشمل الصناعة والتجارة ، ووسعها خالك بعد مغادرتنا اليابان ، هي إلى خالقها ، وأنا إلى القاهرة ، إلى أن أصبحت كما ترينها الآن ."

وتساءلت متعجبــة :

• " هذا معناه أنك لم تكن بالقاهرة أثناء حرب ٧٣ ؟"

أراد أن يتثبت من ذكائها الفـــائق :

• " وكيف عرفت ؟"

أجابت بـــالمنطق :

• " تقول إنكم كنتم في انتظاري ، وأنا قدمت في أكتوبر ٧٣ .."

وأكمـل :

• " كنا في شهر الصوم ، وأنا في انتظار قدومك والاطمئنان على والدتك ، فوجئت بالمستشفى تعج بالفوضى ، والجميع يتكلم في وقت واحد ، والكلام عن حرب بين العرب وإسرائيل ، وانطلقت أبحث عن أي مصدر للأخبار ، وقدم الطبيب العربي الوحيد بالمستشـــفى ، وكان من أصل لبناني ، يربت على كتفي ، ويحاول طمأنتي ، لكنني بالرغم مما كنت فيه ، خرجت كلماتي بعصبية لم أستطع التحكم فيها ، وربما صحبتها بعض الاتهامات ، وربما الســـباب ، لهؤلاء القـــادة الذين أغرقونا في هزيمة ٦٧ ، وسوف يعيدوننا إلى نير العبوديـــة في ٧٣ ،

ولمـــن ؟ لمن كان أجدادنا سادة لهم ، ولديهم عقدة الاضطهاد ، رغم أنهم يثـــيرون العـــالم عليهم بأفعالهم الـــتي تتصف بأمور غريبة ، وضحها لنا سبحانه وتعالى في كتابه العزيـــــــز " ليس علينا في الأميين سبيل " فهم لا يرون فيما يفعلونه بغير اليهود أية غضاضة ، فنحن لا نمثل لهم شيئا ، وكل حلمهم أن يحكموا العالم ، ونظرا لضعفهم وجبنهم ، فهم يريدون حكم العالم من خلال الآخرين ، أرادوها من خلال الثورة الفرنسية ، وفتوحات نابليون ، ولمـــا فشـــل ، قاموا بنفيه ، ثم كرروها مع الروس ، وملكوا الأمور ، فمعظم إن لم يكن كل قادة الثورة البلشفية من اليهود ، هذا فضـــلا عن أن مؤسس النظرية الشيوعية يهودي أيضـــا ، ولكي تكتمل الصورة ، كان لا بد من أن يصموا البشر كلهم بأن أصلهم قرود ، فخـــرج علينا المريض نفسيا ، الذي رفعوا من شأنه حتى نصبوه رائدا لنظرية النشوء والتطور ، الـــذي أعلن أن الإنسان أصله قرد ، وذلك حتى يحرفوا الكلم عن مواضعه ، فيصبح مـــا ذكرتـــه الكتب السماوية من خسف بعضهم إلى قردة خاسئين ، ينصرف إلى كل البشر وليـــس إلى اليهود فقـــط ، ولم يتساءل أي ممن ردد عبارة الإنسان أصله قرد ، لماذا لم يتحـــول كـــل القرود إلى بشـــر ؟ أو لماذا لم يتحول كل البشر إلى قرود ؟ ونسوا الخالق الأعظم ، الـــذي خلق البشر بشرا والقرود قرودا .. "

وقاطعتـه :

- " حذار يا والدي .. فإن كل من يتطاول عليهم بذكر حقيقتهم ، يناله منهم ما لا يسر .. ولا أريد أن أذكرك بذلك الصحفي الذي أجبر على الاستقالة لأنه شكك في أفران هتلر لحرق اليهود ، ولا الجريدة التي أغلقت مدة من الزمن اعتذارا عن خطيئة الصحفي بها .. "

فقال مطمئنـــا :

- " أعرف يا مايسه ، ولكن الحقائق لا تطمس ، مهما حاولوا إخفاءها .. "

وأرادت إعادته مرة أخرى إلى ذكـــرى ولادتهـــا :

• " لكنك يا والدي لم تذكر تلك اللحظات الحاسمة في حياتي ، لحظات خروجي إلى الحيـــاة ، مررت بها مر الكرام .. حذار يا والدي .. أنا لا أتآكل أونطة .. "

تعجب من هذه التعبيرات ، لكنه تذكر أن هـــذه العبـــارة وردت في أحـــد حـــوارات موظفيه ، وربما كانت تريد معرفة معناها ، فأوردتها في صيـــاغ الحديـــث حـــتى يشـــرحها لهـــا ، لكنه ابتسم وعاد إلى شـــــــــريط الذكريـــات :

• " جذبني الطبيب اللبناني إلى قاعة الانتظار ، وجلسنا نتابع أخبار الحرب من خلال ما تبثـــه وكالات الأنباء العالمية عن المعارك ، وكأنما نحن نرى فيلما سينمائيا ، وكان واضحا تفـــوق الجيش المصري ، فقد عبر القناة ، ودمر خط بارليف ، ورفع العلم المصري علي أطلالـــه ، وكلمات الله أكبر تهز الوجود ، فلا ترين معها إلا الانتصار ، والجنود يسجدون لله شكرا ، ومع أذان المغرب يفطرون على رمال سينا .

• تصوري يا مايسه ، أن الجنود المصريين أبوا إلا أن يصومـــــــوا ، وعندمـــا حـــانت الفرصة لتناول الإفطار ، فضلوا رمال سيناء على كل ما عداها من بعـــض مـــا حملـــوه معهم لإفطارهم ، كانت لحظات تاريخية ، لا يملك الإنســـان فيـــها إلا الدعـــاء لهـــم بالنـــصر وذكر الله أكبر والحمد لله وتسبيحه ، والبكـــاء .. نعـــم البكـــاء ، فنحـــن شعب لا يطربنا إلا الشجن ، نفرح نبكي ، نحزن نبـــكي ، لكـــن شـــتان بينـــهما .

• وزاد من مشاعر الشكر لله سبحانه وتعالى ، أن وصلني خبر تشريفك ، مع موسيقى النصـــر التي تعزف من خلال الإذاعة المصرية ، وأناشيد الله أكبر والشكر لله ، والبيانات العســكرية التي كانت تفسر لنا ما نراه مـــن معارك ، ولم أملك إلا السجود لله شكرا ، على كل مـــا أنعم به علينا ، النصر أولا ، ثم قدومك والاطمئنان على صحة ماي ســـيتو ، ومـــا زاد الأمـــــور فخرا ، أن الجميع ، الجميع يهنئون الشعب المصري بانتصاراته في شخصي ، فقد كنت بالنسبة لهم أنا مصـــر ، وأولهم كان ذلك الطبيب اللبناني ، أكرمه الله ، فقد كان اسمه أكـــرم ، فقد احتضنني بقوة وقد دفن رأسه في صدري ، ليخفي الدموع التي انسابت بحورا من مقلتيه ، وهو يردد مآثر الجندي المصري وبسالته ، وقوة شعب مصر ومثابرته .

• لقد كانت أياما مجيدة ، فرحة الانتصار غطت كـــل شـــئ ، وجـاء تشـريفك ليجعـل الفرح أفراحا ، ووالدتك التي حصلت على الجنسية المصرية ، وحتى لــو لم تكــن قــد حصلت عليها ، فإن تراب مصر ومياه النيل تجري في عروقـــها دمـــاء حــارة ، كـــانت سعيدة بانتصار البلد التي يشرفها الانتماء إليه ، نسيت آلامها مـع فرحــة الانتصــار ، وفي غمرة صراخ ألم تشريفك ، كانت تقول الله أكــبر ولقــد فكــرت في تســميتك انتصار ، أو علا ، تيمنا بهذه المناسبة الغالية علـــى كــل مصــري ، وربمـــا كــل عـــربي ، وربما كل مسلم ، لكنني أردت لاسم " ما " أن يستمر ترديـــده في حيـــاتي ، وبحثت في ذاكرتي عن أقرب اسم لماي سيتو ، التي كنا نناديها " مـــا " فأضـــاء عقلـــي باسم مايسه واختصاره أو ما نسميه نحن الاسم الدلع " ما " وهو نفـــس الاســـم الـــذي كنا ننادي به والدتك ، كنت أريد ترديده دائما ، فكـــم هـــو غـــال عنـــدي ، الأم والابنة . هذه يا ست مايسه كل الحكاية من طأطأ إلى ســـــــلام عليكـــم .. "

وتساءلت مايسه عن طأطأ هذا ، وغمرت الضحكات أجواء الســـيارة وهمـــا يقتربـــان من باب الفيلا وقد فتحه عم محمـد علـــى مصراعيـــه ، ووقـــف يقـــدم الإحترامـــات والسلامات لسعادة البيه والست الهانم الصغيرة . واتجها سوية فور ولوجـــهما بـــاب الفيـــلا إلي الإنشاءات التي تجري في جناح سعيد ، ولم تصـــدق مايســـه ، فقـــد كـــــــان البناء بالأسقف كاملا تقريبا ، وهمت أن تعلق ، لكنها تذكرت والدهـــا عندمـــا قـــال إن كل شئ يجب أن يتم في لا وقت ، وهذه تجربه تثبت ذلك ، بناء مـــن طـــابقين ، وعلـــى مساحة تزيد عن المئتى متر ، يتم الانتهاء من الأساسات والمباني والأســـقف في أقـــل مـــن يوم ، وشعر مصطفى بما يجول في خاطرها ، ففسر لهـــــــا ذلـــك :

• " لولا السرعة والدقة ، لما كانت شركة الخوجة في مصر لتنجح ، والحقيقة أن الفضل كله لله ولخالك ناجا سيتو ، فهو بحق نعم الأخ ونعم الخال لابنتي ، ونعم أخو الزوجـــة ، ونعـــم الصديق ، فقد زرع في هذه الهمة منذ بداية علاقتي بماي سيتو .. "

وشرح لها مصطفى ، كيف أن خالها من المبالغ التي كانا يحولانها لـــه مـــن عملـــه هـــو ووالدها في تدريس اللغة اليابانية ، استطاع أن يشتري لهما قصرا ، هي تعرفـــه ، وســـيارة

فاخرة موديل حديث جدا ، وشركة هي تعرفها أكثر منه ، لكنها لم تكـن بـالحجم الحـالي طبعا ، لكنها بالرغم من ذلك ، فإن البيانات المالية تثبت أن أرباحـها أكـبر بكثـير مـن حجمها ، وأنه منذ اليوم الأول أكد له عمليا وجـوب الفصـل بـين أموالـه وأمـوره الخاصـة ، فالسيارة التي حضرت لتقله إلى الشركة ملك للشركة أمـا سـيارة البيـت فسوف تنقـل ماي سيتو إلى المستشفى ، وعندما حـاول اسـتخدام الهـاتف للاطمئنـان على ماي سيتو ، انتزعه منه شارحا له أن وقت العمل للعمـل ، وعندمـا لاحـظ قلقـه عليها ، أفهمه أن والدها إلى جوارها ، وفوجئ بهـا تسـأله :

- " وهل استطعت إدارة الشركة بذات كفاءة خالي .. "

وتمعن في السؤال كثيرا ، هل تريد أن تعقد مقارنة بين أبنـاء النيـل وأبنـاء الشـمس المشرقة ، أم أنها تريد أن تظهر مهارة خالها وكفاءته ، وسواء هذا أو ذاك ، فقـد أجابهـا بما يفي بـالغرضين :

- " تذكرت قصة عن أحد رواد الصناعة في مصر ، سافر إلى ألمانيا في مهمة تدريبية ، وكان من المقرر أن يتسلم عمله في أحد المصانع في وقت محدد ، وعندما ذهب متأخرا دقائق معدودة لم يجد أحدا حتى ليسأله عن الوجهة التي يجب أن يذهب إليها ، ولغته الألمانية كانت ضعيفة ، وبصعوبة استطاع الوصول إلى مكتب قد يكون للمدير العام ، وظل به أول يوم ، والثـاني والثالث ، وفي اليوم الرابع ، حضر شخص بملابس العمال ، وقام بالتوقيع علـى بعـض الأوراق وناقش بعض الأمور وهو واقف ، وبعد أن ذهب الجميع ، لاحظه ، فسأله ، وعندما عرفه ، فاجأه بأمور لم تكن تخطر له على بال .

- قال له إنه انتظره أول يوم لمدة خمس دقائق بعد الموعـد المحـدد ، وعندمـا لم يحضـر تصور أنه لن يحضر ، وبما أنه حضر الآن ، وأنه تسـبب في تعطيـل الإنتـاج أربعـة أيـام ، وهذه تمثل خسارة كبيرة للمصنع ، فإن عليه أن يستمر في العمـل إلى مـا بعد ساعات الدوام ، حتى ينجز ما كان يجب عليه إنجازه خلال فـترة تغيبـه .

• وكانت ملاحظات خالك ، والشركة التي ليس بها موظفو أمن أو بوابون أو فراشون ، والكل يعمل ، ما هي إلا صورة مكررة لما حدث لهذا المصري في ألمانيا ، بل إن الأمر في ألمانيا كان أشد قسوة ، ذلك أن المدير لا يصبح مديرا إلا لأنه يستطيع إنجاز ما ينجزه أي عامل في وقت أسرع ، بحيث يجد الوقت اللازم للأمور الإدارية الأخرى ، وهذا ما قمت بتطبيقه ، يدي بيد العمال ، وما زاد للأمور الإدارية .

• لا أنكر أن بعض المتاعب واجهتني في البداية بسبب اللغتين اليابانيتين المكتوبتين ، واللهجات المتعددة ، إضافة إلى الإنجليزية ، التي تكاد تكون اللغة الثالثة ، إلى جانب اللغة الأكثر أهمية بين كل اللغات ، اللغة الجديدة ، لغة العصر – الكمبيوتر – وهو أحد أعمال الشركة ، فكان لا بد من استيعابها بكل أبعادها الفنية والعلمية ، اللغة .. والتشغيل .. والنظم .. والتطوير .. إلخ ، والحقيقة أن خالك كان لي أكبر عون في كل هذه الأمور ، حتى كأنه كان مدرسا خصوصيا لي ، يحضر إلينا بعد انتهاء عمله ، ليواصل معي تدارس كل ما هو جديد علي ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، حيث أنني بحكم الظروف الجديدة دخلت في أوساط تختلف عن ما ألفته ، إذ أن معظم أبناء عائلة كازو ، إما علماء أو دبلوماسيون ، وقد ترك لي خالك كل هذه الأمور ، فهو ليس لديه وقت لها ، هو عمل وعلم فقط .."

فعلقت هامسة :

• " أعرفه .. ولولا ذلك لما كنت أدرس الماجستير قبل العشرين ، فقد جعلني أقفز فوق السنوات الدراسية ، كان يريد أن أكون معجزة ، فأنت تعرف أنه لم يتزوج ، وعدني ابنته .."

وانتهزها فرصة ليوفي هذا الرجل حقه :

• " هذا هو حقا ، إذا أحب إنسانا ، فضله على نفسه ، وهذا ما فعله معـي ، لقد أحبني من خطابات والدتك لهم ، لقد اطلعت على بعضها ، وكم ازداد حبي لها ، وأصبحت كل شئ في حياتي ، حتى كأني كنت أتمنى أن تأخذ نصف عمري ، بل عمري كله ، ولا تتركني .. "

وكأنما فرت الدموع من عينيه ، فأخفى وجهه ، بينما قدمت صفيه التي طال انتظارها له أمام الباب الداخلي للفيلا ، ولحق بها سعيد ومنى ، لم يكن أحد منهم قد رأى ما تم تشييده ، فصدرت عنهم آهة تعبر عن الدهشة من السرعة في التنفيذ ، وهمس سعيد لمنى بأن جناح حبهما ربما يشهد شهر عسلهما ، فهو لا يحب الإقامة في الفنادق ، خاصة وأنهما في أشد الحاجة إلي خصوصية من نوع خاص جدا ، لكنهم فوجئوا بساعي البريد يحضر برقية تفيد تحديد موعد مناقشة دكتوراه العلوم والفنون في وقت واحد يوم الخميس القادم ، فنظر سعيد إلى منى ثم أخيه ، وهو يقول :

• " يظهر مفيش شهر عسل بالمرة .. "

وسلم لهم البرقية ، حيث انخرط الجميع في الضحك ، بينما سعيد ومنى أصابتهما حالة من الجمود الذي يصعب وصفه ، فلا هو سعادة ، ولا هو فرح ، فمناقشة الدكتوراه أمر كانا يتمنيانه ، خاصة قبل الانشغال في الزواج وأموره ، لكن أن يكون التوقيت هو ذاته موعد زفافهما ، فهذا ما لم يكونا يتوقعانه . وفي غمرة هذه الأحداث ، جاء عم محمد ليعلن عن وصول شاحنات ثلاث ، كل منها تحمل صندوقا كبيرا ، فأسرعت مايسه تأمره بأن يدخلهم ، ثم شرحت لوالدها وعمها ومنى وصفيه :

• " إنها الحاويات التي بها هدية شركة الخوجه وكازو للإلكترونيات ، إحداهما للأجهزة الكهربائية والنجف والسجاد الشنواه والستائر وأطقم السفرة الصيني ولوازم المائدة والزجاجيات بأنواعها المختلفة ، كريستال صناعة اليابان يفوق في دقة صنعه وصلابته كل ما هو معروف من أنواع الكريستال في العالم ، والثانية للأثاث وبعض الأقمشة الهامة للتنجيد وكذلك القماش الخاص بفستان الفرح وبذلة العريس ، وبعض الملابس الهامة الأخرى ، أما الثالثة ، ففيها كل ما يحتاجه التشطيب من

سيراميك ورخـــــام وكرانيش ودهانات ، وأبواب وشبابيك بمســتلزماتها مـــن مقــابض وكوالين ومفصلات وزجاج ، وستجدون أن كل شئ معد للتركيب ، ومصنـــوع مـــن مواد متطورة ، لا هي خشب ولا هي بلاستيك ولا هـــي ألمنتـــال ، ولكنـــها مـــواد جديدة مخلطة ، تقاوم جميع أنواع التغيرات الطقسية ، ولا تحتـــاج لصيانـــة دوريـــة أو دهانات ، وكذلك مستلزمات الحمامـــــــات والمطـــابخ .. إلخ "

ثم نظرت إلى أبيها وقـــالت :

- " ليست شركة الخوجه مصر فقط يا والدي التي تقوم بـــالتنفيذ في لا وقـــت .. هنـــاك شـــــــركات أخرى تعمل في صمت ، وبدون إشراف من المسئولين ، وليس فقط في لا وقت ، وإنما ستلاحظون الدقة في الصنع ، والاهتمام بكل شئ ، التجهيز والتجميع والتلميع والتفنيش والترتيب والتغليف والتحبيش ، والاهتمام بكل صغيرة وكبيرة ، حـــتى تصـــل البضائع سليمة من غير سوء ، ومفيش حد أحسن من حد ."



إنها حلم ، كنت أمني نفسي بمشاهدتها فقط ، فإذا بها أمامي تحدثني وأحدثها ، وعقد لساني

انهالت المكالمات على صفيه ، وهي تحاول جاهدة تدوينها ، وبخاصة ما كان منها بلغات غير العربية ، وكم كانت كثيرة ، وظهرت أمامها مايسه فجأة ، وهي تقدم لها آلة الرد على التليفونات وتسجيل ما يطلبه المتحدث ، أو ما يسمى بالسكرتير الآلي ، أو "ANSWERING MACHINE" ثم قامت بتثبيتها ، وانتظرت معها ، حتى رن جرس الهاتف بنغمة هادئة ، غير تلك التي تعودوا الانزعاج منها ، وهمت صفيه بالرد على المتحدث ، ولكن مايسه وضعت يدها على سماعة الهاتف ، وإذا بالآلة تتولى الرد ، وتسجل الرسالة ، وصفيه في عجب ، لقد سمعت عن هذه الآلة ، ولكنها لم ترها إلا تلك اللحظة ، فاحتضنت مايسه بحب وحرارة ، ثم أبعدتها عنها قليلا وأعادت النظر إليها بإمعان ، وهي تتمتم :

• " باسم الله ما شاء الله ، ما هذا الجمال ، ما هذه الفتنه ..؟"

وقاطعتها مايسه :

• " كأنها المرة الأولى التي ترينني فيها .. "

وأجابت ابنة الصعيد بتلقائية :

• " لا .. لكنك اليوم أكثر إشراقا .. باسم الله ما شاء الله .."

قرأت المعوذتين همسا قبل أن ترد عليها :

• " ولم لا .. وقد نعمت بالقرب من أبي يوما كاملا .. "

وزادت صفيه مدحها لأبيها :

• " صدقت .. إن لك أبا يعيد للإنسان حياته .. ليس فقط الإشراق والثقة بالنفس .. "

كانت مايسه قد قرأت ما كتبته الجرائد على لسان زوجة أبيها السابقة – سميحه القرنفلي – وكان الكلام كله سباب في صفيه وعائلتها ، فأرادت مايسه أن تعرف القصة من صفيه :

• " قرأت في الجرائد كلاما ليس في صالحك يا ماما .. "

وتغير لون صفيه ، وتغيرت لهجتها وهي تقول :

• " هذا الذي ورد على لسان بنت القرنفلي باشا .. "

وأرادت مايسه أن تهدئ من ثورة صفيه :

• " لقد هون أبي من شأنه ، لكن يبقى كما هو إن لم يجد تفسيرا مقنعا .. "

وتنهدت صفيه ، وقالت بتردد :

• " أما يكفيها أنها تركت ابنتيها مريم ومها ، وهربت من فقر زوجها .. "

نزلت الكلمات كصاعقة على رأس مايسه ، فأرادت أن تستوضح :

• " ماذا تقولين .. ؟ "

وشعرت صفيه بما يعتمل في صدر مايسه ، فأرادت أن تذهب بالحديث بعيداً عما أثار حفيظتها :

• " إنها الغيرة يا ابنتي ، فقد استكثرت على أبيك علو شأنه ، بعد أن تنكرت له أيام فقره .. أو ربما هي تريد أن تثبت لنفسها قبل الآخرين ، أنه تركها من أجلي .. "

أعادها مرة أخرى إلى فقر أبيها :

• " وهل افتقر أبي .. "

وترددت صفيه في الإجابة ، لكن لا .. هذه أمور يجب أن تكـــون واضحـــة لابنتـــه ، وهـــي على يقين أنه لن يحكيها لها ، ولابد لها من أن تعرفها ، حتى ولـــو كـــان محرمـــا علـــى صفيـــه الخوض فيـــها :

• " لم يكن فقرا بالمعنى الذي أزعجك ، ولكـــن بعـــض الســـيدات إذا لم يســـتجب الـــزوج لكل طلباتهن غير المعقولة وغير المقبولة ، ظنن هـــذا بخـــلا ، فـــإذا ثبـــت لهـــن قلـــة ذات اليـــد ، تصورنه فقـــرا .. "

ووجدت على وجهها علامات استفهام كبـــيرة ، فـــأرادت أن تطمئنـــها :

• " بعد عودة أبيك من اليابان ، زاول أعمال تصديـــر واســـتيراد ناجحـــة ، وحقـــق نجاحـــا كبيرا ، زاد من دخل العائلة ، هذا فضلا عن الإيرادات التي كـــان يحققـــها مـــن الأعمـــال التي كانت موجودة من قبـــل .."

فأرادت مايسه أن تيسر لها الأمر وتشعرها بأنها على علم ببعـــض هـــذه الأمـــور :

• " تقصدين محل الزهور والعزبة والشقق المفروشة .."

ووجدت صفيه أن أباها قد قص عليها الكثير من أمـــوره الحياتيـــة :

• " تماما .. لكن جدتك مريم هانم ، وجدت أن أبـــاك في وجـــوم دائـــم ، وعللـــت ذلـــك بضرورة ارتباطه بالزواج من بنات إحـــدى العـــائلات الكريمـــة ، والعـــائلات الكريمـــة في مفهومها ، أن يكون أبوها باشا أو بـــك ، وكـــانت عائلـــة القرنفلـــي باشـــا علـــى بعـــد خطوات من هذه الفيلا ، وهناك صداقة تربط بين " زليخه " زوجـــة عـــم محمـــد البـــواب رحمها الله ، بزوجة بواب فيلا القرنفلي باشا وكانت تلـــك الســـيدة تســـأل دائمـــا عـــن ذلك الباشا الذي يدخل ويخرج من الفيلا بسيارته ، والكل يعمل لـــه ألـــف حســـاب .

• حقيقة أن والدك يكبرها بعدة سنوات ، لكنه ليس بالسن وحده يحب الرجال ، ولا أريد أن أزيد في الوصف ، حتى لا تتصوري أنه عين عاشقة ، فأنا كذلك بالنسبة لوالدك بل وأكثر ، لكن الحقيقة ، أنه ما من فتاة صغيرة كانت أو كبيرة ، إلا وفتنت بوالدك ، ولا يبعدهن عنه إلا عفته وتدينه ، وهكذا كانت سميحه هانم ، تعلقت به ، وتوسطت بزوجة بوابهم لتقديمها لجدتك ، وهكذا طلبت مريم هانم رؤيتها ، وما إن رأتها حتى بدأت في الكلام عنها وتزكيتها عند أبيك ، خاصة وأنها ما إن تعرفت بجدتك ، حتى زادت من توددها لها بالسؤال عنها يوميا ، وكأنما كانت السيدة الفاضلة في حاجة ماسة لهذا السؤال .

• ولكنك كما تعلمين ، فإن كبار السن في حاجة دائماً لمن يهتم بهن ، وظنت مريم هانم أن هذا التودد نوع من الاهتمام ، ولم تكن تعلم أنه خطة ذكية من سميحه ووالدتها للإيقاع بوالدك وعائلته ، فقد قامت والدة سميحه بزيارات متكررة لمريم هانم ، وبعض الهدايا التي غالبا ما تكون من المطبخ ، أو وارد الخارج ، حتى اقتنعت مريم هانم بأن العائلة طيبة والفتاة مش بطالة ، فازداد إلحاحها على والدك الذي لم يرد أن يعصي والدته ، فرتبت لأبيك مشاهدتها ، والحقيقة أنها كانت وما زالت جميلة إلى حد كبير ، ولم يمانع والدك ، فقد كان فراق والدتك وبعدك عنه ، سببا كافيا لجعل الكآبة تسيطر عليه ، حتى أصبح الابتسام عملة نادرة عنده ، وظن أن المخرج الوحيد من ذلك هو الزواج ، لكنه فعل كمن استجار من الرمضاء بالنار ."

واستوقفتها مايسه ، تريد شرحا لهذا الذي قالته ، رمضاء ونار .. وشرحت صفيه لها معنى المثل وأن الترادف بين النار والرمضاء ، هو ترادف بين كآبة ما قبل الزواج ، وما بعده ، ثم أكملت :

• " ومادام الأمر على هوى مريم هانم ، فقد كان لها ولعائلتها ما أرادوا ، مبلغ كبير للمهر رغم أنهم لم يتكلفوا مليماً في جهاز ، وشبكة مما ثقل وزنه وطبعا غلا ثمنه ، وفستان فرح من باريس ، وحفلة في فندق خمسة نجوم ، وشهر عسل في أوروبا ، وتغيير كامل في ديكورات الفيلا ، ثم .."

واستحثتها مايسه أن تكمل ، وكأنما الخجل يمنع صفيه مـــن اســـتكمال الحديـــث ، أو لعلـــها لا تريد أن تعكر صفو العلاقة بين مايسه وزوجـــة أبيـــها الســـابقة ، أو ربمـــا يكـــون لذلـــك تأثيره على علاقة مايسه بأختيها من زوجة أبيها السابقة مـــريم ومـــها ، أمـــور كثـــيرة كـــانت تشد صفيه عن استكمال الحديث ، ومع إلحاح مايسه ، لم يكـــن أمامـــها إلا الاسترســـال :

- " أرادت أن تكون الفيلا لها وحدها ، فأخذت تخطط لإبعاد سعيد ومريم هانم منها ، فكانت تعقد الحفلات الساهرة يوميا تقريبا ، مما كان له تأثير كبير على دراسة عمك سعيد ، فأقنعت مريم هانم بقبول الإقامة هي وسعيد في المندرة .. ذلك المكان الذي حوله والدك إلى أتيليه لعمك سعيد ، والآن يحوله إلى فيلا لزواجه ، وطبعا أمام استياء والدك وسخطه ، ولأن جدتك هي السبب في زواجه منها ، حاولت جدتك تبرير هذا التصرف بأنه بناء على رغبتها .

- الحقيقة أن قدومها كان في غير صالح هذه العائلة ، فبمجـــرد أن أنجبـــت مـــريم ، بـــدأت تغالي في طلباتها بدعوى تأمين مستقبل ابنتها ، وأن مـــا يفعلـــه ليـــس لـــه ، وإنمـــا هنـــاك شريك ، هو أخوه سعيد ، هذا فضـــلا عن البذخ الذي لا يوجد لـــه أي مـــبرر إلا هـــدر الأموال ، وذلك للتباهي الغبي ، والتعالي على خلـــق الله ، ووالـــدك مســـتغرق في عملـــه ، ويكد أكثر لمواجهة سيل الإنفاق الذي لا ينتهي ، فقد كـــانت تتهمـــه بـــالبخل عندمـــا لا ينساق معها في تنفيذ طلباتها ، ثم قدمت مـــها ، مـــع طلبـــات جديـــدة وتـــأمين جديـــد لمستقبلها ، ولكن والدك كان حريصا في هذا الأمر ، فلم يكتـــب شـــيئا باســـم البنـــات ، ولكن كان وما يزال يشـــتري لهمـــا ولشـــريف أيضـــاً شـــهادات اســـتثمار ذات القيمـــة المتزايدة ، وحاولت معه سميحه أن يشتري لها هي أيضا ، لكنه تعلـــل بـــأن كلـــه للبنـــات ، وحتى تطمئن ، فلتكن الشهادات معـــها .. "

وعنَّ لمايسه أن تســـأل :

- " وكم كانت قيمة هذه الشهادات .. "

انتظرت صفيه للحظات ، علها تتذكـــر قيمتـــها :

● " تقول جدتك أنها كانت تزيد عن المائة ألف لكل منهما .. "

وتعجبت مايسه أن تدعي صفيه فقر أبيها بينما تحت يده شهادات بأكثر من مائتي ألف جنيه في ذلك الوقت ، بما يزيد عن ربع مليون دولار :

● " وهل استخدم أبي هذه الأموال عندما وصلت الحالة به إلى درجة الفقر .. ؟"

لكن جواب صفيه كان مغايرا لتوقعاتها :

● " لم تمكنه منها بنت القرنفلي ، ذلك أنها رفضت تسليم الشهادات له ، وهنا بدأت المشاكل التي كادت أن تصل إلى الطلاق .. "

وتعجبت مايسه من زوجة لا تحاول الوقوف إلى جانب زوجها في لحظات فقره :

● " وما هي أسباب الطلاق .. ؟"

وتحرجت صفيه من الإجابة في بادئ الأمر ، لكنها وجدتها فرصة لتشرح لمايسه كم هو أبوها رجلا بمعنى الكلمة ، لا يهمه إلا أن يؤمن حياة عائلته بأية وسيلة شريفة :

● " ربما لا تعلمين أن شركة الخوجة مصر .. كما تحبين تسميتها ، بدأت من أعمال سباكة صغيرة زاولها والدك ، وفي أحد الأيام ، أرادت إحدى الزبائن تقديمه لزبونة جديدة علها تتعامل معه ، باعتباره الأفضل والأرخص والأدق في الصنعة والمواعيد ، وفوجئت الزبونة الجديدة أن السباك الذي تقدمه إليها صديقتها إن هو إلا زوجها ، وفوجئ والدك أن الزبونة الجديدة هي سميحه هانم بنت الحسب والنسب ، فنظرت إليه باحتقار ، وتركت منزل صديقتها مهرولة ، لتحمل كل ما قررت أنه ملكها ، وتترك الفيلا إلى فيلا والدها ، وأرسلت في طلب الطلاق .."

لم تتصور مايسه أن تكون هناك سيدة بهذه القسوة ، مقارنة بما فعلته أمها مع أبيها :

● " ولا قصص السينما .."

فزادها صفيه بما هو أقســـي :

● " المشكلة أنها اهتمت بالتحف والمجوهرات ، ولم تهتم بابنتيها ، حيث تركتهما مع مريم هـــانم ، حتى دون كلمة وداع .. "

وتساءلت مايسه عما حدث لأبيها بعد أن علمت سميحه هـــانم مهنتـــه ، وخرجـــت مهرولـــة من فيلا صديقتـــها :

● " وماذا فعلت صديقتها بعد أن رأتها تهرول ؟ "

وأكملت صفيـــه :

● " سألت السيدة والدك إن كانت تعرفه ، فأجاب بهدوء .. ويا ليتك تشاهدينه عندما يتذكـــر هذا الموقف ، وهو يردد ما حدث بنفس الطريقة التي أجاب بها السيدة .. "

وأرادت مايسه أن تبعد كابوس الحزن عـــن صفيـــه :

● " تستطيعين محاكاته .. "

ونجحت مايسه ، حيث انفرجت أسارير صفيـــــه ، فقـــد تذكـــرت تلـــك الجلســـات الـــتي كانت تسعد فيها بوجود مصطفى ومريم هـــــانم ، حيـــث كـــان مصطفـــى يزيـــد مـــن كـــم الحكايات المضحكة ، والقفشات التي تدمع العـــين مـــن الضحـــك ، لكـــي يعيـــد إلى صفيـــه ابتسامتها ، ويعجل من شفائها ، وقد كانت ستوته والـــدة صفيـــه تســـعد بهـــذه الجلســـات ، وتقص على زوجها ما يفعله مصطفى لكي يخـــرج صفيـــه مـــن الحـــزن الـــذي كـــان مخيمـــا عليـــــها ، وما كان لها من أثر على شفاء صفيـــــه ، وابتـــهاج روحـــها ، وســـعادة حياتهـــا ، وما كان الرجل ليجد كلمات يستطيع بها أن يـــوفي مصطفـــى حقـــه ، ســـوى التعبـــير عـــن رغبته في إهداء صفيه له زوجة وجارية تخدمه وتخدم أولاده وعائلته ما بقـــي لهـــا مـــن عمـــر ،

وكانت ستوته تردد هذه العبارات كثيرا أمام مريم هانم ، وربما كـــان لهـــذه الجلســـات أثرهـــا في تقبل مصطفى الزواج من صفيه بمجرد أن ذكرت لـــه والدتـــه مـــا كـــان والدهـــا يـــردده كثيرا عن رغبته في إهداء صفيه لـــه .

وقد قص مصطفى حكاية طلاقه من سميحه هانم ، وقد أعجبـــت صفيـــه بالطريقـــة الـــتي ردد بها مصطفى العبارات التي قالها للســـيدة بعـــد أن هرولـــت سميحـــه وهـــي تكتشـــف مهنـــة زوجـــها ، فقامت بتقليده فورا ، مما جعل صـــوت الضحـــك يعلـــو بشـــكل أدى إلى ســـكب الدموع سعادة ، وتذكرت صفيه كم هي عدد المـــرات الـــتي كـــانت مـــريم هـــانم وكذلـــك مصطفى يطلبان منها تقليد هذه العبـــارات ، وكانـــا يضحكـــان مـــن القلـــب ، وكذلـــك والدها ، وكانت تسعد لسعادتهم ، ذلك أن تقليـــد الغـــير كـــان مـــن أحـــب الهوايـــات إلى صفيـــه ، وربما هواية التمثيل أصلا هي الأساس ، حيث أنها كـــانت عضـــوا بـــارزا في فـــرق التمثيل في المدارس التي التحقت بها ، وحـــتى الجامعـــة ، ولعـــل الرقـــص مـــن مســـتلزماتها ، ولعل هذا هو السبب الذي جعلها تجيد في إعداد الدراسة التي قامت بهـــا عـــن مهنـــة الرقـــص في شارع محمد على ، تلك الدراسة التي كادت تؤدي إلى إغلاق مجلـــة كـــل العلـــوم ، ولعـــل هذا هو السبب الذي جعلها تنسى كل شئ إلا تلـــك الدراســـة عـــن الرقـــص ، هـــذه الـــتي قصتها في جلستها مع شكري بك وعائلته أثناء السهرة التي انتهت بخطوبـــة ســـعيد لمـــنى .

رددتها لمايسه ، والضحك من الأعماق يسبق كلماتها ، فضخمـــت مـــن صوتهـــا ، وأصدرتـــه وكأنما هي رجـــل :

- " لا أبدا ..بس المدام تبقي مراتي .."

وبالرغم من الضحك الذي انتاب مايسه ، ومـــلأ المكـــان ، إلا أنهـــا اســـتعجلت معرفـــة رد فعل الســـيدة :

- " وطبعا السيدة صعقت .."

إلا أن صفيه شرحت لها بعض تصرفات الطبقة الغنيـــة في مصـــر :

● " ليس كل بنات الطبقة الراقية متعجرفات ، لقـــد أخـــذت الســـيدة تتأســف لوالـــدك ، حتى كأنها كـــادت تبكي ، فما كانت تعرف ، ولو كانت تعرف لمــا قدمتـه لهـا ، وأنهـا كانت تقصد الخير له ذلك أنها كانت تعرف أن زوج سميحة هـــانم رجـــل أعمـــال مـــهم ، وأنه حاصل على ماجستير في العلوم من اليابان ، فـــأكد لهـا والـــدك تلـــك المعلومـــات ، فتعجبت السيدة مما أصابه ، وأصرت أن يقص عليـــها مـــا حـــدث ، وتغـــيرت معاملتـــها لـــه ، فقد كانت تنظر إليه على أنه أسطى ســـباك ممتـــاز ومـــهاود ، ومحـــترم في تعاملـــه ومواعيده وشغله ، وأن سميحة هانم ربما ذكرت لهم غـــير الحقيقـــة عـــن زوجـــها ، لكنـــها وبعد أن تكشفت لها حقيقته ، بدأت تعامله على أنه زوج صديقـــة لهـــا ، ورجـــل أعمـــال ومثقـــــف .

● دعته للجلوس في الصالون ، فاستأذنها لفترة غير فيها ملابـــس الســـباكة ، وارتـــدى ملابس البهوات التي يخرج بها من المترل ويعود بها إليه ، فطلبـــت الســـيدة لـــه القـــهوة ، وحاولت معه أن ينتظر زوجها ليتناولا الغـــداء ســـويا ، إذ ربمـــا عـــرض عليـــه زوجـــها أعمالا أفضل ، لكن والدك قال لها إنه لن يجـــد أفضـــل مـــن أعمـــال الســـباكة ، فقـــد كانت حصيلة عمله اليومي أكثر من مائتي جنيـــه ، بمـــا يزيـــد علـــى ســـتة آلاف جنيـــه شهريا ، وهو دخل أكثر من ممتاز ، وإلا لمـــا اســـتطاع تلبيـــة طلبـــات سميحـــة هـــانم ، وتعجبت السيدة كيف أنها لم تكتشف هذه الأمور ، أو على الأقل تقلـــل أو تكـــف عـــن طلباتها ، حيث عدد لها والدك هذه الطلبات ، والتي تتمثـــل في مظـــاهر ثـــراء ، تهـــدر أي ثروة مهما بلغت قيمتـــها ."

وأرادت مايسه أن تتعرف على تلـــك الطلبـــات :

● " وما هي تلك الطلبات .."

وبدأت صفيه تعددها لهـــا :

● " سهرات ، ومجوهرات ، وملابس على الموضة ، وسيارة كل سنة .. "

فقاطعتها مايسه :

- " أليس هذا ما تطلبه كل زوجة في مصر ، إن الأفلام التي تصلنا عن عادات المصريين ، لا تخلو من هذه المظاهر ، لكنك لم تحكي لي ماذا قال والدي لتلك السيدة ..؟ "

لم تجب عليها مباشرة :

- " كانت جدتك مريم هانم تردد دائما ، إن قدومها كان نحسا على العائلة ، فما إن قدمت حتى صدرت قرارات تقيد حرية التجارة ، وعلى وجه الخصوص الاستيراد ، وكان هذا كافيا لإغلاق النشاط التجاري الذي كان يزاوله والدك ، ثم بدأت بعد ذلك مطاردة الضرائب ، حتى أتت على كل أخضر ويابس ، وتجمعت على والدك مبالغ طائلة مستحقة للضرائب ، ضرائب على الشقق المفروشة التي كانت مؤجرة لليابانيين ، وضرائب على محل الزهور ، وضرائب على العزبة ، ولما لم يكن لديه سيولة تكفي السداد فقد قامت مصلحة الضرائب بالحجز على كل هذه الممتلكات ، وتحصيل إيراداها وفاء لمستحقاها ، أما ما كان مسجلا باسم والدك مثل السيارات والمعدات ، وكذلك الرسائل التي كانت قد وصلت قبل أن يتم تصريفها فقد تم بيعه كله بالمزاد العلني الذي غالبا ما تتم الترسية فيه باتفاق بين مجموعة من المتمرسين ، حتى يخرج الضحية صفر اليدين ، ووجد والدك نفسه وقد أصبح كالمعدم .. "

وكانت صدمة لمايسه أن تعرف أن والدها عاد معدما بعد ثراء :

- " وماذا فعل والدي .. ؟"

وأجابت صفيه ، وقد شعرت بالانزعاج الذي صاحب صوت مايسه :

- " لقد كان يتدبر الأمر ببيع بعض حلي والدته ، وبعض العمليات التي كان يقوم بها لصالح بعض التجار الذين لا تقترب منهم الضرائب ، فقد كانت لوالدك علاقات مع الشركات في الخارج ، جعلتهم يتعاملون معه على أنه وكيلا لهم في مصر ، لكن طبعا

لم يكن ما يعود عليه من هذه العمليات كافيا ، وما كان ليستطيع أن يقترب من ممتلكات بنت القرنفلي باشا ، التي اشتراها لها بماله ، فقد كان ذلك محرما عليه ، حتى شهادات الاستثمار الخاصة بابنتيه ، ما كان ليستطيع حتى مجرد ذكرها ، ثم أنها نقلتها مع الكثير من مجوهراتها وأشيائها الثمينة من الفيلا إلى فيلا والدها ، فقد دخل في روعها أنه ربما يسرقها ليحل بها أزمته ، وكثيرا ما رددت هذه العبارة أمامه . "

ووجدت مايسه نفسها تدخل في متاهات جديدة ، فأرادت أن تستوضحها :

● " وما قصة مهنة السباكة هذه .. ؟"

وقصت عليها صفيه قصة الفلتر وما تلاه من أحداث وأطنبت :

● " وما لم تأخذه الضرائب ، أخذته بنت القرنفلي ، نفقة شهرية ونفقة متعة وحضانة ، رغم أنها لم تأخذ ابنتيها ، وكانت تتمنى لو استطاعت أن تسجنه ، لقد ظهرت على حقيقتها ، فما كان الأمر حبا ، ولا رغبة في بناء أسرة وبيت ، يتعاون الجميع على رفاهيته ، ورفعة شأنه ، ولكن كان جشعا ، ومحاولة للامتلاك .

● وقد تبين لوالدك بعد ذلك أن عائلتها كانت على وشك الإفلاس ، فقد أصابهم ما أصاب عائلة الخوجة ، لكن لم يكن من بينهم من فعل مثل ما فعله والدك ، وكان والدك على علم بما ترسله سميحه إلى عائلتها سواء أموالا أو أشياء وما كانت تحرجه به ، ليس فقط للحياة ، ولكن للرفاهية أيضا ، فعندما نجح أخوها في الثانوية العامة بعد رسوب يصل إلى ضعف مدة الدراسة الثانوية والإعدادية أيضا ، طلبت منه أن يقدم له سيارة هدية ، لكن مصطفى كان حصيفا ، أراد أن يكتب هذه الأشياء باسمه ، بحجة أنه لا يريد أن يتعبهم في مشاكل الترخيص السنوي ، والصيانات والحوادث ، ودفع الغرامات ، وطبعا كان هذا قمة ما يتمنونه ، سيارات تركب ، دون أية تكاليف لا بنزين ، ولا صيانات ، ولا أي شئ ، لكنها كانت أكثر حصافة من أبيك ، فقد طلبت منه أن تكتب هذه الممتلكات بأسماء أفراد عائلتها مع تحمله

لكل ما سبق ذكره ، ولما طلبت الطلاق ، قام بمساومتها ، بأن ترسل كل ما قام بشرائه لهم من سيارات ، وقام بنقل ملكيتها باسم عمك سعيد ، كما طلب منها التنازل الرسمي عن حضانة البنتين حتى يتم الطلاق ، ولولا ذلك لما وجد والدك سيارة صغيرة ينقل بها ابنتاها إلى المدرسة .."

وانزعجت مايسه ، كيف لأم أن تترك ابنتاها بعيدا عنها ، وهدأت صفيه من روعها ، موضحة لها أن هذه الأعمال من بين الوسائل التي تلجأ إليها المرأة لتشعر زوجها بأنها لا تريده ، ولا تريد أولاده ، ونوع من أنواع التأديب الذي تتصوره بعض السيدات ، ففي روعها أن مسئولية البنات لا أحد يستطيع تحملها سوى الأم وهذه بعض الحقيقة ، حيث أن الأم إذا لم تكن قدوة لبناتها ، فإن عدم وجودها في حياتهم يكون أفضل ، وهذا ما قرره مصطفى ، لكن الحقيقة أن سميحه كانت قد رتبت للزواج الثاني ، إذ أنه تم بمجرد انتهاء أشهر العدة .

وتساءلت مايسه عن مدى سعادتها في زواجها الحالي ، فأجابتها صفيه :

- " العلم عند الله ، لكنها كانت دائما تثير ابنتاها ضدي كلما حضرت لزيارتهما ، وما تثيره الآن ضد والدك .. يدل على بعض الحنق الذي تكنه لنا ، وإذا كانت قد تجرأت بنشر هذه الأمور في الجرائد والمجلات عن زوجها السابق ، فهذا يدل على أنها لا تحترم زوجها الحالي ، وإذا كانت لا تحترمه ، فهي لا تحبه ، وإذا كانت لا تحبه ، فهي غير سعيدة معه .."

تعجبت مايسه من استنتاجات صفيه ، فسألتها :

- " كيف ..؟"

وبسطت لها صفيه الأمر :

• " في حضرة الزوج الحالي أو أي من ذويه ، المرأة تتحاشى الكلام عـــن الـــزوج الســابق ، حيا كــان أو ميتا ، لا بالخير ولا بالشر .. فما بالك بنشر شــئ عنـه في الجرائـد !! "

وعن لمايسه أن تسأل صفيه عن موقفها هي مـــن أبيــها :

• " وأنت يا ماما .."

وأجابت صفيه ببعض ما يعتلج في نفسها من حـــب لزوجــها :

• " أبوك يا مايسه ليس زوجي فقط إنه كل عائلتي ، إنــه عمــري الــذي أحيــاه ، وحيــاتي التي أعيشـــــــها الآن .. "

وأعجبت مايسه بردهـــا :

• " ما هذه الشاعرية .. هل هذا هو الحب ..؟"

وأجابت صفيــه :

• " إن كلمة حب ليست مناسبة ، فالحب عكسه كره ، وأنا لا ولـــن أكــن لوالــدك إلا مــا هو أكبر من الحب بكثير ، لا أدري ما هو ، ولكنـــني علــى يقــين مــن أهـم ســيجدون كلمة تعبر عن مشاعري تجاهــــه .. "

فأجابتها بنت الشـــمس :

• " لعل ما قاله الله سبحانه وتعالى خير تعبير ، وجعل بينكم مودة ورحمة .. "

وأمنت صفيه قائلــة :

• " صدق الله العظيم ، ولكن مشاعري نحوه تفوق الحب والمودة والرحمة ملايين المرات ، ليس لها مثيل ، إنني أحبه أكثر من نفسي ، إنني على استعداد للتضحية بنفسي في سبيله .."

ولم تستطع أن تكمل العبارة ، فقد خنقتها العبرات ، فذهبت بكـــل مـــا تملكـــه مـــن قـــدرة على التعبير فدفنت رأسها بين يديها ، وكفتاة صغيرة غلبـــها الخجـــل والحيـــاء ، هرولـــت إلى غرفتها ، وأغلقت بابها خلفـــها ، وذهبـــت مايســـه خلفـــها تخشـــى أن يكـــون قـــد أصابهـــا مكـــروه ، ولم تستطع دخول الغرفة ، ولم تسمع ســـوى تشـــنجات بكـــاء حـــار ، شـــعرت مايسه بالخوف عليها فأسرعت إلى جدها ، التي قـــالت بانزعـــاج :

● " ماذا قلت لها ..؟"

وتلجلجت مايسه وهي تحاول إبعاد شبهة تســـببها في غضبـــها :

● " لا شئ يا جدتي .. كنا نتحدث عن سميحه هانم القرنفلـــي ، ومـــدى صحـــة مـــا كتبتـــه عن أبي بالجرائد ، والتشهير بماما صفيـــــه .. "

فضمتها إلى صدرها بحنان ، وقبلتها بشـــوق ، وقـــالت :

● " آه يا ابنتي ، إن صفيه لا تسمح لمخلوق ، أن يمس أباك بكلمة سوء .."

وتعجبت مايســـه :

● " حتى أنت يا جدتي ..!"

وأجابت الجـــدة :

● "حتى أنا يا ابنتي .. غير مسموح أن يذكر أبوك أمامها إلا بكل الخير والحب .."

وتساءلت مايســـه :

● " أتحبه إلى هذه الدرجة ..! "

وأكدت الجـــدة :

• " بل أكثر ، إن المصريات لا يقبلن من أية أنثـــي صغـــيرة أو كبـــيرة ، أن تذكـــر رجلـــها زوجا كان أو حبيبا بعبارات فيها شئ من المدح ، لكن صفيه يحلـــو لهـــا أن تســـمع المـــدح في أبيك من غيرها ، فهي تشعر بأن الله قد وفقها إلى رجل لا يســـبه أحـــد ، بـــل يمتدحـــه بكل ما هو جميل سواء كان ذلك فيه أو لم يكن ، المهم أن يمتدحه ، كمـــا أنهـــا يـــا ابنـــتي ، منذ أن عرفناها ، وشرفت بيتنا ، لم نر منها إلا كل ما هـــو جميـــل .."

وكرجل شرطة يريد أن يستوضح الحقائق ، ســـألتها مايســـه :

• " لكن شريف ليس أخي .. أليس كذلك ..؟"

وتداركت السيدة العجوز ما ترمي إليـــه حفيدتهـــا :

• " بلى ، انه ابن صفيه من ابن عمها أسامه .."

فأرادت الحفيدة أن تظهر بعض الفطنـــــة :

• " هذا الذي اختطفها ، وكاد أن يدفنها حية .."

وتعجبت السيدة مما قالته مايسه ، فلا أحد يعـــرف هـــذه المعلومـــات ســـواها ومصطفـــى ، حتى سعيد ، لا يعرف التفاصيل ، وما قالته مايســـه ، هـــو مـــن تفـــاصيل التفـــاصيل ، لكـــن مايسه قالت لجدتها كل حوادث ذلك اليـــوم الرهيـــب ، فقـــررت الســـيدة أن تنقـــذ شـــرف صفيه من أن يلوث ، فقد كان ما قالته سميحه القرنفلي عـــن صفيـــه ، شـــيئا مقـــززا ، ومـــا عرفته مايسه ، يزيد الصورة كآبـــة :

• " لما مصطفى أحضر صفيه هنا ، أمرته أن يتصل بعائلتها ، لكـــن مصطفـــى كـــان يظـــن أن عائلتها هم الذين حاولوا وأدها ، وكانت هي في غيبوبة تامـــة ولم نتمكـــن مـــن معرفـــة أي معلومات عنها منها لضعفها ومرضها والغيبوبة الـــتي كـــانت تنتابهـــا مـــن حـــين لآخـــر ، لذلك قام الضابط " علي " بمساعدتنا في هذا الأمـــر ، حيـــث تمكـــن مـــن معرفـــة كـــل

المعلومات عن السيارة التي استقلها القاتلان ، ومنها عرف العنوان ، واستطاع جمع المعلومات عن أسامه ومنه تمكن من معرفة عنوان أهل صفيه ، وسافر مصطفى إليهم مع علي ، فوجد الحزن يخيم عليهم لعدم معرفة أي شئ عنها ، وعدم قدرتهم على اتخاذ أي إجراء لا بإبلاغ البوليس ولا بالنشر في الجرائد خوفا من الفضائح ، ورغم فرحتهم بمعرفة أنها على قيد الحياة ، إلا أن الخجل مما قاله مصطفى لهم كان أكبر من التعبير عن الفرحة ، فسافرت أمها فورا لتكون إلى جانبها ، أما الحاج وهدان فقد كان يعرف فيلا المرعشلي جد أسامه لأمه ، فدبر أمر اختطافه ، وتسفيره إلى بلدهم ، حيث أجبره على عقد قرانه على صفيه ، حتى يكون المولود ابن حلال .."

وتساءلت مايسه عن مقتل أسامه تحت عجلات القطار ، فأجابتها جدتها :

- " مصطفى قال إنه بعد عقد القران ، خرج الحاج وهدان ومصطفى والضابط علي للسفر إلى القاهرة ، ولما وصلوا محطة القطار ، وجدوا جمهرة كبيرة حول جثة رجل قيل لهما أنه قتل تحت عجلات القطار ، لكن مصطفى كأنما لمح الرجل ضخم الجثة الذي كان يدفن صفيه ، وكأنما كان الرجل يحاول مراقبة الأحداث من بعيد دون أن يراه أحد ، واشتبه مصطفى في أمره ، فأسر بذلك للضابط علي ، لكنهما أسرعا نحو الجثة وقد ساورهم الشك أنها ربما تكون لأسامه ، فأسرع علي يستدعي الحاج وهدان الذي أكد أنها لأسامه ، عرفوه من الملابس التي كان يرتديها ، ولما تبين للشهود أنه قريبهم ، تطوعوا بسرد ما حدث وفقا لما تمكنوا من رؤيته ، فذكروا أنه ربما كان هناك من كان يدفعه تحت عجلات القطار كلما حاول الهروب منه ، وقد أمكن للبعض وصف غير واضح للقاتل ، ذلك أن الأمر تم ليلا ، لكن ما قالوه كان كافيا كي يتأكد مصطفى من أن القاتل هو ذلك الرجل ضخم الجثة الذي رآه يدفن صفيه ، وأسرع علي باحثا عن القاتل ، لكنه كان قد اختفى ، فقام الحاج وهدان وعائلته ومعهم مصطفى وعلي ، بإجراءات دفنه وعمل جنازة له ، فهو أولا وقبل كل شئ ابن أخيه .."

فسارعت مايسه تذكر اســـم الحـــار، " جوبيـــتر تابليــانو " وتعجبـــت جدهمـــا ، لكنـــها تذكرت ما سبق أن قالته مايسه عن معرفتها لكل هذه الأمــــور ، ولكـــن مايســـه تلـــح في أن تعرف كيف تزوج أبوها من صفيه ، ولاحظت جدهمـــا هـــذه الرغبـــة ، فتطوعـــت بالإجابـــة دون أن توجه لها ســـؤالا :

- " صفيه يا حبيبتي كانت في غيبوبة مخدر ، لم يتمكن الأطبـــاء مـــن علاجـــها منـــها إلا بعد مدة تزيد على ستة أشهر ، لأن المخدر كان قد أصابهـــا بتســـمم وتركـــها في غيبوبـــة شبه كاملة ، وكانت تتنـــاول الأدوية والمقويات والغـــذاء الصنـــاعي بواســـطة الحقـــن ، وكانت توصيات الطبيب ألا تتحـــرك وأن أي حركة ســـتكون خطورهمـــا غـــير محمـــودة العواقب ، لذلك قبل أهـــل صفيـــه أن تظـــل في مكانهـــا عندنـــا ، وتظـــل والدهمـــا إلى جوارهـــا ، فخصص والدك لهما المندرة التي حولها إلى أتيلييـــــه لعمـــك ســـعيد ، وكـــان دائم السؤال عنها ، والحقيقة أن والدها رفـــــض رفضـــا باتـــا أن يتحمـــل مصطفـــى أي مصروفات تخص الأدوية أو العـــلاج أو مصـــاريف الدكتـــور ، لكـــن مصطفـــى رفـــض كذلك إلا أن تعامل ستوته أم صفيه معاملة أحد أفـــــراد عائلتنـــا ، وقبـــل الرجـــل علـــى مضض وهو يردد عبـــــارة " إيه ذنبكم " لكن هـــــذه التصرفـــات مـــن مصطفـــى ومـــا سبقها كان لها أثر كبير جدا في نفس وعقل ووجدان هـــذا الرجـــل الطيـــب .. "

- وبمجرد أن عرف أن مصطفى غير متزوج ، كـــرر مـــرارا وتكـــرارا ، أن الله إذا مـــن على صفيه بالشفاء ، فسوف يهديها لمصطفى ، ليســـت زوجـــة فقـــط ، ولكـــن جاريـــة لـــه ، تخدمه هو وأولاده طول عمرها ، وعندما أفاقت ، كانت قـــد أنجبـــت شـــريفا ، ثم بعد فترة من الرعاية المكثفة والاهتمام ، بدت لنا جميلة كـــالبدر ، وكـــان مـــن الطبيعـــي أنها ووالدهما يقضيان الوقت معنا في الفيــــلا ، ولا يذهبـــان إلى المنـــدرة إلا عنـــد النـــوم فقط ، وكان مصطفى يسعد بالحديث مع صفيه ، ودائمـــا مـــا يعمـــل المســـتحيل لكـــي يخرجها من أحزانها ، وذلك بسرد حكايات وأحاديث مســـلية ومضحكـــة ، حـــتى ألفتـــه صفيه ، وأصبحت تسعد بوجوده ، وتحاول هـــي أيضـــا أن تجـــره إلى حواراهمـــا وشـــقاوة صباها المحببة إلى النفس ، حتى أصبحت جـــزء مـــن حياتنـــا ، خاصـــة وأن مـــريم ومـــها تعلقتا بها لحسن معاملتها ورعايتها لهما ، وكـــانت ســـتوته تكـــرر دائمـــا أمامـــها مـــآثر

مصطفى ورعايته لها واهتمامه بها ، حتى تولدت لديها قناعة بأن مصطفى هو زوجها ، ووالد أولاده منها مريم ومها وشريف ، وكان من نعمة ربنا عليها ، أنها نسيت فترة ما قبل شفائها ، ولما تبين لمصطفى حسن رعايتها ومعاملتها لابنتيه من سميحة القرنفلي ، وجد أنها أنسب زوجة له ، ولما ذكرت له ما قاله والدها بأنه يرغب في أن يزوجها له ، وجدت لديه صدى قويا للزواج منها ، وتم الزواج .."

- ستعجبين يا مايسه ، أنه عندما سألها الشاهدان هل توكل والدها عنها لتزويجها من مصطفى ؟ أجابت بتلقائية بالإيجاب ثم تساءلت بتعجب :

- " ألست زوجته ؟ ومريم ومها وشريف أليسوا أولادنا ؟"

- واعترضت على وجودها هي في المندرة وهو في مكان آخر ، لكني كنت أقول لها ، بأنه يفضل أن يتركها مع والدها ورضيعها ، حتى لا يزعجهم ، وتم الزواج في هدوء حتى لا يثير الأمر شكوكها ، وصعدت صفيه إلى غرفتها مع زوجها بقناعة تامة أن الزواج تم منذ مدة ، وسافرت ستوته إلى بلدها وهي قريرة العين أن الله وفق صفيه إلى زوج يحبها ويحافظ عليها ، وصفيه مقنعة وتحبه ، وتأمن عائلته على ابنتها ."

شعرت مايسه بأن جدها بدأت تتململ ، وخجلت أن تزيد من أسئلتها ، لكنها أبدا تريد أن تعرف كل شئ ، وعلى وجه الخصوص لماذا قرر والدها ألا ينجب من صفيه ما دام يكن لها كل هذا الحب وهي تكن له ما هو أكبر من الحب ، ذلك الذي تسبب في حضور والد صفيه من الصعيد ، ومقابلته لابنته بهذه الصفعة القوية ، وتلك الحجة التي استندت عليها سميحه هانم في أن مصطفى لا يحبها ، فقالت الحفيدة بصوت خافت وكأنها تحدث نفسها :

- " إذا كان والدي يحبها هذا الحب ، فلماذا لم ينجب منها طوال تلك المدة ؟ إنها تزيد على ثلاث سنوات كما ذكرت سميحه هانم .."

ونظرت مريم هانم إليها من ركن عينيها ، ها هـــي حفيدهّـا تلاعبـــها ، فضحكـــت .. ممـــا شجع مايسه على الإلحاح في أن تزيدهـــا جدهّـــا لهـــذا الأمـــر توضيحـــا ، فتنـــهدت الجـــدة بسعادة ، وأخذت رأس مايسه إلى حجرها ، ولاعبت خصلات شـــعرها وهـــي تدلـــك فـــروة رأسها ، وقـــالت :

- " الموضوع ببساطة ، أن صفيه لم تستعيد صحتـــها وعافيتـــها كاملـــة إلا منـــذ مـــدة بســـــيطة .. "

وعلقت مايســـه :

- " شهرين تقريبا يا جدتي .. "

فاحتضنتها جدهّا وهي تقـــول :

- " ما انت عارفة كل حاجة أهو .. أمال بتسألي ليه ..؟"

فتساءلت بمكـــر :

- " بقي شئ واحد فقط يا جدتي ، لماذا لا تنادون سميحه هانم إلا ببنت القرنفلي باشا ..؟"

وأجابت الجدة والابتسامة تملأ فمـــها :

- " أبدا .. المسألة بمنتهى البساطة ، أنها كانت دائما تـــردد هـــذه العبـــارة ، إذ كلمـــا حدث خلاف ، أو أصرت على رأى ، أو غضبت من شـــئ ، تنفـــخ أوداجـــها ، وتقـــول " انتو عارفين أنا مين ، أنا بنت القرنفلي باشـــا " لذلـــك كـــان والـــدك لا يذكرهـــا إلا ببنت القرنفلي باشا .. سبحان الله ، الناس أقـــدام ، عندمـــا قدمـــت والدتـــك ، كـــانت حياتنا مستورة بالكاد ، وخلال فترة بسيطة من وجودهـــا ، ربنـــا فرجـــها مـــن وســـع ، والحالة أصبحت غير الحالة ، والفلوس كانت نازلة علينا مش عـــارفين منـــين ، ودخلـــت

بنت القرنفلي باشا .. وزي ما يكون الفقر جه في ذيلها ، حتى أصبحنا تحت خط الفقر ، لدرجة أن والدك باع كل شئ ، واضطر للعمل في مهنة بسيطة .. "

فقاطعتها مايسه :

- " تقصدين السباكة .."

وتعجبت السيدة من أن مايسه تعرف كل شئ ، لكن مايسه ذكرت لجدتها أن كل شئ كتب في الجرائد ، وتساءلت السيدة :

- " تكنش اللي كتبته .."

وردت مايسه ، حتى كأنهما قالتا العبارة في وقت واحد :

- "بنت القرنفلي باشا .."

وضحكتا من الأعماق ، ثم أكملت مريم هانم :

- " ولما حضرت صفيه ، كانت الأمور معقولة ، لكن بعدما تزوجها والدك ، ربنا فتحها علينا من وسع وأصبحنا كما ترين ، فقد قام والدك ومعه صفيه بزيارة عائلتها في سوهاج ، وما إن ذكر والد صفيه أن الباش مهندس مصطفى مقاول ، حتى انهالت عليه التعاقدات ، من أقارب صفيه وأصدقائهم والحقيقة أنها كانت فاتحة خير ، ولما اتسع النشاط ، افتتح مكتبا هناك للشركة ، يتولى إدارته أحد اخوة صفيه ، مهندس معماري ، لم يحضر مع والده ، لأن العمل هناك لا يسمح له بتركه ولو للحظة ، ولو كان تركه ، لنال من والدك ما لا يحمد عقباه ، فالعمل عند والدك عبادة ، ومصالح الناس أهم عنده من مصالحه الشخصية ، هذا طبعا بخلاف مكتب القاهرة ، والأمور بقت أحسن والحمد لله .."

جدتها تتكلم عن نجاح أبيها في العمل ، وهي تريد المزيد :

- " وهل كل أعمال والدي تتم بنفس طريقة جناح عمي سعيد ، يعني بنفس السرعة والدقة أيضا ..؟"

وزادها الجدة :

- " وأكثر يا ابنتي ، إن والدك دائما يقول إن النقود لها قيمة ، أنا مش فاهمة الكلام ده ، لكن لما وضحه لي ، تبين أنه على حق .."

وأرادت مايسه من جدها أن توضح ما قاله أبوها :

- " كيف ..؟"

وأوضحت لها الجدة :

- " كان يقول أن العمارة التي تبنى ، قد تكون للسكن ، وتأخير يوم معناه تأخير إيجار شهر ، وفي عدد الشقق شوفي يبقى المبلغ كام ، أما إذا كانت للبيع ، فإن عقود البيع تنص على غرامات تسليم ، هذا إلى جانب أن البيع يتم بمقدار النشاط في البناء ، وتأخير تحصيل المبالغ معناه تحميل صاحب العمارة بأعباء تمويل ، يعني فوائد بنوك وخلافه ، وهذه قد تزيد كثيرا عن أي مبالغ تدفع بالزيادة ، حتى ينتهي العمل في موعده ، لذلك ، فإن أصحاب العمارات يفضلون التعامل مع والدك ، لأن مواعيده مضبوطة ، حيث أنه يسلم الأعمال قبل الميعاد دائما ، إضافة إلى أن شغله دقيق .."

وأعادها مرة أخرى إلى موضوع بنت القرنفلي باشا :

- " إلى هذه الدرجة يا جدتي ، لا تحظى بنت القرنفلي باشا بحب أحد ..!"

ولم تستطع الجدة أن تخفي شيئا عن حفيدتها :

- إنها كلما حضرت ، أثارت ابنتيها ضد صفيه ، فـــأراد والـــدك أن يعلمـــهما الأدب ، فقال لهـــــما :

- " إذا لم تتعاملا مع ماما صفيه كما يجب أن تتعامل البنات مع والدهم ، فسوف أرســلكم لوالدتــــكم .."

- وظنت البنتان أن هذا شئ جيد لهما ، وفعلا ذهبتـــا إلى مـــنزل والدهمـــا ، وبـــالرغم من أن سميحه مسيطرة تماما على البيت ، والـــزوج هنـــاك زي " شـــرابة الخـــرج " علـــى رأى المثل عندنا لكن البنتين لم تجدا الراحة ، ولا الدلـــع والحنـــان الـــذي تســـبغه صفيـــه عليهما هنا ، فالأم مشغولة دائما بزينتـــها وســـهراتها وعصبيتـــها وعائلتـــها ، ولا وقـــت لديها لا لزوجها ولا حتى لابنتيها ، وفضلت البنتـــان العـــودة ســـريعا إلى حيـــث الحـــب والحنان ، وكان رد والدك عليها أكثر من عاصف ، فقد لاحـــظ أن درجـــات البنتـــين في المدرسة في تأخر سريع نتيجة عدم الاهتمام ، وكذلك عـــدم الراحـــة والقلـــق النفســـي ، من كثرة شجار والدهما مع زوجها ، ومعاملتـــها الســـيئة للخـــدم ، ومـــن ساعتـــــها ، بقى العقاب الذي يفرضه والـــدك عليـــهما بعـــد ذلـــك ، هـــو التـــهديد بإرســـالهما إلى والدهمــــــا .. "

- إنها تحضر هنا لمدة ساعتين على الأكثر كل أسبوع ، تجـــالس ابنتاهـــا لفـــترة لا تزيـــد عن نصف ساعة يقتصر الحنان على قبلات وعناق الاســـــتقبال ، وتقـــديم بعـــض الهدايـــا التي غالبا ما يكون لدى البنتين ما هـــو أفضـــل منـــها بكثـــير ، فالحقيقـــة أن والـــدك لا يقصر في حق أولاده عموما ، حتى شـــــريف ، فـــهو يعاملـــه كابنـــه وربمـــا أكـــثر ، ثم تسأل ابنتيها عن معاملة صفيـــه لهمـــا ، وتحـــاول أن تنـــتزع منـــهما اعترافـــا بمعاملتـــها الســـيئة ، وطبعا هي لا تذكرها أمامـــهما إلا بنعـــوت ســـيئة ، حـــتى أن البنتـــين بدأتـــا تسأمان هذا الأسلوب ، وغالبا ما تحاولان التهرب مـــن مقابلتـــها إذا حضـــرت ، فتلقـــي باللوم على صفيه وتبدأ العراك معها بدون سبب ، إلا محاولـــة اتهامـــها بإســـاءة معاملتـــها لابنتيها ، وتشخط في المربيات والناس اللـــي شـــايلينا وتمشـــي تهـــز في شـــعرها زى مـــا يكون ما حدش ربنا وهبه شعرا جميلا وطويـــلا غيرهـــا .."

وتساءلت مايسه بانزعـــاج :

- " أليست محجبة يا جدتي ..؟"

وأجابت السيدة والحسرة تملأ قلبـــها :

- " لا يا ابنتي .. إنها حتى لا تصلي ، وربما كان هذا أحد أهـــم أســباب عـــدم وجـــود البركة أثناء وجودها ، وقد كان أبوك غاضبا عليـــها ، ولذلـــك كـــان الشـــجار بينـــهما دائما ، هذا فضلا عن تعاليها وتكبرها على خلـــق الله ، إن ابنتيـــها تحـــاولان الانشـــغال بالدراسة عند حضورها ، وكثيرا ما يطلبان من أبيك أن يذهبـــا معـــه إلى العمـــل ، لكـــن أباك يحاول أن يستميلهما لأمهما ، والعجيب أنهما همـــا اللتـــان تقـــولان لوالـــدك عـــن طريقة معاملتها لصفيه ، وعندما يسأل صفيه ، تحاول أن تلطف الأمـــور ، لكـــن والـــدك بحصافته ، أنذر سميحه أنها إذا لم تحترم ست البيـــت هنـــا فلـــن يســـمح لهـــا أن تـــرى ابنتيها ، وإذا رغبت في رؤيتهما ، فليكن ذلك عن طريق المحكمـــة ، وســـتراهما في قســـم الشرطة كما ينص القانون ، وهكذا أصبحت أكثر تأدبـــا في تعاملـــها مـــع صفيـــه أو أي من المربيـــات .."

وأرادت أن تعرف طريقة معاملتها لجدتهـــا :

- " وهل تتعامل معك بنفس الطريقة يا جدتي ..؟"

وأجابت السيدة بحصافـــة :

- " لقد حاولت مرة ، لكني آثرت الدخول إلى غرفتي وإغلاقـــها علـــى ، ولمـــا حـــاولت فتحها عنوة ، تصدت لها صفيه بغلظة ، أظهرت لها فيها من الحســـم والقـــوة مـــاذا يمكـــن أن تفعل بها الصعيدية التي لا تعجبـــها .."

وصدم النعت سمع مايسه ، فـــأرادت أن تســـتوضح :

● " وهل كانت تنعتها بذلك .. ؟"

وأجابت السـيدة :

● " إنها لا تناديها إلا بالصعيدية ، ولا تنسي أننا أيضا لا نسميها إلا ببنت القرنفلي باشا .."

فأوضحت مايسه لها الفـرق :

● " لكن تفرق يا جدتي ، بنت القرنفلي باشا فيه بعض التفخيم لها ، أما الصعيدية ، فانـه يكاد يكون سبا .."

لكن الجدة أوضحـت :

● لقد قالت صفيه ، إنها لم تأت بجديد ، فهي تفخر بأنها صعيدية .."

وازداد عجب الفتـاة :

● " تفخر بأنها صعيدية ..!"

فأوضحت الجـدة :

● " أجل يا ابنتي .. إن مصر تعج بالكثير مـن الأصـول العرقيـة ، تمامـا كـأي بلـد آخـر ، فهنا مـن الأصـول العرقيـة الممـاليك ، وهـؤلاء كـانوا عبيـدا ، الـولاة والسلاطين يشترونهم مـن أوروبـا ليدربوهـم علـى أعمـال الحـروب والخدمـة ، ثم استشرى أمرهم حتى أصبحوا هم الأمراء ، لكن محمـد علـي باشـا دبـر لهـم مذبحـة مشهورة اسمها مذبحة القلعة ، تخلص فيها من غالبية أمرائـهم ، لذلـك سـتجدين والـدك عندما يشعر بتعالي أي واحد بدعوى أنه من أصول غير مصرية ، يذكـره بأنـه لـو كـان في بلدهم خير لما قدمت أصوله إلى مصر ، ذلـك أنهـم في الغـالب كـانوا شـحاذين في بلدهم ، وكذلك لدينا هنا في مصر الكثيرون الذين تمتد أصولهـم إلى الـدول العربيـة أو

الأوربيـــة ، وعلى الأخص القريبة منا مثل قبرص واليونـــان وإيطاليـــا والمغـــرب وتونـــس والجزائر ولبنان وسوريا والسودان وفلسطين والأندلـــس ، وغـــيرهم كثـــيرين ، إن مصـــر يا ابنتي في الأيام السابقة كانت واحة أمن وأمـــان حقيقي ، وكـــانت تســـودها خـــيرات الله من كل شئ ، لذلك فنحن ننظر إلى من لا ينتمي إلى قريـــة مـــن القـــرى المصريـــة ، سواء في وجه قبلي أو وجه بحري ، على أنه ليس مصريـــا أصيـــلا .."

هذه معلومات جديدة على مايسه ، تتمنى لو استوضحت من جدهـــا جـــذور عائلتـــها :

- " ونحن يا جدتي ..!"

وأجابت الجـــدة :

- " للأسف يا ابنتي .. فأنا لي جذور تركية ، وجدك لـــه أصـــول مغربيـــة أو أندلســـية ، لكننا ننتمي إلى قرية كفر الغلابة في الوجه البحري ، ولنـــا هنـــاك أرض وبيـــت وأقـــارب ونسب بمصريين أصليين ، ولكـــن لا صلة لنا الآن لا بتركيـــا ولا بـــالمغرب ، وأصبحنـــا مصريين قلبا وقالبا ، بل وربما عنصريـــين ، لا نقبـــل أن تمـــس مصـــر بكلمـــة أو تعبـــير خاطئ حتى ولو بحسن نيـــــة .."

وتساءلت الفتاة عن أصول زوجة أبيـــها الســـابقة :

- " وبنت القرنفلي باشا .."

وأجابت الجدة بتحفظ شـــديد :

- " كان أبوك يعاتبها ببعض القسوة عندما تغالي في ترديد عبـــارة أنـــا بنـــت القرنفلـــي باشا ، وفي إحدى المرات فسر لها معنى كلمة القرنفلـــي ، ونســـبها إلى زهـــرة القرنفـــل ، وهذا ليس له سوى تفســـير واحـــد ، ألا وهـــو أن أحـــد جدودهـــا كـــان لـــه علاقـــة بـــالقرنفل ، يعني بالزراعة ، لذلـــك سمـــي القرنفلـــي ، أو ربمـــا كـــانت أنفـــه كأنفـــها

وكذلك أنوف اخوتها ، أرنبتها حمراء ، زى القرنفلة ، وفي الغالب هـــم ليســوا مصريــين أصلاء ، وفي النهاية طالما أننا خلقنا من أرض مصـــر ، وشــربنا مـــن نيـــل مصـــر ، فــلا يفرق ، لكن اللي يغيظ هو التعـــالي علــى خلـــق الله ، وتصـــور أن الجنـــس الـــتركي أو المملوكي أو الأعراق الأخرى غير المصريـــة أفضـــل مـــن المصريـــين ، وتتعـــالى عليـــهم وتتصور أنها خير منـــهم .."

فأرادت أن تستوضح أصول مـــنى :

- " وماذا عن خطيبة عمي سعيد ..؟"

وشكرت السيدة في مـــنى وأســـرتها ، وزادت :

- " لقد جاءت ومعها خير وفـــير ، مئـــات الآلاف مـــن الجنيـــهات بمجـــرد أن قرأنـــا الفاتحة لزواجهما ، أليس هذا كافيا ؟ ثم إنهم من الصعيد ، مـــن بلـــد صفيـــه ، وتربطـــهم صلة قرابة قوية ، أظن والدها ابن عم أو ابن خال والـــــدة صفيـــه .. "

ولم يبق ســـواها :

- " وماذا عني يا جدتي ..؟"

فضمتها الجدة إلى قلبها وقـــالت :

- " أنت زينة هذا المنزل ، هكذا كنـــت منـــذ أن حضـــرت مـــع والـــدك ووالدتـــك ، وسوف تظلين إلى الأبد أغلى حفيداتي ، الموجودات حاليـــا ومـــا قـــد يســـتجد ، فـــأنت أول حفيدة ، وأول بنت أرزق بهـــا ، فأنـــا لم أرزق إلا بـــأولاد ، لذلـــك كنـــت أغلـــى عندي من الجميع ، كما أنك عندما كنت صغيرة ، كنـــت أنـــا في شـــبابي ، واســـتطعت أن أحملك وألاعبك وأجري معك وخلفك ، أما مـــريم ومـــها ، فبغـــض النظـــر عـــن أن

أمهما لم تسمح لأحد بملاعبتهما وحملهما ، فمـــا كنـــت أســـتطيع ذلـــك لكـــبر ســـني ، لذلك أنت غالية جدا عنـــدي .

- كما أن والدتك رحمها الله ، كانت لي أكثر مـــن ابنـــة ، فقـــد عـــاملتني كوالدهـــا ، بكل الحب والاحترام والتعاطف والاهتمام ، وما كـــان لي إلا أن أحبـــها ، ليســـت هـــي فقط ، ولكن كل أهلها ، وأنت من ابني ومنها ، وبـــالقطع همـــا وعمـــك ســـعيد أحـــب الناس إلى قلبي ، واندمج حبي لهما لكي يجتمعان في حب واحـــد كبـــير هـــو أنـــت ، ثم ألا يكفي خبر الملايين التي أعلنها خالك ملكا لوالدك ولـــك مـــن شـــركة الخوجـــة وكـــازو باليابان ؟ ألا يكفي السعادة التي تغمرين بها هذا المترل منذ أن قدمت يـــا قـــدم الســـعد ؟ ألا يكفي خبر أخيك القادم إن شاء الله ، ألا يكفي الإيمان الـــذي فطـــرك الله عليـــه منـــذ صغرك ، حتى وأنت بعيدة عنـــا ..؟"

أرادت أن تعرف ما إذا كانت جدها تتحامل على زوجة أبيها الســـابقة ، فســـألتها بمكـــر :

- " لكنني لست محجبة يا جدتي .."

وفهمت الجدة مقصدها ، فأوضحت لهـــا :

- " الإسلام للمرأة ليس حجابا وجلبابا طويلا ، كما أنه للرجـــل ليـــس لحيـــة وجلبابـــا قصيرا ، الإسلام ما وقر في القلب وصدقه العمل ، والديـــن المعاملـــة ، وأحـــب لأخيـــك ما تحب لنفسك ، وعامل النـــاس بمـــا تحـــب أن يعـــاملوك بـــه ، بالإضافـــة إلى الصـــلاة والصيام والزكاة والحج ، والحجـــاب أمـــر مـــن الله ســـبحانه وتعـــالى ، فـــإذا المســـلمة أطاعت الله وتحجبت ، أخـــذت الثـــواب ، وإذا لم تطعـــه ، نالهـــا العقـــاب ، ولـــك أن تختاري الطريق الذي تجدين فيه الخير لـــك .."

حاولت الفتاة أن تستشف مدى جمال جدها قبل أن يفعل بها العمر مـــا فعـــل ، فســـألتها :

- " بالطبع كل أنثى تحب أن تظهر جمالها ، والحجاب قد يخفي بعض هذا الجمال .."

وكانت إجابة الجدة بذكاء :

- " الملابس الإسلامية للمرأة ، لا تخفي جمال المرأة ، ولكنها تخفي الفتنة ، وما حاجة المرأة العفيفة للفتنة ، حيث أن الجمال ، جمال الوجه وجمال الروح ، وهذان لا يحجبهما الحجاب ، أما إثارة الفتنة فليس وراءها إلا الاختطاف ، أو الاغتصاب ، أو الانحلال .."

وتساءلت الفتاة :

- " لكن ماما صفيه اختطفت ، فهل لم تكن محجبة وأثارت فتنة أدت إلى اختطافها ..؟"

ودافعت الجدة عن صفية :

- " لم يكن اختطافا بقدر ما هو تحايل ، فابن عمها كان وفقا لعادات وتقاليد مصرية ، خطيبها منذ أن ولدا ، ولكنها رفضت هذا الأسلوب بعد أن كبرت وتعلمت ، فقد وجدت أن من حقها اختيار شريك عمرها ، لا أن يفرض عليها ، خاصة وأنه كان متكاسلا في دراسته ، وهي متفوقة ، فلما وجد منها الرفض ، وكان يحبها ، وزين له شياطين الإنس فعلته ، قام بالتحايل عليها ، ادعى بأن والدته تريد أن تراها ، أو شيء من هذا القبيل ، ولما وقعت في أيديهم ، لم يرحموها المسكينة .."

وتساءلت :

- " ولماذا ذهبت معه ..؟ "

وأرادت السيدة أن تنهي الحديث :

- " هذا ما لا أعرفه ، ولم تبح به صفيه لأحد ، لكن هناك من الأمور التي قد يضطر المـــرء إليها رغـــما عنـــه .."

لكن الفتاة تمـادت :

- " مثل ماذا يا جدتي ..؟"

فزادتها السيدة بما يفيدها في حياتهـا :

- " عندما تجدين إلحاحا قد يصل إلى درجة الملـل ، فـأنت قـد توافقـين علـى مـا لا ترضينه لو لم يكـن هذا الإلحاح ، طالما أن الأمر لا يوجد فيـه مـا يريـب ، والحقيقـة ، أن والدة صفيه ذكرت كثيرا كم كان ابن عمها يحبها لدرجـة الهـوس ، فـهو دائمـا في بلدتهم من أجلها ، قريبا منها ، في بيتها تربى ، وبين أحضان والدتهـا نشـأ ، ومـا كـان لصفيه أن تتصور أن دعوته لها لترى والدته تنطوي علـى غـدر .."

وردتها الفتاة مرة أخرى إلى سـلوكيات أبيـها :

- " لكن بالقطع والدي هذا ليس بشرا كما قالت عنه صفيه ، كيف تغلب علـى أنانيـة الرجل ، وصفح عن كل ما يمكن أن تساوره من شكوك ، وتزوجها .."

وأجابت السـيدة :

- " آه لو تعلمين يا مايسه ، لقد كان من أهم الأسباب التي جعـل والـدك يتزوجـها ، ابنتاه من صاحبة الصون والعفاف سميحه هانم القرنفلـي ، فلـولا تمسـك البنتـين بهـا ، ورعايتها لهما ، ربما ما كان ليفكر في الزواج منها ، لكن ليس لمـا حـدث لهـا ، فكلنـا معرضون لمواقف من هذا القبيل ، ربما أقل بكثير ، أو أكـبر بكثـير ، لكـن مـن غـير شك ، فان ابتلاء الله للإنسان وارد في كـل وقـت ونحـن ندعـوه دائمـا اللطـف في القضـاء .."

وقررت الفتاة فجأة أمرا لم يكن علـــى البـــال :

- " سوف أتحجب إن شاء الله من الآن .."

وعبرت السيدة عن فرحتها بحفيدتهـــا :

- " ولك مني أول مجموعة ، لقد اشتريتها من الأراضي المقدسة ، أثناء عمرتي الماضية ، منـذ شهـــــرين .."

فقاطعتها مايسه قائلـــة :

- " وأنت يا جدتي ، لك مني خبر لو علمه والدي وعمي سعيد ، لمـــا وســـعتهما الدنيـــا من الفرحة ، ولكان لمن يزفه لهما مكافـــأة ســـخية .."

واستوضحتها السيدة بلهفـــة :

- " ما هو يا حبيبـــتي ..؟"

فأرادت الفتاة أن تشعر الجدة بمكانتها الغاليـــة عندهـــا :

- " سأخصك به يا جدتي .. لكن لا تقولي لأحد عنه حتى أخبر أنا أبي به .."

وسايرتها السيدة في عفرتتـــها :

- " آه يا شقية .."

فهمست الفتاة ، وكأنما تخشى أن يسمعها أحد ســـوى جدتهـــا :

- " لقد شاهدت اليوم الكثير من البراعم التي بدأت تظهر من أحجار البروتين التي زرعـــها خالي في أصص في الحديقة .."



ولا أدري يا والدي ، كيف أعطاني الله القوة أن أفك وثاقي في هدوء ؟ وأن أتغلب عليهم رغم أن عددهم كان قرابة سبعة

١٢- الشك

فوجئ مصطفى بما يعرضه عليه مستر نرسنج من صور فوتوغرافية توضح بالتفصيل عملية اختطاف ابنته والدكتور ناجا سيتو وهما في طريقهما إلى المطار ليحضرا إلى القاهرة ، فدفن رأسه بين يديه ، وبدت الدموع تتساقط ، وأسئلة كثيرة تملأ رأسه ، إذا كان هذا قد حدث لابنته وخالها ، فمن تراهما الموجودان بالمنزل ؟ أغراب !! كيف ؟ وكل الدلائل والمعلومات والحب .. الحب الذي لا يخطئ أبدا ، هل عميت بصيرته إلى هذه الدرجة ؟ لا يستطيع أن يفرق بين ابنته وشبيهة دسوها عليه ، أم تراها لعبة ذكية من مخابرات دولة أجنبية تريد تشكيكه في ابنته ، حتى يتمكنوا من الاستيلاء على الاكتشاف ويطورونه ، ويحرمون اليابان منه ؟ إنهم يعلمون أن الاكتشاف لو وصل إلى اليابان ، لعمل اليابانيون على تطويره بما يعود عليهم وعلى العالم بالنفع ، لكنهم عندما يستولون هم عليه ، فلن يصل إلى أحد إلا إذا كان ممن يرضون عنهم ، وفي الوقت الذي يحددونه ، وهذا الوقت ليس له صلة بأبحاث أو بالتأكد من صلاحيته للاستخدام الآدمي ، وهل هذا ما يريده مصطفى ؟ بل هل هذا ما تريده مصر ؟ بل هل هذا ما يقره الإسلام ؟

صرخ في وجه مستر نرسنج مكذبا :

- " لم يصل بي السفه ألا أستطيع التفريق بين ابنتي وغيرها .. راجع مصادر معلوماتك ، وسوف تكتشف أنهم مخطئون .. ثم أن الاكتشاف سوف يتم استغلاله من خلال شركتي في اليابان ، أنت تعرفها طبعا ، أو لعلك لا تعرف أنها أصبحت الآن من أكبر شركات الإلكترونيات في اليابان ، يعني المسألة في بيتها ، وطبعا هما ليسا من الخبل أن يعرضا على ضرورة السفر معهما لو لم تكن الفتاة ابنتي ، والعجوز الذي معها خالها وأخو توأم روحي ماي سيتو .."

وقبل أن يكمل قاطعه نرسنج :

- " أو لعلهما يدبران للتخلص منك .. "

وقال فيه صارخـــاً :

- " وفقا لاستنتاجاتك .. كل شئ جائز .. لكن غريـــزة الـــدم لا يمكـــن تجاهلـــها ، ولـــو أن قلبي أخطأها .. لما كان لوالدتي أن تخطئها ، ثم أنهـــا رويـــت لي بعـــض التفـــاصيل الـــتي لا يعرفها أحد سواي ، ولا يمكن لأي عقلية مهما بلغت مـــن الدقـــة ، أن تلـــم بكـــل هـــذه الأمور ، وعلى كل ، فإن مايسه كانت قد تعرضت لحادث بســـيط تـــرك أثـــراً في مكـــان غير ظاهر ، وأعتقد أنه لا بد وأن يكون هذا الأثر مـــازال باقيـــاً ، وســـوف أتحقـــق مـــن ذلك إن شاء الله ، وإلى ذلك الحين ، فكأنك لم تقـــل شـــيئاً ، وكـــأنني لم أسمـــع .. دعنـــا ندخل في الموضوع الذي أحضرتني مـــن أجلـــه .. "

ولاحظ مستر نرسنج التغير الواضح الذي طرأ على مصطفى ، فـــلا هـــذه لهجـــة تخـــاطب بين أصدقاء ولا هذا أسلوب تعامل بين رجال أعمـــال ، وتصـــور الرجـــل الدبلوماســـي مـــا يمكن أن يتعرض له صديق عندما يفقد ثقتـــه في صديقـــه ، هـــل يمكـــن أن يصـــل بمصطفـــى شكه فيه إلى الدرجة التي لا يصدقه فيها ؟ هل يشك مصطفـــى في أنهـــم دســـوا عليـــه أحـــد أعز أصدقائه ليشككوه في ابنته بغية الاستحواذ علـــى الاكتشـــاف ؟

كان لابد له من أن يظهر لمصطفى كم هو حريص عليه وعلـــى مصالحـــه ، ولا يكـــون هـــذا إلا بعرض أسلوب التعاون الذي تقترحه بعض الشـــركات الســـويدية ، بعيـــداً عـــن الســـفر خارج مصر ، وبعقود دولية موثقـــة .

وحتى لا يثير ريبته ، تعمد أن يكون كلامـــه عامـــاً ، بمعـــنى أن يبصـــره بـــأمور التعـــاقدات الدولية ، ودهاليز التلاعب ، وما قد يتعرض له من أعمال نصـــب وكيـــف لـــه أن يكتشـــف النصابين الدوليين ؟ فهذه كلها أمور ليـــس مـــن الســـهل علـــى أعـــتى العتـــاة أن يعرفـــها ، ولكنهم في السفارة السويدية ، لديهم من الوسائل التكنولوجية الحديثـــة ، مـــا يمكنـــهم مـــن معرفة كل التفاصيل عن كل من يتعاملون معه أو يتعامل معـــهم ، حيـــث يمكنـــهم الحصـــول على سجل أعمالـــه عـــن طريـــق الشـــبكة الدوليـــة للمعلومـــات (IIINTER NET) ولدي الشرطة في استكهولم القدرة على الدخـــول إلى أي نظـــام أمـــني في العـــالم ، والحصـــول

على السجل الأمني والقضائي لأي شخص يخطو أولى خطواته داخل السويد ، أو داخل أي سفارة من سفاراتها بالدول الأخرى .

وكدليل على ذلك ، أظهر له كل ما يخصه منذ أن ولد وحتى اللحظة التي يجلس فيها أمامه ، وصعق مصطفى لما اعتبره تجسسا على البشر ، وحرمانهم من خصوصيتهم ، لكن نرسنج أوضح له أن هذه الأمور كلها تتم بالترتيب مع السلطات بالدول التي بينها اتفاقيات أمنية ، الشرطة المصرية تعلم بأن هناك معلومات طلبتها جهة أجنبية ، ولكنها لا تعلم الأسماء أو الأسباب ، وهذا بالطبع لصالح جميع الأطراف .

فأراد مصطفى أن يختبر أجهزتهم ، فطلب منه معلومات عن أسامه ، وجوبيتر تلبيانو ، والبرنس عباس قللي زوج السيدة سهير المرعشلي ، بل والسيدة سهير المرعشلي أيضاً ، وشكري السوهاجي ، وأحمد الجوهري ، وما هي إلا لحظات وكانت جميع المعلومات لديه ، فتصور أنها وصلت بهذه السرعة لأنهم في مصر ، والمعلومات المطلوبة عن أفراد في مصر ، لكنه فوجئ بأن المعلومات عن جوبيتر تضمنت جميع نشاطاته في مصر وإيطاليا والدول الأخرى التي أصابتها بعض بركاته ، وتاريخه البشري والعلمي والسياسي والإجرامي ، حتى التحقيقات التي تمت معه منذ أقل من يومين في مصر ، والسجن الذي تم إيداعه به ، والعقوبة التي يتوقعها المحللون القانونيون له ، والاتصالات مع الانتربول بشأن تسليمه لهم . فأراد أن يختبر أجهزتهم فيما يختص بماي سيتو وعائلتها وعلى رأسهم أخوها ناجا سيتو ، وبالمرة ابنته مايسه ، وفغر فاه من الدهشة ، وهو يجد جميع المعلومات التي يعرفها عنهم ، وكذلك ما خفي عليه منها .

وبدأت الثقة تعود إليه مرة أخرى في نرسنج ، لكن انشغاله بأمر اختطاف ابنته وجهله بمصيرها الذي قد لا يكون إلا قتلاً أو تعذيباً ، جعله غير قادر على التركيز أو التفكير أو حتى مجرد الكلام في أي موضوع ، لا تعاقد ولا مشاركة ولا حتى مجرد حديث عن أعمال أو مشروعات ، فقد سيطرت عليه أوهام ما بعدها أوهام وهو يقلب الأمر على جميع وجوهه ، وجلس أمام الكمبيوتر يعيد ويزيد في تكرار ممل لما تم تصويره بالفيديو عن عملية اختطاف ابنته وخالها ، وأخذ يتذاكر تصرفات ابنته وخالها معه ، إن كل شئ مجاب

لهما ، والسفارة اليابانية تحت أمرهما ، والسفير يدعي قرابته لهما ، لكـــــن مـــا أثـــار شـــكوكه حولهما ، هو محاولة ابنته المزعومة التعرف على كل صغيرة وكبـــيرة عـــن حياتـــه مـــع أمـــها ، وما قبلها ، وعن كل من ارتبط بهم بصلة قرابة أو نسب أو حـــتى معرفـــة ولـــو مـــن بعيـــد ، والمحمول الذي يلازمها ، والنوت بوك الذي تحتفظ به في حقيبة الأوراق الـــتي تحملـــها دائمـــا أينما حلت ، وسرعة التوصيل بأي خط هاتفي ، والتعرف على كل مـــا تريـــد التعـــرف عليـــه من معلومات ولهفة ناجا سيتو على التعاقد باسم شركته باليابـــان ، أو لعلـــها شـــركة مزعومـــة هي الأخرى دسوها لـــه .

فنظر إلى نرسنج طالبا منه أن يتركه مع كمبيوترهم هـــذا وحيـــدا ، حيـــث طلـــب بيانـــات عن الشركة ، ليفاجأ بالكمبيوتر يعرض جميع ما يتعلق بتلـــك الشـــركة مـــن معلومـــات عـــن مالكيها ، وكذلك البيانات المالية والإدارية والفنيـــة والهندســـية والاقتصاديـــة الخاصـــة بهـــا ، والتطور الذي طرأ عليها منذ نشأتها وحتى الهدايا التي أرســـلتها إلى أخيـــه ســـعيد في حاويـــات لم يتم فضها بالكـــامل .

هدأت نفسه قليلا ، وعقد العزم على التعاون مع الشركات في الســـويد ، فـــهو لـــن ينســـى انزعاج نرسنج عليه عندما اشـــتعلت الحـــرب مـــع إســـرائيل عـــام ١٩٧٣ ، وكـــم هـــي الخطابات التي أرسلها له على جميع عناوينه المعروفة وغـــير المعروفـــة ، وحـــتى عـــن طريـــق السفارتين بمصر واليابان ، ولم يهدأ إلا عندما أرسل له مصطفـــى خطابـــا يطمئنـــه فيـــه علـــى سلامته وجميع أفراد الأسرة والعائلة ، هذا التصرف لا يكون إلا مـــن أخ عزيـــز وليـــس مجـــرد صديق ، وكان هذا قبل أن يتوصل إلى اكتشاف أو خلافـــه ، يعـــني لم تكـــن لـــه مصلحـــة في أن يشعره بهذا الاهتمام ، لكنه بالرغم من كل هذا أراد أن يترك لنفسه فرصـــــة يـــدرس فيـــها ما توفر لديه من معلومات عن مايسه وخالها وشركته باليابـــان ، حـــتى لا يكـــون متســـرعا في قـــــــراره .

والعجيب في الأمـــر أن نرســـنج بمجـــرد عودتـــه ، طلـــب منـــه ألا يتســـرع في إصـــدار الأحكـــام ، أو اتخاذ أية إجراءات من شـــأنها إشـــعارهم بمعرفتـــه بالمعلومـــات الـــتي توفـــرت لديه ، وليتعامل معهما بكل الود والحب وكأن شيئا لم يحدث ، خوفـــا علـــى حيـــاة ابنتـــه إن

كانت ما زالت على قيد الحياة ، فقد يقرروا اتخاذهـا ورقـة رابحـة للمسـاومة ، وطمأنـه أن الشرطة والسفارة السويديتين لن يألوا جهدا في البحث عن ابنته ومحاولـة ردهـا إليـه بكـل ما يمكن من جـهود .

شعر مصطفى ببعض الاطمئنان ، لكنه أعاد التفكير مرة أخـرى ، فلمـاذا لا يكـون ذلـك فخا من الشركات السويدية ، وغالبيتها دوليـة ، وقـد فـبركوا كـل مـا يتعلـق بعمليـة الخطـف ، حتى يصبح مستسلما لطلباتهم ؟ لكنه وهـو يتنـاقش مـع نرسـنج في أسـلوب التعاون الذي يجب أن يتم بينـه وبـين الشـركات الأجنبيـة عمومـا ، والسـويدية بوجـه خـاص ، ونظرا لما اعتراه من شك ، شتت أفكاره ، طلب مصطفـى مـن نرسـنج أن يكـون هو ولا أحد غيره وكيلا لأعماله بالسويد ، وإن كان مركزه لا يسـمح لـه بذلـك ، فلـيزك من يراه مناسبا على مسئوليته وتحت إشرافه ، ووافق نرسنج علـى طلبـه ، بـل ورشـح لـه زوجته ، فهو يعرفها جيدا ويعرف كم هي أمينة صادقـة جـادة ملتزمـة .

لكن مصطفى طلب منه أن يتفحص معـه بعـض السـجلات الأمنيـة ، وزيـادة في بـث الطمأنينة في قلبه ، وحتى يشعره بأنه في بيته ، وليس في سـفارة دولـة أجنبيـة ، وأن لـه مـا يريد ، كتب له كلمة السر ، وتركه يجول في الكمبيوتـر كيـف يشـاء .

أثار اهتمامه ما ذكرته السيدة سهير المرعشلي عـن زوجـها ، لقـد ذكـرت اسمـه ، مـع الكثير من الألقاب والنعوت ، التي تجعله من الأمراء أيـام الملـك ، الـبرنس عبـاس قللـي ، ومن أقرب المقربين لرجال الثورة فيما بعـد ، ثم أن مصطفـى يعـرف الكثـيرين مـن عائلـة قللي ، وتربطه بهم صلات نسب وقرابة ، ولم يسمع بهذا الاسـم ، ولا ببركاتـه الـتي تجعلـه نارا على علم ، فقلب في سجله الأمني ، لكنه وجده مطموسا ، لا ذكر له ، حـتى مـا ذكـر عن أنه برنس أو من رجال الثورة ، لكنه لاحظ وجود ما يشـير إلى أن هنـاك ملـف سـري آخر ، ليس من السهل الدخول إليـه .

فسأل صديق عمره ، الذي ساعده في الوصول إلى الملف السري ، ويا لهول ما قرأ ، طبع نسخة منه وقرر تسليمه للضابط علي ، لكي تتخذ الحكومة المصرية الإجراء المناسب بشأنه .

عاد مصطفى إلى المترل ، وقد ملأت رأسه الشكوك ، تذكر أن مايسه وهي صغيرة ، كانت قد ذهبت لترى السيدة التي تقوم بعمل الخبز في العزبة ، وتعجبت من شكل الفرن الذي بني من الطين على شكل قبة ، وقد فتحت في أسفلها كوة كلها لهيب يتم تزويده بالحطب وروث المواشي المجفف وبعض الأخشاب ، وجلست تراقب السيدة وهي تخرج الخبز من فتحة أخرى مرتفعه عن الكوة السابقة ، وتنحرف عنها مسافة ذراع ، لكنها لم تنتبه إلى السيخ الحديد الذي تستعمله السيدة لتقليب النار ، وكان ملتهبا فحرق ملابسها وألهب مقعدها ، وقد تم إسعافها إثر صراخ عال لم يصدر منها مثله في حياتها ، تذكرها وهي تصرخ ، لكنها أبدا لم تترك قضمة الفطير المشلتت التي كانت تأكلها ، بل وحافظت على ما في فمها منها ، مما كان له أثر في تخفيف حدة الصراخ ونسيانها لألام الحرق الذي ترك أثرا ، كان واضحا حتى تركها مصطفى وهي في سن الرابعة تقريبا ، رغم ما قامت به ماي سيتو من إسعافات اعتمدت فيها على أعشاب الطب العربي وما كانت قد أحضرته معها من أعشاب الطب الياباني والصيني ، والذي كان لها أثرها الفعال في سرعة شفائها السريع منه .

أين هذه الأعشاب الآن ؟ لقد أتلفتها بنت القرنفلي باشا ، باعتبارها دليل جهل وتخلف ، والعجيب أن هذا التصرف يصدر عن امرأة نصف متعلمة ، بينما ماي سيتو حاصلة علي الماجستير في الاقتصاد ودكتوراه في العلوم ، لكنها كانت تثق في هذه الأعشاب وفي العلاج العربي والطب المصري القديم ، لما كان لهما من أثر في علاجها من آلام وقروح الإشعاع الذي كاد يودي بحياتها وحياة ابنتها ، وبدأ مصطفى يعد خطة يستطيع أن يعرف بها إن كان هذا اللسع مازالت آثاره باقية بعد أكثر من ستة عشر عاما ، ومن ثم يحاول التحقق مما إذا كانت الفتاة التي بالمترل هي ابنته أم لا .

رفع سماعة الهاتف ، وطلب طبيب أمراض جلدية من أصدقائه ، وعرض عليه الأمر ، فزاد الطبيب الأمر تعقيدا ، فإن لسعا من هذا القبيل لا يمكن أن يستقر في مكانه بعد أكثر من ستة عشر سنه ، ثم أنه لكي يتم التأكد منه ، فليس أمامهما إلا أن يتم الكشف عليها ، أو أن يتم التعرف عليه خلال ادعاء حقنها ضد أي مرض ، وبدا الأمر مقبولا ، وليس أمامهما إلا أن تصاب مايسه بمرض بسيط وليكن الأنفلونزا ، وتعرض على الطبيب الذي يصف لها حقنا ، تتولى الممرضة حقنها بها ، وأثناء ذلك تؤكد أو تنفي إن كان للسعة أثرها الباقي من عدمه ، وبعد أن أنهى مكالمته مع الطبيب ، انتابته حالة من العجب ، هل يتمنى المرض لهذه المخلوقة الجميلة التي يشعر بكل وجدانه أنها ابنته ، لمجرد شك زرعه مستر نرسنج نتيجة بعض الصور التي تم التقاطها باعتبارها عملية اختطاف دبرت لها ولخالها ، وعاوده الشك ، ولم لا ؟ لماذا حلق ناجا سيتو ذقنه وشاربه ؟ لابد وأن وراء ذلك سرا ، ليته يستطيع أن يكشفه بدلا من تمني المرض لابنته .. خاصة وأن ما أظهره الكمبيوتر من معلومات عنه ، توقفت عند مغادرته لحضور مؤتمرا خارج اليابان ، وكان ذلك قبل وفاة ماي سيتو ، وهذا ما ذكره ناجا سيتو ، أنه عاد إلى اليابان من مؤتمر كان قد سافر إليه قبل وفاة ماي سيتو ، وعندما عاد .. كانت قد ماتت وحرقت .

وشغله هذا الأمر كثيرا ، إلا أنه آثر أن لا يشعر نرسنج به حتى لا يتخذه مبررا قويا لتأكيد أنها ليست ابنته ، وحتى ولو لم تكن ابنته فإن ديننا الحنيف ينهانا عن أن نتمنى الضرر لأي إنسان ، حتى ولو كان على غير ديننا .

وفي ثورة شكه هذه ، قاده غضبه إلى أن يقتحم غرفتها ويقلب في أشيائها ، ولابد وأنه عاثر على ما يمكن أن ينهي به هذه الحيرة وهذا الشك اللذين بلبلا أفكاره ، وضيعا عليه لذة التمتع بوجود ابنته إلى قربه ، لعن الله هذا الاكتشاف ، فإنه بقدر ما جمعه بها ، فقد ألقى بثقل الشك في نفسه .

وصعد السلالم قفزا ، حتى كأنه لم ينتبه لزوجته وهي تحاول تحيته بالطريقة التي تعودا عليها ، أو لعله هو الذي عودها عليها ، وتركته المسكينة وهي كسيفة الخاطر ، وقد كان لتصرفه هذا ما أثار حفيظتها ، فليس من عادته العودة من العمل إلا على موعد

الغداء ، لكنه حضر هذا اليوم مبكرا ، وهي تتمنى أن لا يكون قـد حـدث مكـروه ، لكنـه استدرك ، فعاد إليها مسرعا ، وتلقاها بذات اللهفة التي عودها عليـها ، وكأنمـا غـاب عنـها دهرا وليست سويعات قليلة ، فابتسمت ابتسامة رضـا ، وجذبتـه مـن يـده الـتي تعلقـت بها وكأنها لا تريد الفكاك منها ، وسار معها متحيرا بين أن يتبـع شـكه أينمـا أودى بـه ، أو أن يسايرها فيما تريد ، وحمد الله على انتشالها إياه مـن هـذا التـهور ، حيـث بـدأ يعيـد حساباته بعد أن خفت حدة غضبـه .

وقفت به في الحديقة أمام مجموعة من الشجيرات الصغيرة ، والتصقت بـه وهـي تقـول :

- " شفت حبيبتك عملت إيه .. ها هي النباتات التي عجز عباقرة الزراعة في استنباتها ، تمت على يدي من ليستا على دراية لا بالزراعة ولا يحزنون .."

وسألها متلهفا وهو يتعجب من كلمة ليستا هذه ، فهذا معناه أن هنـاك مـن شـاركها :

- " كيف تمكنت من ذلك ..؟ "

وبدلال الأنثى التي أرادت أن تشد زوجها إليها بالعلم الـذي يزيـد بـه عليـها ، داعبـت خصلات شعر مؤخرة رأسه ، فهذا منتهى مـا اسـتطاعت الوصـول إليـه لفـرط طولـه ، قـالت :

- " أنتم تقولون إن البروتين في هذه الأحجار ليس نباتيا ولكنـه حيوانيـا ، ومـا دام الأمـر كذلك ، وحيث إن الأزوت مهم للنبات ، وحيـث إنهـم يخلطـون الدمـاء في خلطـات الأسمدة لتزيدها أزوتا فقد أمرت زنوبه أن تحتفـظ بالدمـاء الناتجـة مـن ذبـح الدجـاج والأرانب لأضعها في هذه الأصص ، ولعل هذه هـي النتيجـة .."

احتضنها ووعدها بمكافأة تتناسب مع هذا العمل الهام ، ثم طلب منـها ألا تخـبر أحـدا بـه ، ولا حتى أخاه ، ثم استدرك وكأنما هـي مصادفـة :

● " ولا حتى أحدا من الخدم ، أو والدتي أو مني .. "

فساعدته في التذكـــر :

● " ولا حتى مايسه .."

فقال وكأن ما ذكرته به أمر ليس بـــذي بـــال :

● " ولا مايسه ، وطبعا خالها .. المهم أن لا يعرف أحـــد بهـــذا الأمـــر ســـوانا ، واســـتمري فيما تفعلينـــــه أنـــت وزنوبـــه دون تغيـــير ، فقـــط ضـــاعفي الجرعـــات كلمـــا كـــبر النبـــــــات .."

لكنها استوقفته عند ذكر زنوبه ، وقـــالت :

● " ألا تستحق هي الأخرى مكافأة ..؟"

فهز رأسه موافقا ، لكن دون أن تفهم أسباب ما تفعـــل ، ثم صعـــدا ســـويا ســـلالم الفيـــلا ، وعندما مرا أمام باب غرفة مايسه ، وبحركة تلقائية ، وكأن مـــا يفعلـــه أمـــر طبيعـــي ، طـــرق الباب طرقا خفيفا ، ثم فتحه بهدوء فقد ظنـــها خـــارج الغرفـــة ، وكـــاد أن يـــهم بـــالعبث في حاجياها ، لكنه تسمر في مكانه ، فقد وجدها وقـــد اتشـــحت بالحجـــاب ، وجلســـت علـــى سجادة الصلاة ، وأمامها كتاب الله تقرأه بتلاوة وترتيل ، كـــان لوقعـــه علـــى أذنـــه جمـــالا لا يضاهيه أي جمال ، وشعر بالخجل من نفسه ، بينما صدقت هـــي علـــى كـــلام الله ، ونظـــرت إليه وقد تعلقت عيناها به في براءة نسي معها كل ما قاله مستر نرســـنج ، وكـــل مـــا اعتمـــل في صدره من شك ، حتى كأنـــه لام نفســـه أن فـــاتح الطبيـــب صديقـــه في هـــذا الأمـــر ، فاحتضنها وطيب خاطرهـــا ، وادعـــى أنـــه سمـــع صـــوت تلاوقمـــا ، فظنـــها صـــادرة عـــن المذيــــاع ، وظن أها ليست بالغرفة ، وحـــاول أن يســـتأذن وينصـــرف .

لكنها استوقفته لتزف له خبر تحجبها ، وكاد الخبر يقفز بـــه في فـــراغ هـــذا العـــالم ســـعيدا بـــه ، فبدد كل شك يكون قد اعتمل في نفسه أو زرعه مـــا شـــاهده حيـــا علـــى شاشـــة الكمبيوتر ، هذه التصرفات لا يمكن أن تصدر إلا عـــن امـــرأة تمكـــن الإســـلام مـــن قلبـــها وعقلها ووجدانها ، ولا يمكن لامرأة مســـلمة أو رجـــل مســـلم ، أن يتســـببا في إرهـــاب أو اختطاف أو ترويع البشر ، أو أن يسعى في الأرض فسادا ، والإســـلام في أيامنـــا هـــذه وراثـــة قبل أن يكون اعتقادا ، " فمن يرد الله أن يهديه يشـــرح صـــدره للإســـلام ، ومـــن يـــرد أن يضله يجعل صدره ضيقـــا حرجـــا كأنمـــا يصعـــد في الســـماء " ومـــادامت قـــد هديـــت إلى الإســـلام ، فلابد وأن فطرتها سليمة ، ولابد وأن تكـــون ابنتـــه ، فمـــن المؤكـــد أن لعوامـــل الوراثة أثرها الواضح في ذلك ، وتذكر ، لقد كـــان كتـــاب الله أجمـــل هديـــة يمكـــن لحفـــدة المغول في روسيا البيضاء أثناء حكم السوفييت تقبلها ، ممـــا أثـــار عجـــب حكـــام الشـــيوعية الذين أرادوها إلحادا وإشراكا بالله ، إذ كيف لهؤلاء الأحفـــاد أن يتصلـــوا بديانـــة أجدادهـــم بعد أن قاموا بنزعهم من ذويهم وهم بعد رضـــع ، وتنشـــئتهم نشـــأة كلـــها شـــرك وكفـــر وإلحاد ؟ والأعجب أنهم كانوا يقيمون الشـــعائر الإســـلامية ، في المســـجد القـــديم المتـــهالك الذي بناه أجدادهم أيام احتلالهم لروسيا ، ويتركون المســـجد الجديـــد الـــذي أنشـــأته لهـــم حكومة الشرك ، ولعل حرب الشيشان ، وحرب البوســـنة والهرســـك ، وعمليـــات المطـــاردة اللاإنسانية التي يمارسها الغرب الصليبي ضد الإسلام طقوسا وعبادة وحـــتى أسمـــاء ، مـــا هـــي إلا ظواهر تثبت أن إيمان المسلم ، لا يزعزعه هجمة شرســـة مـــن حـــاكم مشـــرك ، أو حـــتى نشأة غير إسلامية لوليد أبواه مسلمان ، إنما قدرة الله ســـبحانه وتعـــالى ، " إنـــا نحـــن نزلنـــا الذكر وإنا له لحـــافظون " .

لا .. لا .. لا يمكن إلا أن تكون ابنته ، لكن الشك مـــن حســـن الفطـــن ، والتـــأكد شـــئ يفرضه حسن اليقين ، همت أن تزف له بشرى نباتات أحجار الســـبروتين ، لكنـــه بادرهـــا :

- " أتدرين أين كنت اليوم ..؟ عند أنكـــل نرســـنج ، إنهـــم يـــهدونك الســـلام ، ولكنـــهم تعجبوا من أن خالك قد تنازل عن ذقنه وشنبه ، ويتساءلون عـــن أســـباب ذلـــك ، وقـــد تفاكهوا بأنه ربما يفكر في الزواج ، فأراد أن يبدو أصغـــر ســـنا .."

وأخذ يلف ويدور حول هذا الموضوع ، وحاول أن يربط بين ذلك ، والحذر من أن يظنونه إرهابيا يتخفى تحت هذه الذقن ، كما يفعل أكثر إرهابيي هذا الزمان ، ليلصقوا الإرهاب بالإسلام لكنها ، أخذت تضحك بطفولة بريئة لا يمكن تصور الخبث أو المكر معها ، ثم قالت :

- " ستعجب يا والدي ، إن لذلك قصة ، رغم دمويتها إلا أنها تبدو طريفة .. "

واستمع لها باهتمام بالغ ، فقد أثارت انتباهه قبل فضوله ، بينما أكملت مايسه :

- " أتدري يا والدي أنك ربما كنت لن تراني أبدا .. لولا حياة الرياضة والدراسة والعمل التي أنشأني عليها خالي ، ولعلك لا تعرف أنني من بطلات رياضة المصارعة بجميع أنواعها ، الكاراتيه والكونفو وغيرها ، ولعل هذا ما أفادنا عندما تعرضنا لمجموعة من الغوغاء كانت تنوى قتلنا ، فقد استوقفوا سيارتنا أثناء ذهابنا إلى المطار ، وتبين أن السائق كان متفقا معهم ، وقاموا بتقيدنا أنا وخالي ، واصطحبونا إلى مكان منعزل ، لا أدري لماذا ؟ لكننا فوجئنا برجل يشبه خالي تماما ، وفتاة تشبهني تماما ، لكن كان من الواضح أنها تضع على عينيها عدسات ملونه حتى تبدوان في لون عيني ، وأرادوا أن نلقنهما كل شئ عن حياتي معك وحياتك في اليابان وما أعرفه عنك في مصر ، وتأكد لدى أن لديهم نية التخلص منا بعد أن يحصلا على كل المعلومات التي تمكنهم من تقديم شبيهينا إليك باعتبارنا نحن ، ولا أدري يا والدي ، كيف أعطاني الله القوة أن أفك وثاقي في هدوء ؟ وأن أتغلب عليهم رغم أن عددهم كان قرابة سبعة لكن ربما حرصهم على حياتنا حتى يتم الحصول على المعلومات التي يريدونها ، حال دون إطلاقهم النيران علينا ، أو استخدام أي سلاح .

- ومادامت المعركة بالأيدي ، فالغلبة كانت لي بمساعدة بسيطة من خالي ، لكنها فعالة ، فقد أمسك بقطعة من الحديد الثقيل ، استعملها بيديه المقيدتين في ضرب كل من يقترب منه على رأسه ، وقد ساعده في ذلك أنهم كانوا يقتربون منه وهم في حالة لا تسمح لهم بتلافي تلك الضربة ، فكان عددهم يتناقص واحدا وراء الآخر ، حتى

تم التخلص منهم جميعا ، فقمنا بقيد وتكميم الشبيهين ، وتركناهما على أنهما نحن ، ويقيننا أن الفتوات لن يبيحوا بسر ضربهم حتى الإغماء من فتاة تصغر أصغرهم بكثير ، وعجوز يزيد عمره عن ضعف عمر أكبرهم سنا ، وعلى الفور قام خالي بالتخلص من ذقنه وشنبه ، حتى بدا كأنه شخص آخر يصعب التعرف عليه ، أما أنا فقد غيرت من شكلي ، بوضع شعر مستعار تفننت في أن يكون شكله مقززا حتى أبدو كما الهيبز ، وهكذا كتب لنا الله الحضور إلى أرض الكنانة ، أرض الحب والسلام ، والالتقاء بأحلى وأجمل وأطيب وأكرم أهل ، وأعز وأغلى وأحب أب وجدة وعم .. وأختين وزوجة أب .. هذه هي الحكاية .. "

وتعجب أشد العجب ، هل هي تقرأ أفكاره ؟ أم أنها صدفة لم يتم لها الترتيب ، ولكنه لم ينس أن يدقق النظر في عينيها ، فقد أوحت له ربما عن قصد أو بدون قصد ، أن العينين الخضراوين ربما تكونان عدسات لاصقة ، وتذكر أن الكثير من العدسات اللاصقة تبدي حدقتا العينين أكثر اتساعا ، وأن من تستطيع الاختيار الجيد للعدسات ، تظهر الحدقات أكثر لمعانا ، وهو لم يكتشف هذا أو ذاك في حدقتي عينيها .

وبدا مستعدا لقبولها ابنة له ، فقليلات هن من يتمتعن بالعيون الخضر من بين بنات الشمس المشرقة ، ومايسه إحداهن ، وبدأ يرجع جميع إرهاصاته إلى هواجس لا أساس لها من الصحة ، لكنها فجأة نبهته إلى أنها ستزف له بشرى سوف تسعده كثيرا ، وانتبه لها بكل حواسه وهي تنسب لخالها زراعة مائة وعشرون أصيصا بأحجار البروتين ، وأنها كلها تبرعمت ، فعمد إلى إظهار سعادته بالخبر ، واحتضنها وقبلها ما وسعه له تقبيلها ، حتى يخفي عنها ما يعتلج في نفسه من شكوك أعادته إلى احتمالات أنها ليست ابنته ، ولكنه تعجب من نفسه ، كيف ينكرها ابنة ، ويحتضنها ويقبلها ؟ وتأكد من أنه لم يشعر في تقبيله لها بما يشعر به الرجال نحو أنثى غريبة عنهم ، شعر بدفء جسدها ، فهكذا هن اليابانيات ، ولكنه لم يشعر بهذا الدفء الذي يثير غرائز الرجال ، وعلى هذا فهي لا يمكن إلا أن تكون ابنته .

ودارت به الأرض .. لا يدري ماذا أصابه ؟ هل تركيزه الشديد في هذا الأمر هو السبب ؟ أم أنه أصابه مرض ، لعله السكري ، أو الضغط ، لابد وأن يعرض نفسه على طبيب ، وشعرت به وهو يترنح ويكاد يسقط ، فأسرعت تسانده حتى مددته على سريرها ، وأخذت تدلك قلبه وتقيس نبضه وتقوم بالإسعافات الأولية ، وما هي بعد الأولية ، حيث أخرجت من حقيبتها أجهزة قياس الضغط والسكر والكلسترول والدهون الثلاثية ، وأجهزة أخرى صغيرة وكثيرة لا يعرفها ، وأوصلتها بجهاز الكمبيوتر (النوت بوك) الخاص بها ، وإذا بالنتائج تظهر على شاشة الكمبيوتر ، وتقرير طبي كامل عن حالته ، أكثره كان يعرفه ويتعامل معه ، لكن الكمبيوتر أرشد إلى الخلل في أساليب التغذية ، وتركيبة الأطعمة التي يتناولها ، وحدد له أنواعا من الأطعمة لا يخرج عنها ، وبكميات معينة لا يزيد عليها ، ووصفات يومية للإفطار والغداء والعشاء ، وبعض الأعشاب والأدوية ، كانت مايسه تحتفظ معها بالكثير منها .

لم يملك إلا أن يشكرها ، وتقبلت شكره لها على مضض ، فالعلاقة بين الأب وابنته لا تكون شكرا على ما يقدمه أي منهما للآخر ، ثم لامته بدلال ، لكنها شعرت بأن شيئا ما يجول في خاطره ، ولم ترد أن تنهكه أكثر مما هو فيه ، فنادت على زوجته ، وقامتا سويا بنقله إلى سريره ، وأوصته بالراحة التامة ، فإن غالب الظن أن ما يعانيه هو ناتج عن إرهاق شديد لازمه بعض الانفعالات العصبية ، والعجيب في الأمر أن الطبيب الذي حضر نتيجة انزعاج صفيه لما حدث ، أكد على تشخيص مايسه لما أصابه ، وأوصاه بضرورة الخلود إلى الراحة لمدة من الزمن ، وتعجب من أن الأدوية والأعشاب التي أخرجتها من حقيبتها ، تتناسب تماما مع كان ينوي وصفه له من أدوية ، وناقشها فيما قامت به ، واستفسر منها عن الأجهزة التي استخدمتها ، ونظام الكمبيوتر الذي أظهر كل هذه النتائج والوصفات الطبية من أدوية والتوصية بالراحة ، والتشخيص العام للحالة ، وطلب منها أن تشتري له عددا من هذه الأجهزة ، ونسخة عن النظام الفريد الذي يمكن من التوصل إلى النتائج والتشخيص بهذه الدقة ، فوعدته بأنها ستهديه الأجهزة قبل سفرها ، وسوف تقوم بإدخال النظام إلى الكمبيوتر الخاص به ، في الوقت الذي يحدده بعد أن ينهض أبوها من هذه الوعكة الصحية ، لكنها اشترطت عليه عدم

الحصول على أتعاب نتيجة استخدامه لهذه الأجـــهزة في عـــلاج أي فقـــير ، فســـوف تعتبرهـــا صدقة جارية منها تخصص لأعمال الخـــير .

١٣- خطوبة

لم تكن من عادة الضابط علي الحضور إلى فيلا الخوجة في الصباح الباكر ، بل وزاد في ذلك اليوم أن تناول معهم طعام الإفطار ، ثم فاجأ الجميع وهم يحتسون شاي الصباح ، أنه يطلب يد الآنسة مايسه ، وتعجب مصطفى ، لقد ذكرت له مايسه أن الضابط علي ينظر لها بإعجاب يزيد عن حد القرابة ، ولم يعلق مصطفى في حينه سوى أن سألها رأيها ، لكنها لم تجب إجابة واضحة ، فلا هي وافقت ، ولا هي رفضت ، لكن الطلب الآن أصبح رسميا ، وعليها أن تقرر ، فمصطفي لا يمانع ، ذلك أن عليا من وجهة نظره ، تربية يده ، والده ابن عمه ، وكذلك والدته أيضا .

تركه والده وهو في الرابعة من عمره ، وذهب إلى جبهة القتال في حرب رمضان حيث استشهد ، وتولاه مصطفى بعد أن عاد من اليابان لأنه كبير عائلة الخوجة ، وما تزال مسئوليته عنهم قائمة هو ووالدته وأختيه .

ولقد كانت والدته مرشحة للزواج من مصطفى قبل بنت القرنفلي ، لكنها استبعدت الفكرة لعدة أسباب ، أهمها أن زواج الأقارب قد يسفر عنه انشقاق عائلي نتيجة أي خلاف بين الزوجين ، وهي تريد للعائلة الترابط ، أو لنقل إنها لم تكن من نصيبه ، ولو أن ما حدث للعائلة بعد زواجه من ابنة القرنفلي ، جعلها تندم أنها لم توافق على هذه الزيجة ، فهي أولا وأخيرا بنت العائلة ، وبالقطع ستكون حريصة على مصالح زوجها ، أو على الأقل لن تتركه وترحل بمجرد أن تضيق به سبل الحياة .

وبعد أن طلق ابنة القرنفلي ، لم يكن هناك مجال لزواجه منها ، فقد كبر أولادها ، وكذلك ابنتا مصطفى ، ولا يريد أن يكون هناك أولاد لا يشعرون بانتمائهم للبيت الذي يعيشون فيه ، ولا يريد كلمة أولادي وبناتك تنطلق في الفيلا ، حتى أنه عنف ابنتيه مريم ومها بشدة ، عندما زرعت والدهما في روعهما أن شريفا ليس أخاهما ، حتى قضى على هذه النغمة كليا ، كما أنه هدد والدهما بعدم ذكر ذلك الأمر مرة أخرى ، وإلا فلن

يسمح لها برؤيتهما ، وامتثلت للأمـــر ، فقـــد لاحظـــت في توعـــده كـــل الحـــزم . ســـــألها مباشـــــــرة :

● " ما رأيك .. موافقتي مرتبطة تماما بموافقتك ..؟"

لم يظهر عليها الارتباك ، هل لأن التربية التحررية في الدول الأجنبيـــة ومـــن بينـــها اليابـــان ، تنظر إلى مسألة الزواج على أنهـــا أمـــر شـــخصي محـــض ، لا دخـــل لأحـــد فيـــها ســـوى العروســـين ؟ قالت بثبـــات :

● " أليس من حقي مهلة للتفكير ..؟"

فنظر مصطفى إلى علي ، الذي قـــال :

● " طبعا .. طبعا .. ولو أنني كنت أتمنى أن أحصـــل علـــى رد فـــوري ، فقـــد حـــاولت أن أنقل إليك مشاعري كلما ســـنحت الظـــروف .."

قالت بذكـــاء :

● " أليس لأسرة أمي رأي في الموضـــوع ؟ ألا أســـتطلع رأى خـــالي كـــأهم أعضـــاء أســـرة والدتي ؟ ألا أرتب لأمر دراستي للماجســـتير .. ؟ هنـــاك أمـــور كثـــيرة تحتـــاج لدراســـة وتفكير ، أهمها أين ستكون حياتنا ، هنا أم في اليابان ؟ ومـــــاذا ســـتفعل مـــع عملـــك ؟ هل لديك استعداد للتخلي عنه أم أنك مرتبط به حـــتى ولـــو كـــان ســـيبعدك عـــني .. ؟ أقصد إذا حـــدث .."

قال مصطفى بهدوء ، وقد شعر بمقدار ما تتمتع به من ذكاء وكياســـة وتخطيـــط ســـليم :

● " أظنها على حق يا حضرة الضابط ، اترك لها اليوم لتتنـــاقش في هـــذا الأمـــر معنـــا ومـــع خالها ، وتكون أنت قد اتخذت قرارا ، هل ستبقي في الشـــرطة ، أم تســـعد ببقـــائك معـــها أينما وضعتكمـــا الأقـــدار .."

جلست مايسه إلى جوار خالها تترجم له ما حـــدث ، وكـــاد يثـــور الرجـــل عليـــها ، لـــولا كياستها في تهدئة الأمور ، وشــــرحها لجميـــع الجوانـــب ، ثم اصطحبتـــه إلى غرفتـــه وأغلقـــا البـــــاب .

أشار " علي " لمصطفى أن يصطحبه إلى الحديقة ، بدعوى أنـــه يريـــد أن يـــرى فيـــلا عمـــه سعيد ، وعندما هم سعيد باصطحابهما ، أشار لـــه " علـــي " بمـــا يفيـــد رغبتـــه في حديـــث خاص مع عمه مصطفـــى ، فتعلل سعيد بأن لديـــه بعـــض الأعمـــال الهامـــة الـــتي يريـــد أن ينهيها قبل حضور مـــنى .

تعجب مصطفى من أن " عليا " وبصمت مطبـــق أخـــذ يتحســـس جيوبـــه ، وكأنمـــا هـــو يحتضنه ، وعندما لم يجد أي شئ يثير شكوكه سأله هامسا عما يكون قـــد تلقـــاه كهديـــة مـــن مايسه أو خالها ، فذكر مصطفى سلسلة المفاتيح ، فشــــرح لـــه طريقـــة اكتشـــاف وفـــك أي جهاز إرسال تعطيه له ، ونصحه بأنه إذا اكتشف وجـــود أيـــة أجـــهزة فـــلا داعـــي لإلغـــاء وجودها ، وفي حالة رغبته في إجــــراء محادثـــات لا يريـــد أن يســـمعها أحـــد ، فـــالأفضل أن يكون ذلك من مكان بعيد عن تلك الأجهزة ، تعجب مصطفـــى مـــن أن كلامـــه معـــه كـــان همسا ، ثم سأله إن كانت غرفة خال مايسه تطل على الحديقة ، وعندمـــا أكـــد لـــه مصطفـــى أنها تطل على الفناء الخلفي ، بدأ معه مشوارا طويلا أصاب مصطفـــى بطعنـــة جديـــدة كـــانت في مقتـــلي :

- " ماذا تقول ؟ هل حدث اتفاق بينكم ؟ أنت تقول إنها ليســـت ابنـــتي ، ونرســـنج يقـــول نفس الشيء ، وإحساسي يخبرني بعكس ذلـــك تمامـــا .."

فسأله علي عمن هو نرسنج وماذا قال ، فأطلعه مصطفى على كل شـــئ ، فـــأكد علـــي علـــى ما زرعه نرسنج من شك حولها هي وخالها ، وزاده من الشـــعر بيتـــا :

- " تعلم أن الحكومة تتخذ إجراءات متعـــددة للتحقـــق مـــن شـــخصية القـــادمين إلى مصر ، منذ أن بدأت حالات الإرهـــاب المتخفـــي وراء ســـتار الديـــن ، لذلـــك فقـــد تم

تركيب أجهزة كمبيوتر لمضاهاة البصمات ، وعندما قدم طلب تجديد جواز سفرها ، صممت السفارة على حضورها ، وقام المسئولون بالسفارة بالحصول على بصماتها دون أن تشعر ، وعند مضاهاتها تبين أنها تخص إحدى المصريات التي قدمت إلى اليابان بعد أن غادرت القاهرة منذ أيام ، ذلك أنه تبين لنا أن ملاءتها المالية لا تمكنها من السفر إلى أي بلد ، حتى ولو كانت محافظة أخرى من محافظات مصر ، وبقدر حرصنا على ألا يدخل الإرهاب إلى بلدنا ، فإننا نحرص أيضا على ألا نصدر الإرهاب إلى الخارج ، وبالنظر إلى الشك الذي انتابنا ، فقد قمنا بإرسال بصماتها للسفارة المصرية هناك لمتابعة نشاطها ، فأنت تعلم أنه بقدر اهتمامنا بألا يزعج الآخرون أمننا ، فإننا نهتم بألا نزعج أمن الآخرين ، كما أنه مما أكد شكوكنا ، أن التي سافرت من مصر تقدمت لاستخراج جواز سفر باسم مايسه ، وقد وصلتنا هذه المعلومات من السفارة المصرية في اليابان ، وعلى هذا ، تم وضعها هي وخالها تحت المراقبة الشديدة منا منذ أن وصلا .

- وبمراجعة ملفها تبين أن السلطات اليابانية طلبت منا بيانات عنها عندما تقدمت للحصول على تأشيرة دخول اليابان ، ذلك أن المؤسسة التي أرسلت لها التأشيرة ليست محل ثقة ، وكان لابد لنا من متابعة نشاطها باليابان بالاتفاق مع الأجهزة اليابانية المختصة ، وعندما حضرت إلى القاهرة مع من تدعي أنه خالها ، تولت المخابرات اليابانية أمر متابعتهما هنا بالتنسيق معنا ، حرصا منها على التعرف على أهدافهما ، لذلك فقد أصبح الأمر عندنا يقينا ، إذ أنه منذ حادث تسريب الغاز في أنفاق مترو طوكيو ، ونحن نضع كل ياباني يحضر إلى مصر وكذلك كل مصري يسافر إلى اليابان تحت أبصارنا ، ولقد اكتشفنا أن هناك جماعة تتولى توجيههما ، وتنقل لهما كل شئ عنكم ، كما أننا اكتشفنا أن تليفوناتكم جميعها . "

وتدارك مصطفى سريعا ، أن هذا هو السبب الذي جعلها تبدو له قارئة للقرآن عندما داهم غرفتها ، لا بد وأنها سمعت ما دار بينه وبين نرسنج ، وبدأ يصب على نفسه اللوم لغبائه وعدم تمكنه من التعرف على ابنته ، لكنه تذكر كلمات ناجا سيتو ، عندما قال له إنه كان يظن أن مصطفى سيستطيع التعرف على ابنته بتلقائية الأب ، وذكر له المثل

المصري الذي يقول إن الدم يحن ، وبدا رافضا لفكرة أن مايسه ليست ابنته ، إن قراءتها للقرآن كانت بخشوع من تخشى الله ، وليست قراءة من تمثل دور الابنة الورعة .

وشرح له علي السبب الذي جعله يعلن على الملأ طلبه الزواج منها ، وذلك حتى يتمكن من التردد على الفيلا كثيرا دون أن يثير الشك أو الريبة ، ولعلها الآن تحاول الاتصال بهم لتأخذ الأمر بالموافقة أو الرفض على خطوبته ، وما اختلاتها بخالها إلا حجة لعمل هذه الاتصالات ، لكن أجهزة الأمن هنا وفي اليابان ترصد كل شئ .

قال خالها بصوت عال وبانفعال واضح ، تمكن مصطفى من أن يلتقطه رغم بعده عنهم بأمتار ، فقد استحوذ الأمر على اهتمامه ، وعن له أن يسترق السمع رغم أنها ليست عادته ، كان في إمكانه أن يكلف أحدا غيره ، سعيدا مثلا ، لكنه كان على يقين من أن التخاطب بينهما سيكون باليابانية :

- " هل توافقين على زواجك من مصري بينما مستقبلك كله في اليابان ، وحتى لو كان ممكنا أن تجمعين بين الزواج من مصري والعمل في اليابان ، فهل يستطيع الضابط أن يترك بلده إلى اليابان وقتما يشاء .. أعتقد أن دراسة الماجستير والدكتوراه أهم كثيرا من الزواج ، في الوقت الحالي على الأقل .. أم تظنين أنه يمكنك الحصول على الدكتوراه من الجامعات المصرية ، بالتخلف الرهيب في الأجهزة والمعدات ، وربما في معلومات المحاضرين ، يكفي ما يصلنا من أخبار عن القيود الغبية التي يفرضونها على كل شئ ، وقد لا يعترفون بالماجستير وربما البكالوريوس أيضا ، وبالقطع لحظتها سوف يتطاولون على أسلوب التعليم باليابان ، وأول اعتراض سيوجهونه لك هو كيف لفتاة العشرين أن تحصل على الماجستير ؟ بمعنى أنه إذا كان الالتحاق بالجامعة لا يتم إلا باستكمال إحدى عشر عاما دراسية ، والعمر للالتحاق بالمرحلة الابتدائية لا يقل عن ست سنوات ، يعني سبعة عشر عاما للثانوية العامة فقط ، فهل سنتان أو ثلاث كافية للبكالوريوس والماجستير ؟ سيرفض طلبك ، وربما ستفقدين مؤهلاتك ، وربما سيتوجب عليك التقدم لدخول مرحلة الحضانة من جديد .. "

كان واضحا أن خلافا نشأ بين مايسه وخالها ، وما هكذا يكــون الأمــر لــو أن هنــاك مــن يصدر لهما الأوامر ، أو لعل الأوامـــر أن يظــهرا أن بينــهما خــلاف ، حــتى يبــدو الأمــر مقبــولا ، لكن الخلاف الواضح أمامه معقول جدا ومقبول ، وتعجــب كيــف لخالهــا بكــل هذه المعلومات عن سنوات الدراسة وأسلوب التفكير والتعــامل مــع الطلبــة ؟

لكنها أصرت على موقفها ، ووافقت على الخطوبة ، ولكـــن بشــروط ، أهمــها أن يــترك علي العمل بالشــرطة .

لقد وضحت الرؤية ، إنهما يضعان شرطا لا يمكنــه قبولــه ، وهكــذا يتخلصــان منــه دون إثارة الشكوك ، لكن عليا وافق ، وجلس يكتب اســتقالته مــن الشــرطة بســعادة عارمــة ، وهو ينظر إلى مصطفى ، رئيـــس عملــه بعــد الاســتقالة ، وإلا .. فــأين يعمــل ؟ ووافــق مصطفى على الخطوبة ، وعلى إلحاقــه بــالعمل في شــركته ، في مصــر وفي اليابــان ، بــل وزاد ، بأنه لا بد له من السفر إلى اليابان ليشــرف علــى العمــل هنــاك حــتى ســفر ناجــا ســـــيتو .

سارت الأمور على ما يرام ، تمت الموافقة علـــى الاســتقالة ، وتفــرغ " علــي " للســت مايسه وخالهــا ، لكن العجيب أنه لم تحدث اتصالات بأحد ، فــلا بــد مــن وجــود وســيلة أخرى يتبعالها في التراسل مع الآخرين ، وتذكر مصطفى أن مايســه كــانت تتصــل بالشــركة عن طريق الإنترنت ، ولابد وأنها هي الوسيلة التي اتبعتــــها في أخــذ الأوامــر ، لكــن حــتى الإنترنت لابد لها من استعمال خطوط الهاتف ، وخطوط الهـــاتف لم تســجل أيــة اتصــالات ، لعلهما يتصلان عن طريق الأقمار الصناعية ، لكن هذه تحتاج إلى " طبق "ربمــا هنــاك مــا هــو أحدث ، ما دام الشك قد تسرب إلى نفسه ، فلن يستطع الفكاك منـــه ســوى بــاليقين .

قال له بحــدة :

" يا علي ما دمتم تربطون بين مايسه والفتاة المصريـــة الـــتي ســافرت إلى اليابــان ، ولديكــم بصماتها ، فلتحصل على بصمات مايسه وتضاهيها ببصمات الفتـــاة المصريــة ، فــإن تطابقتــا

نقطع الشك باليقين ، ويتعين علينا أن نبحث عن ابنـــــتي ، فقــد تكــون في خطــر ، أو ربمــا يكون قد قتلها الجنـــــــاء .. "

وتراخى علي ، وقد بدت عليه إمارات الارتباك ، وتلجلـــج وهـــو يقـــول :

- " لا أدري ماذا أقول .. لكننا قمنا بذلك فعلا ، وجاءت النتيجة اليوم .."

واستحثه مصطفى أن يفصح ، فقال بشـــيء مـــن اليـــأس ، أن البصمـــات غـــير متطابقـــة ، وربما هذا مـــا جعلهم ينتظرون لعمل المزيد من الأبحـــاث ، وأخـــذ المزيـــد مـــن البصمـــات ، لكنها كلها تؤكد عدم التطابق ، حتى أنه تعمد دعوقمـــا بـــالأمس إلى أحـــد المطـــاعم ، وقـــدم لها شرابا في كأس رش من الخارج بمادة تزيل ما قد يوضع لتمويـــه البصمـــات ، لكـــن النتـــائج كلها كانت تؤكد أن البصمـــات غـــير متطابقـــة ، وليـــس أمامـــهم في الوقـــت الراهـــن إلا التصديق بأنهما مختلفتان ، لكن هذا لا يمنع من احتمـــال دس فتـــاة أخـــرى .

وانفجر مصطفى صارخا وهو يقـــول :

- " دعوني لابنتي ، ولا داعي لهذه الشكوك التي تثيرونها حولها ."

وتركه وانطلق إليها يبثها حنانه وعطفه ، لكنها تفحصتـــــه وكأنهـــا تـــراه للمـــرة الأولى ، ثم قامت بتحسس بعض جسده ، ولما كان قد عقد العزم علـــــى أن يواجهـــها بشـــكوكه ، قـــال لهـــــا :

- " هل تتحققين من أن ميداليتك ليست معي ..؟"

فبادرته قائلـــة :

- " لا تظنني سعيدة بما يحدث ، أنتم تشكون فينا .. ولكم كـــل الحـــق ، فـــإن الصـــور التي عرضها عليك مستر نرسنج حقيقية ، وإذا كنـــت ترغـــب في أن تـــرى أثـــر لســـعة الفرن وأنا في الرابعة ، فلك هذا أو لماما صفيـــــه إن كنـــت تتحفـــظ في الإطـــلاع علـــى

جسد ابنتك ، فإن أثرها ما زال باقيـا وقد صدق الطبيب عندمـا أخـبرك بأنها قـد لا تكون في نفس المكان ، فقد تحركت فعلا إلى أسفل الفخـذ ، ولـو أنـني لم أكـن أذكـر هذه الواقعة لولا مكالمتك للطبيب ، مما جعلني أدقق في مكانها ، وقـد صعقـت عندمـا لم أجدها ، ولكنها كانت قد تحركـت مـع طـول قـامتي ، وبـالرجوع إلى الكمبيوتـر الذي حدد لي بالضبط مكانها ، وجدتها ، وإن كنت تريد أن تتحقـق أكـثر ، فأنـا علـى استعداد لأي فحص مخبري ، حتى ولو كـان للحـامض الأميـني ، أو للكروموزومـات أو ما يسمونه البصمة الوراثيـة .."

وبكت وهي تحتضنه بقـوة :

- " أنا ابنتك يا أبي .. لماذا لا تصدق ، ولا تلقي للشـك الـذي يقلقـك بـالا ، لقـد قالها خالي لك في أول لقاء ، إنه كان عليـك أن تشـعر بي دون إفصـاح ، وأن الـدم يحن ، قالها لكي تكون على يقين من مشاعرك ، لأن هنـاك أمـورا لا أسـتطيع أن أقولهـا لك .. الآن على الأقل ، وأرجوك أن يكف الضابط علـي عـن متابعـة تحرياتـه ، فـإن ذلك في غير مصلحتي ومصلحتـك .."

واحتد عليها صارخـا :

- " إذا قولي لي الحقيقة وأريحيني .."

استغرقت برهة قبل أن تنطق ، ربما كانت تعد نفسها لأن تلقي بكـل مـا في جعبتـها مـن معلومات تؤكد بها صدق حديثها ، وربما لأنها بدأت في إعـداد مـا يجـب أن يقـال فقـط ، لكنها فضلت أن تنشط غريزة الأبوة فيـه فسـألته :

- " أولا وقبل كل شيء ، هل تشك في أنني ابنتك ؟"

ولم يستطع إجابتها ، فكيف له أن يجيب بما هو شك يملأ كيانــه ، فــأطرق برأســه نــاظرا إلى الأرض ، فلم تمهله للرد ، فهي تعلم أن السؤال في غير مكانــه ، إذ كيــف يجيــب علــى مــا يشك فيه ؟ فاستطـــــــردت :

- " لقد أوضحت لك بأن الفتاة التي كانوا ينوون دســـها ، تضــع عدســات ملونــة ، وأنا متأكدة من أنك أخذت تمعن النظر في مقلتي لكي تتحقـــق ممــا إذا كــانت بعدســات أو بدونها ، فهل تراني كذلك ؟ ثم إنـــك لا تصـــدق أنــني اســتطعت التغلــب عليــهم بمفردي ، وبمساعدة بسيطة من خالي ولكنها فعالة ، أنــا علــى اســتعداد لــنزال عشــرة من أشد الرجال ، وسأصرعهم بإذن الله ، فهل في مصر فتاة تســـتطيع أن تفعــل ذلــك ؟ أرجوك يا أبي لا تطفئ تلك الفرحة التي نحياها ســويا ســعداء بلقائنــا .. "

فحدق في عينيها مليا ، وقال وهو يضغط علـــى كلمــة :

- " أريد أن أعرف الأمر برمته .."

وشعرت برهبة لا تدري مصدرها ، لكنها كانت أمام حقيقة واحـــدة ، وهــي إمــا أن تخــبره بكل شئ في حدود المسموح به أمنيا ، أو تفقـــده إلى الأبــد :

- " شركتنا في اليابان كانت تغطي مصروفاتها وتحقـــق أرباحــها مــن عمليــات كلــها حكومية ، وفجــأة وجدنا الطلبات تنهال عليها بداية مــــن ظــهر ذلــك اليــوم الــذي أعلن فيه عن كشفكم لأشجار البروتين ، وبــــالملايين ، والعجيــب أن الطلبــات كــانت تتطابق مع ما لدينا من مخزون قارب على التقادم ، يعــني فرصــة لنــا أن نبيــع المخــزون بالملايين ، ولم نكن قد سمعنا عن الكشف بعد ، حيث إن وقت الظــهر عندنــا هــو وقــت الليل عندكم ، وفي وقت الظهر أنا وخالي لدينا من الأعمـــال مــا لا يــترك لنــا وقتــا لمتابعة أحداث العالم ، هو في أبحاثه ودراساته وأعماله وإشــرافه علــى الشــركة ، وأنــا في دراستي وعملي بالشركة ومشاركة خالي في أبحاثه ، وفي الرياضة الـــتي أعتبرهــا مهمــة ، ثم حضر من يخبرنا بأمر الاكتشاف ومادام المكتشفان هما أبي وعمـــي ، فــهو يعتقــد أنــه

يجب أن أكون معكما في هذه الفرحة ، فتساءلت عن جـــواز ســفري ، لكنــه ســهل لي الأمر ، وتعهد بتجديده ، لم أكن أعــرف كيــف ؟ وفوجئــت بأنــه يحــدد لي مكانــه في البيت ، وكأنما هو يعرف كل شئ عنا ، وأحضرت له الجواز القـــديم فـأخذه مــني مــع الصور ، وفي الصباح الباكر طلب مني الذهــاب معــه إلى الســفارة المصريــة ، لم أكــن أدري لماذا ؟ وحدد موعدنا معه للسفر صباح اليوم التـــالي ، وتعــهد هــو بــأمر حجــز التذاكر ، وتدبير أماكن بالطـــائرة .

- وتسلمت جواز السفر الجديد ، ولكني لاحظت أن الصـــورة بــه ليســت صــورتي ، ولكنها صورة من تشبهني ، وبدأت أشعر بعدم الارتيـــاح ، وهممــت أن أعلــق ، لكــن خالي سارع بإغلاق فمي ، وكتب لي عبارات فهمت منها أن هنـــاك شــيئا مــا يحــدث ، ويخشى أن تكون تحركاتنا مراقبــة ، وربما كلامنا أيضا ، وتحقــق ظنــه ، فمــا إن انحنــت بنا السيارة عند أحد المنحنيات ، حتى فوجئنا بالســـائق يوقــف الســيارة بحجــة أن بهــا عطل ، لنفاجأ بمجموعة من البلطجية المحترفين وقد هجمـــوا علينــا ، وقيدونــا ، واتجــه السائق بالسيارة إلى مكان غير معلوم ، حيث فوجئت بشـــبيهتي وشــبيه خــالي يدخــلان علينا ، وأيقنت أن هناك لعبة للتبديل ، ربما كانت فيـــها نهايتنــا ، فتمكنــت مــن فــك قيودي ، ودخلت معهم في نزال وفقني الله في التغلب عليهم ، وقيـــدت شــبيهتي وشــبيه خالي ، وحلق خالي ذقنه حتى يظـــن متابعونــا أننــا مــن دســوهما مكانينــا ، ووضعنــا النظارات على أعيننا زيادة في التخفـــي ، وموضـــوع الجيـــز والهيـــبز الــذي ســبق أن أخبرتك به ، وفعلا نجحت الحيلــــة .

- ونحن في الطائرة تقدم منا أحدهم ، وشـــرح لنــا المهمــة كاملــة ، وأعطانــا بعــض أجهزة التنصت وكان لابـــد لي مــن وضعــها في الأمــاكن الــتي حددوهــا ، حــتى لا ينكشف أمرنا ، لكن المهم أنه لم يكن يصلهم إلا مـــا أريــد أنــا أن يصلــهم ، فالجـــهاز الأول مركب على آلة تسجيل المكالمات ، وهـــي علــى الخــط الــذي خصــص لتلقــي مكالمات زبائن عمي سعيد ، أما الخط الخاص بالمكالمات العائليـــة ، فإنــه خــال مــن أيــة أجهزة ، والميدالية التي أهديتها لك ، غالبا أنت لا تحملــها إلا أثنــاء قيــادتك للســيارة ، والحديث لم يكن إلا حديث ذكريات ، هم يعرفون مـــا هــو أكــثر منــها ، ومــا يــدور

داخل الشركة هم يعرفونه بالتفصيل ، من قبل حضورنا ، وما تم نقله من أحاديثك مع مستر نرسنج ، فهم أيضا يتنصتون على منزله ومكتبه ، فلا يوجد جديد .."

وازدادت حيرته ، فتساءل بحسرة :

- " لكن لماذا كل هذا ..؟"

أعطته جواز سفرها ليتأكد من أن الصورة التي به ليست صورتها ، وإنما صورة شبيهتها ، وأجابته بكل هدوء :

- " صدقني يا أبي إن هذا ما أحاول معرفته بأية طريقة ، لكن لن يكون ذلك بتحريات الضابط علي ولا شكك في ، ولا شكي فيهم ، فلو أنهم عرفوا أنني ابنتك فعلا ، لانقلبت الدنيا على رأسي ، وربما على رؤوسنا جميعا ، ولذلك فقد حاولت منذ البداية أن أثبت لك أنني ابنتك ، بالماس شاء الله التي أهدتها لي جدتي في عيد ميلادي ، والتي أحتفظ فيها بصورة زفافك مع أمي ، وكذلك صورة جدتي ، كما أنني أحضرت لك عصويك اللتين كنت تتناول بهما طعامك في اليابان ، وأنا على يقين من أنك ستتعرف عليهما جيدا ، فاسمك منحوت عليهما باللغة اليابانية ، وكذلك ما تشكك فيه من أنها اللغة الهيروغلوفية (المصرية القديمة) وشكلهما مميز ، فقد آثرت أن يجمع النقش عليهما بين الثقافتين اليابانية والمصرية ، فالأشكال مصرية بأسلوب ياباني ، والكلمات يابانية بمفهوم عربي ، ومن غير ابنتك تعرف كل هذه الأمور ..؟"

لم يلق بالا لما تقول ، فقد ركز كل فكره وأعصابه وهو يتفحص الصورة بجواز سفرها ، وكلما عن له شكه أن يلقي بظله على ما يراه واضحا أمامه ، يطرحه بعيدا ويستبدله باليقين الذي ترسخ لديه من الاختلاف الواضح بينها وبين الصورة ، حتى كأنه سبهم في أذواقهم ، أين هي بجمالها الفتان ، وأخلاقها التي تظهرها براءة وجهها ، من هذه الشبيهة ، التي كان في إمكانه اكتشافها بسهولة ، احتضنها وهو يردد :

- " وهذا ما يقلقني يا حبيبتي ، إنني أخـاف عليـك ، ليتـك كنـت أطلعتينـي علـى الأمر منذ البداية ، لكنت جنبتيني كل هذه الشـكوك الـتي عصفـت بي ، وأخشـى أن تكون قد سببت لي بعض الأمـراض .."

واعتصرته بشدة وهي تهمس بالدعاء له بالشفاء وبعـد الأمـراض والشـرور كلـها عنـه ، وأكملـت :

- " ما كنت أستطيع ، ظننت أن ما أخبرتك به مـن معلومـات مختزنـة عـن حيـاتي معك هنا وفي اليابان ، وكلمات خالي على الأخص ، كفيلـين بإقناعك أنـني ابنتـك ، حتى لا تصدق إلا قلبـك ، مهما بلغك من تشـكيك في نسـبي لـك .."

احتضنها بقوة ، وبثها من الحب والعطف ما يزيل عنـها كآبـة هـذه الشـكوك ، وسـألها إن كان هذا الشك قد وصلهم ، وكان الرد بالإيجاب ، وجلسا يفكـران في هـذا الأمـر .

١٤- سفر ناجا سيتو

استعد الدكتور ناجا سيتو للسفر إلى اليابان ، وحاول مصطفى معه التأجيل ، لكنه أوضح أمورا كثيرة تستوجب سفره ، ولما علم أن سيارة السفارة اليابانية سوف تقوم بتوصيله إلى المطار ، أعطاه كيسا من أحجار البروتين ، وأوصاه بالاحتفاظ بها لحين حضوره ، وخير مايسه بين أن تسافر مع خالها ، أو تنتظر حتى يسافران سويا ، رغم أن سفره ربما يتأخر بسبب حمل صفيه ، لكنها فضلت انتظاره ، وأخبرته بأنها استعدت لمثل هذا الطارئ ، فقد أحضرت معها الكتب والمذكرات ، وقد طلبت من خالها الاتصال بالجامعة باليابان لتسمية أحد الأساتذة ليكون مشرفا على الدراسة خلال وجودها بالقاهرة .

تعجب مصطفى من همة ابنته ، فقد استأذنت عمها سعيدا في استعارة مكتبه ، ورتبت كتبها ومذكراتها عليه ، وأخرجت كمبيوترها " النوت بوك " الخاص بها ، وبدأت في الدراسة ، لكنها توقفت لتسأل أبيها ، أن يشركها بنظام الإنترنت ، حتى تكون على اتصال دائم بالأستاذ المشرف على رسالتها بالجامعة في اليابان ، ولما لاحظت اهتمام أبيها " بالنوت بوك " بدأت تشرح له كيفية تشغيله ، وكيفية تشغيل البرامج عليه ، واقترحت عليه أن يتم استيراد بعض الأجهزة من شركتهما باليابان وسوف تقوم بتصميم نظم المحاسبة الخاصة بالشركة ، وتتولى تدريبه على استخدامها ، حتى يكون على اتصال دائم بأعماله إذا سافر إلى أي مكان ، وذكرته بأن خطيبها " الضابط علي " سوف يكون خير من يتولى الأمور بعد استقالته من الشرطة .

وتساءل مصطفى مع نفسه ، هل هي تحب الضابط علي ؟ أم أنها تريد أن تتأكد ، إذا كانت استقالته التي ادعى أنها قبلت حقيقية أم لعبة ذكية من البوليس المصري ، هل مازالت تلعب معه ، أم أنها صادقة ؟ هل هي ابنته أم لا ؟.

راودته فكرة مجنونة ، لكنه رأى أن يسايرها ، مادام الذكاء هو ملعبها المفضل ، فليختر هو الهدف ، والشاطر الذي يستطيع الإصابة أولا ، سألها :

- " كيف يمكن الاشتراك بالإنترنت ..؟"

ولم تجب ، قامت مـــن فورهـــا ، وأدارت قـــرص التليفـــون ، وتحدثـــت قليـــلا ، ثم أملـــت رقمـــا ، وأنهت المكالمة ، ثم قامت بتوصيل " النوت بـــوك " بمقبـــس الهـــاتف ، ومـــا هـــي إلا دقائق حتى وجدها تخاطب خالها الذي سافر منذ لحظـــات ، أو لعلـــه لم يصـــل بعـــد منزلـــه ، وطلبت منه كذلك إرســـال مجموعة من الأجهزة والبرامج ، بنفـــس الطريقـــة الـــتي أرســـلت بها هدية عمها سعيد . وتعجب ، لكن قلقـــه ازداد ، هـــل يســـتطيع مجاراة الذكـــاء العلمـــي الذي تطور كثيرا ليس فقط في اليابان ولكن في العـــالم كلـــه ؟ لقـــد تبـــين لـــه أنـــه فطـــري التفكـــير ، فطري الذكاء ، ذلك أن ذكاءهم هذا من نوع آخر ، لم يشـــأ أن يجـــهد ذهنـــه فيما هو أكبر مـــن قدراتـــه ، ربـــت علـــى كتفـــها ، وأراد أن يتجـــه إلى الخـــارج ، لكنـــها استوقفتـــــه :

- " أرجوك يا أبي ، أن تضع لي مبلغا في حســـابي بـــالبنك الـــدولي .."

ولم تنتظر موافقته ، فهي تعلم جيدا أنه سوف يوافق ، كتبت رقـــم الحســـاب وســـلمته لـــه ، إنه يتقارب مع الرقم الذي أملته في الهاتف ، وقرر أن يفتـــح هـــو الآخـــر حســـابا في البنـــك الدولي ، لعله يعرف سحر هذا الحساب ، الذي بموجبه يتـــم عمـــل كـــل شـــئ مـــن خـــلال الهاتف ، وحمد الله أنه أعطى كيس أحجار البروتين لمن تدعي أنـــه خالهـــا ، أو لعلـــه كذلـــك ، فإن كان الهدف هو الاكتشاف ، فقد يلهيهم ذلك عـــن الملاحقـــة ، ســـواء لـــه أو لهـــا ، وإن كان الذي كان معها ليس خالها ، فقد خلصـــــهم منـــه بســـفره ، وإن كـــانت هـــي ابنتـــه ، فسوف تثبت الأيام القادمة الصدق مـــن الكـــذب . هبـــط إلى الطـــابق الأرضـــي ، فوجـــد الضابط علي في انتظاره ، أسرع إليه وكأنما هو المنقذ الـــذي ســـيخلصه مـــن هـــذا الشـــك ، وبادره بالسؤال عن أي جديد في الموضـــوع ، ربمـــا نســـي حـــق تحيتـــه ، وأجـــــاب علـــي بهدوء حتى يعكسه عليـــه :

- " قد لا تصدق .. لكن الحقيقة أن الموجودة لديك في بيتـــك الآن هـــي ابنتـــك .. "

وقبل أن يكمل احتضنه ، وانهال عليه يقبله ، لم يفكر حتى في سؤاله عن كيفية الوصول إلى هذه القناعة ، هو يحبها منذ أن رآها ، واقتنع بها ابنة له بدون منازع ، لولا ذلك الشك الذي زرعه فيه نرسنج ثم أيده البوليس المصري . وبعد أن هدأت نفسه من كم المشاعر التي كان يخفيها وكم الشكوك التي ساورته ، قال علي .

- " لم تسألني ، ولكني سأجيب على تساؤلاتك ، أولا الحامض الأميني متطابق ، ثانيا .. الفتاة المصرية التي سافرت لتنتحل شخصية ابنتك ، استعدناها .."

وسارع يقاطعه ، متسائلا عن وعن وعن .. آلاف الأسئلة خرجت من فمه دفعة واحدة ، وبدأ علي في الإجابة :

- " أحضرناها من أحد المصحات الطبية الخاصة التي يطلقون عليها معامل علمية ، فيها من العذاب والهوان وانتهاك حرمات الإنسان ، ما هو أشنع من أن يوصف ، تائهة كما المخدرة دائماً ، خائفة مذعورة كما المعذبة دائماً ، تتوارى بنفسها وجسدها عن الجميع كما لو كانت منكشفة تماماً أمامهم ، لا تستطيع تجميع الجمل ، ولا تستطيع إكمال الكلمات ، تتهته بدون علة ، وتدور عيناها في كل الاتجاهات بخوف وحذر من لا شئ ، ومن كل شئ ، قذرة ، كأنما الماء لم يمسها منذ دهور ، يملأ شعرها وجسمها كل أنواع الطفيليات والحشرات .."

وقاطعه مصطفى سريعا :

- " وهل علمتم منها شيئا .. أي شئ ..؟"

وأجاب علي بهدوء :

- " بعد أن اهتممنا بها أولاً ، وأشعرناها بالأمان ثانياً ، وبجلسات مطولة مع عباقرة الطب النفسي وفي مصر منهم الكثيرون والحمد لله ، ومع أطايب مشايخ الدين ، وجمعناها بأهلها الذين كانوا في شوق لها ، استطعنا تجميع الكثير من الخيوط ، ولكن ليست كلها .."

وقاطعه مرة أخـــرى :

- " هات من الآخر أرجوك .."

وقال علي بنفس الهـــدوء :

- " أردت أن أوضح لك ما كانت ستتعرض له ابنتك ، لو كانت مكانها ، فتعطف عليـــها بدافع الإنسانية ، ولو أنني أعرف أن دافع الدين سيكون أقوى .. "

وتساءل مصطفـــى :

- " ما ذا تقصد .. ؟"

صمت علي برهة من الزمـــن ريثمـــا يســـتطيع صياغـــة الجمـــل بـــالصورة الـــتي تؤثـــر في مصطفـــى ، بالعفو عن الفتاة أولاً ، ثم بـــالعطف عليـــها :

- " لم يدفع هذه الفتاة للانخراط في هذه الجماعة إلا الحاجة للمـــــال ، حاجتـــها وحاجـــة أهلها ، ولـــو قام كل مسلم بما يجـــب عليـــه مـــن إعالـــة للأســـر الفقـــيرة ، أو ســـدد المستحق عليه من الزكـــاة ، وصرفت هذه الزكـــاة في مصارفـــها الشـــرعية ، لمـــا لجـــأ بعض أفراد هذه الأســـــر لمثـــل هـــذه الجماعـــــات الـــتي تعيـــث في أرض الإســـلام الفســـــــاد .."

وعلق مصطفى على عبارته الأخـــيرة :

- " ليسوا جميعهم .. الكثيرون منهم يستسهل الكسب الســـريع بأيـــة وســـيلة ، علـــى الحياة الكريمة المتواضعـــة بـــالكد والكســـب الحـــلال ، مـــن جبـــل علـــى الاســـتجداء والكسب الحرام ، لن تنفع معه أية صدقات ، والدليـــل عنـــدي بالشـــركة مـــن هـــم في أشد الحاجة للمال ، لكنهم يقنعون بما يرزقـــهم الله مـــن عملـــهم مـــهما كـــان قليـــلاً ، ولكن الله يبارك فيه فيكفيهم ، وربمـــا يفيـــض .."

ووصلت رسالته إلى علي الذي سارع مقاطعاً :

- " لقد عرفت هذه الأسرة خطأها ، فقد استمرأت ما تجنيه ابنتهم من أموال ، دون اهتمام بمصدرها أو كيفية الحصول عليها ، وكانت هذه هي النتيجة ، فأخذت تندب حظها ، ومنذ اختفائها والأموال لم تنقطع عنهم ظنا من الجماعة التي التحقت بها ابنتهم ، أنها هي التي تعمل ابنة لك ، لكن ما أن اكتشفوا الحقيقة حتى انقطع المدد ، وفكروا كثيرا في قتل الفتاة والتخلص منها ، لكن رجالنا بالتعاون مع البوليس الياباني استطاعوا تخليصها وغيرها من ذلك الماخور الذي أعدوه لهلاك من يريدون التخلص منهم ، ولعلمك ، لقد قامت السلطات اليابانية مشكورة بعمل الكثير من أجل الفتاة ، ولا أخفي عليك ، أنهم صمموا على علاجها عندهم أولا قبل ترحيلها بتذكرة سفر على حسابهم ، ورصدوا لها مبلغا من المال ربما ريعه يكفيها ويكفي أسرتها ! فقد اعتبرت الحكومة اليابانية أنهم مسئولون عن ما يصيب المجني عليهم عن جرائم مجرميهم ، وهم على يقين من أن ذلك قد يخفف عنهم تأنيب الضمير .."

وسأله مصطفى بشيء من الحذر :

- " شاركت في تخليصها .."

وأجابه بشيء من الصراحة :

- " ألم تطلب مني السفر إلى اليابان للإشراف على الشركة خلال فترة عدم وجود مستر ناجا سيتو ..؟ لقد حيرني كثيراً أمرك ، كيف أنك كنت تصر على أنها ابنتك ، وكل المعلومات التي لدينا تؤكد عكس ذلك ، وعندما وصلتني المعلومات بأمر هذا المعتقل ، سارعت لتخليصها منه ليقيني أنها ربما تكون ابنتك ، وأخذت معي عينات أنسجة جسمك التي أعطيتني إياها ، وما استطعنا الحصول عليه من مايسه ، ودسست معها عينات مني ومن بعض الضباط أصدقائي ، حتى أتيقن من أن

التحليلات سليمة ، وأعطينا العينات أرقامـــا ، ولقـــد كـــان مـــا يؤكـــد صحـــة هـــذه التحليلات ، أنهم أوجدوا الصلة بينكما فقط ، والباقين ليست بينهم أيـــة صلـــة .. حـــتى أنا ، رغم رابطة الدم التي تربطنـــا .."

ثم أخذ يضحك في شكل هستيري ، فاستوضحه مصطفـــى عـــن ســـبب ضحكـــه ، فأجـــاب بعد جهد جهيد ، لإيقاف الضحك الهستيري الـــذي انتابـــه :

- " لقد اتفقنا على تشكيك أحد الزملاء المشـــاركين في نَســـبِه ، ذلـــك أنـــني أخبرتـــه بوجود صله بينه وبين آخر ، وعندما بدأ يستفسر عـــن الســـبب ، قـــال الزمـــلاء لـــه أن يسأل والدته ، وكادت تحدث معركة ، لولا أنه لاحـــظ ضحكـــي وضحـــك الآخريـــن ، فعلم أنه من الفكاهات السخيفة ، واستدرك ، لقد كـــانت تفصـــل بـــين أســـرته وأســـرة الصديق الآخر مئات الأميال ، فهو من الصعيد والآخـــر مـــن الســـلوم ، ولم يحـــدث أن انتقلت أي من العائلتين إلى مكان العائلة الأخرى ، وبالطبع لم أســـلم مـــن هجومـــه علـــى بكل ما يملك من عض ولكم ، لكن كان الحب يغلـــب عليـــهم ، ولـــولا أن المقلـــب متفق عليه بيننا دونه ، لكان الأمر أسوأ من ذلـــك طبعـــا .."

وبعد أن اطمأن مصطفى وهدأ باله وذهب عنه الشك ، بدا له أن يســـأله عـــن الشـــركة :

- " وذهبت إلى الشركة .. ما أحوالها .."

وأراد علي أن يستخدم معه أســـلوب التـــهويل :

- " أتعرفهـــا ..؟"

وأجاب مصطفى بكل بســـاطة :

- " طبعا .. لقد أنشأها ناجا ، وقمت بتطويرها أنا وماي سيتو والدة مايسه خلال إقـــامتي باليابان ، وأعرف مكانها وإنتاجها وكثير من العاملين فيها .."

لكن علي أراد أن يبين له وضعها الحـــالي :

- " يا عمي .. أنا أسألك عنها الآن .. لقد أصبحت قلعـــة صناعيـــة لا يمكـــن مقارنـــة أية شركة في مصر مهما بلغ حجمها ربما علـــى أحســـن تقديـــر بالعشـــر ، هـــل تظنـــني أصلح لإدارة أو للإشراف على .. أو حتى للعمل مســـئولا عـــن أي نشـــاط أو قطـــاع في شركة كهذه .. ؟ لا أظن أن هذا ما تركته عندمـــا غـــادرت اليابـــان .."

فتساءل مصطفى محاولا تصحيـــح معلوماتـــه :

- " أليست في الشارع الرئيس في طوكيو ..؟"

وأجاب علي بهـــدوء :

- " بلى .. ولكنها المكاتب فقط ، أمـــا المصـــانع فإنهـــا الآن بمســـاحة تزيـــد عشـــرات المرات عما تركتها وكذلك المخازن ، لقد تقابلت مع أحـــد أقـــدم العـــاملين بالشـــركة ، وقد قص على الكثير من الأمور التي حدثت أيـــام أن كنـــت أنـــت باليابـــان ، وبعـــد أن غادرتـــــها .."

وقاطعـــــه :

- " ما حدث أيام أن كنت باليابان .. أنا أعرفه ، قص لي ما حـــدث بعـــد ســـفري مـــن اليابـــــان .."

وقبل أن يجيب علي سأله مصطفى عن ناجا سيتو ، وأجـــاب علـــي بهـــدوء :

- " أنت تعتقد أن عائلة زوجتك أخذتها وابنتك إلى مكـــان مجـــهول ، وعبثـــا حـــاولت معرفة مكانها ، لكنها في الحقيقة كـــانت ضيفـــة في أحـــد مصحـــات تلـــك الجماعـــة ، بدعوى علاجها من آثار الإشعاعات ، وحتى يخـــرج الجنـــين إلى الحيـــاة ســـليما معـــافى ، لكنهم كانوا يريدون التعرف على الأسباب الحقيقيـــة لشـــفائها مـــن آثـــار الإشـــعاعات

عندما كانت حامل في مايسه ، وللسرعة التي كانوا يريـــدون بهـا التعـرف علـى هـذا السر ، كانوا يزيدون جرعات الكيماويات الـتي مـن المفـترض أن تـؤدي إلى التفـاعل مع ما تم دهانها به من مواد امتصها الجلد ، وتفاعلت مـــع الأدمـــة ، فتولـدت طبقـة يمكن تسميتها درعاً واقياً ضد كل أنواع الإشـــعاع ، لقـد كـادوا يقتلونهـا بالتحـاليل والكيماويات أولاً ، وعندما يئسوا من التعرف علـــى طبيعـة هـذه الطبقـة فكـروا في موتها فعلاً ، وتركوا للإهمال وعدم الرعاية هذا الأمـــر حـتى مـاتت ، وعندمـا أعلنـوا وفاتها ، كانوا يخططون بذلك ليحصلوا على تصريـــح بـإحراق الجثـة ، والحقيقـة أنهـم كانوا يريدون تقطيع أوصالها لمزيد من الأبحاث ، لكـــن بـاقي أفـراد العائلـة ، أخواتهـا والعمات والخالات والأخوال وغيرهم ، تدخلوا بنفوذهم واستلموا الجثـــة وقـاموا هـم بإحراقـــــــها .. "

كانت مفاجأة له ، هل كانت الحكومية اليابانية تعلم ذلك ؟ وكان رد علـــي مفاجـأة لـه :

- " نعم كانت تعلم ، فقد قاموا بنقلها من المستشفى في حالـة ميئـوس منـها ، وذلـك بدعوى القيام بالمزيد من الأبحاث ، والعلاج بما كانوا يدعـــون أنهـا اكتشـافات جديـدة يريدون تجربتها ، وقد ذكر التقرير أنها مؤكدة النجاح ، لكـــن الحقيقـة أنهـا نقلـت إلى مقر هذه الجماعات لكي يتعرفوا على ســـر العـلاج بـالطب المصـري القـديم ومـواد التحنيط والطب العربي ، حتى يقوموا بتطويره ، ويربحـوا ملايـين الملايـين مـن تصنيعـه والتجارة به ، ولما علمت الحكومة اليابانية ذلك ، قـــامت بـإغلاق المصـح ، ورصـدت لكما أنت ومايسه مبلغاً كبيراً من المال ، تعويضاً عن فقدكمـا لمـاي سـيتو .."

ترحم عليها ، وتلا ما شاء الله له من آي الذكر الحكيـــم ، واغرورقـت عينـاه بـالدموع ، وقـــال :

- " طول عمرها كريمة ، ومصدر خير وبركـــة ، في حياتهـا ، وبعـد مماتهـا .. سـوف أتبرع بهذه الأموال تخليداً لذكراها ، لمرضـــى السـرطان في مصـر ، ومرضـى الفشـل الكلوي ، الذي بلانا الله به مع الكثير من الأمـــراض منـذ أن تم التطبيـع .."

لكنه يريد أن يعرف قصة ناجا سيتو ، والأسباب التي أدت إلى انقطاع معلوماته عن الكمبيوتر بسفارة السويد منذ ما قبل وفاة ماي سيتو :

- " وناجا سيتو .. أين كان ..؟"

وأجابه علي :

- " كان مسافرا بالخارج ، وعندما علم باختفائهم ، قطع سفره وأرسل ما يفيد عودته ، لكنه لم يعد حتى هذه اللحظة ، وأكبر الظن أنه قتل .."

وازدادت حيرة مصطفى :

- " إذاً من هذا الذي كان يدعى أنه خالها ..؟"

وأعاده علي إلى قصره باليابان :

- " أتذكر صاحب القصر الذي كان يجاور قصرك باليابان .. السيد كيوكي ، إنه هو من كان يدعي أنه خالها .."

وتذكر مصطفى أن مايسه رددت هذا الاسم كثيراً :

- " ماذا ؟ لقد كنت أشك فيه منذ أن رأيته ، لولا أنه ادعى تغير شكله بسبب حلاقة ذقنه ، ونحافته التي زادت .. ما ذا أفعل ..؟"

وبدأ علي يوضح ما قام به السيد كيوكي من أعمال تفوق الخيال ، بل إنه ما زال يقوم بأعمال أيضا خارقة لكل منطق ، وذلك لخدمة جار أحبه وصان عشرته :

- " إن هذا الرجل له أفضال كثيرة عليك وعلى ابنتـــك ، فكـل الـذي تسـتطيعه أن تتكتم الأمر حيث هو حتى لا تفسد ما تقوم به المخابرات اليابانية لكشـف السـتار عـن هذه الجماعة وتنظيمها ورئاسـاتها .."

لقد أثار فضولـه :

- " وماذا فعل مستر كيوكي ..؟"

ولم يجد علي أمامه إلا البوح ببعـض بطولاتـه :

- " أولا تتبع الجماعة عندما اختطفت زوجتك من المستشـفى ، وعلـى فكـرة ، هـو الذي أخبرنا عن مكان المصح كواحد من عدة مصحات تديرهـا الجماعـة تحـت سـتار الخدمات الإنسانية المجانية ، وقد كان يظنه في البداية مصحـة كمـا هـو اسمـه ، لكـن عندما علم بموتها شك في الأمر فقام بـإبلاغ البوليـس اليـاباني حـتى قـاموا بتحريـر الكثيرين من هذا المعتقل ، ولم يكتف بذلـك ، بـل داوم البحـث عـن ناجـا سـيتو ، وعندما علم باختفائه وتحقق من أنهم قاموا بقتله ، احتضـن ابنتـك ونصـب مـن نفسـه خالا لها ، وأنت تعرف أن غالبية اليابانيين متشابهون ، وقـام بتوسـيع أعمـال الشـركة ، وما حدث بعد ذلك ، أنت تعرفـه .."

كان لوقع كلماته بالغ الأثر في نفسه ، مقارنا ذلك بما يحدث في مصر ربمـا بـين الاخـوة :

- " وهل فعل ذلك متطوعا ؟"

لكن عليا أوضح له أغرب صورة ممكـن أن يتصورهـا :

- " ما سأقوله لك سر لا يجب أن يعرفه أحد غيرك .. إن مسـتر كيوكـي مـن رجـال المخابرات اليابانية ، فقد كان مكلفا بتتبع نشـاطك في اليابـان منـذ أن تزوجـت مـن يابانية ، فأنت تعلم أن المد الثوري المصـري كـان يرعـب النظـم الملكيـة ، والنظـام

الياباني ليس ملكيا فقط ، وإنما هو نظام إمبراطوري ، يعني ما هـــو أقـــوى مـــن الملكيـــة ، ولم تكن الأدوات والقروض التي كان يطلبها منك ثم يردها إليـــك بأســـرع مـــا يمكـــن ، إلا وسيلة من وسائل التقرب إليك ، لكنـــه في الحقيقـــة أحبـــك لشـــهامتك وتفـــانيك في حب الخير والإبقاء على المودة والقيام بواجبات الصداقة ، لمـــا قمـــت بـــه مـــن أعمـــال لصالحه ربما أنت لا تذكرها ، ولكنها كلـــها مســـجلة في التقـــارير الـــتي كـــان يقدمـــها عنـــك ، والمحتفظ بها في ملفك الذي أطلعوني عليه ، حـــتى أبـــرئ ذمـــة هـــذا الرجـــل أمامك ، فتحبه كما أحبك وأحـــب عـــائلتك ، وعندمـــا أصبحـــت ابنتـــك وحيـــدة في قصرك باليابان ، تفتقدك وتبحث عنك في أركانه ، ولتجـــبر عائلتـــها إلى العـــودة للحيـــاة فيه ، لقناعتها في هذه السن أنك ربما تعود ، لذلـــك لا بـــد أن يكـــون القصـــر جـــاهزا لاستقبالك ، فقام الرجل بالاهتمام بها ، وأشركها بهذا الجـــهاز منـــذ صغرهـــا ، فتعلمـــت في مدارســـه ، وتدربت في معامله ، حـــتى إجادتهـــا للمصارعـــة والملاكمـــة والكاراتيـــه كان من تدريبهم ، وأنت تعرف أهمية هذه الأمـــور لرجـــال المخـــابرات ، لذلـــك فإنهـــا مصارعة محترفة يخشى منها ، وهي واحدة من هؤلاء اللذيـــن يعتـــبرون خطـــرا بذاتهـــم ، ذلك أنها تستطيع أن تقتل أكثر من عشرة من عتاة الرجال بدون ســـلاح ، وقـــد كلـــف بهذه المهمة بعد أن تطوع للقيام بها ، ولكن تحت إشـــراف رئاســـة المخـــابرات اليابانيـــة ، فقد اعتبروا مايسه ابنة لهم ، ونظرا لاعتبارات كثيرة ، أهمها أنهـــم يريـــدون أن يكشـــفوا النقاب عن هذه الجماعات ، فقد أخفوا الأمر تماما ، ولم يتحركـــوا إلا بعـــد أن تحركـــت تلك الجماعة ، فانتهزت فرصة خلو منزلك في طوكيـــو مـــن ابنتـــك وخالهـــا ، وقـــاموا بالبحث عن جواز سفر مايسه ، وأقنعوا هذه الفتاة للعمـــل معـــهم لأنهـــا تشـــبه ابنتـــك كثيرا ، ما عدا أن عينيها ليســـتا خضراويـــن ، فقـــاموا بلصـــق العدســـات الملونـــة ، ولم يكتشفوا أنهم وقعوا في خطأ ، إلا عندمـــا ســـقطت هـــذه العدســـات نتيجـــة للإهمـــال والالتهاب الذي أصابها ، لكن المخابرات كانت لهـــم بالمرصـــاد ، وبخاصـــة مـــع تعاوننـــا معـــــهم .."

وعلق مصطفى ليصحح معلوماتـــه :

• " هذا يفسر أشياء كثيرة ، إن معظم ما قلتــه الآن ، سـبق لي سماعــه مــن مايســه ، ولكنني كنت في فترة الشك ، فأخذته على أنه كما هو الكثير ممـــا قـــالت ، لكنــك الآن تؤكد لي أنها لم تقل إلا الصدق ، فيما عدا مســألة خالهــا هــذا ، لقــد ذكــرت مســتر كيوكي كثيرا ، علها بذلك كانت تحاول معي أن أتذكره ، وأحــاول ربــط الشــبه بينــه وبين من ادعت أنه خالها ، لكن كيف لي أنــني لم أتذكــر أنــه لم يكــن مدينــا لي بشــئ عندما غادرت اليابان ؟ فمن أين له بالأموال التي أنفقــها 'لى إصــلاح البيــت ، وإعــادة الخدمات التي قطعت عنه ؟ كما أنه لا يوجد أحد في العالم يعــرف شــيئا عــن موضــوع الأموال التي كان يقترضها مني سواي أنا ومستر كيوكي نفســه ، حــتى مايســه لم تكــن تعرف شيئا عنها ، فقد كانت في سن صغيرة لا تمكنها مــن اســتيعاب هــذه الأمــور ، أو حتى تذكرها عندما كبرت ، يا له من رجل طيب ، لا بد من توجيــه الشــكر لــه ، قبــل أن أسافر إلى اليابــان .."

ثم استدرك ســريعا :

• " لقد ذكرت لي مستر كيوكي كثيرا ، وأنه حــاول الاتصــال بنــا لكنــه لم يســتطع التفاهم مع أحد وبعد أن تعلمت مايسه مجموعة من الكلمات العربية الــتي تســتطيع بهــا أن تتخاطب مع أي ممن بالمنزل ، كانت أرقام التليفونات قــد تغــيرت ، لكنــها لم تخــبرني أن مستر كيوكي هو من تدعيه خالها ، لعلها إجــراءات الأمــن .. "

فذكره علي بعملــها :

• " لا تنسى أنها تعمل مع المخابرات ، ولا بــد وأن تكــون جميــع تحركاتهــا وكلماتهــا محسوبة ، ولا بد وأن تحمي العملية التي كلفت بها ، وما زالــت تعمــل بهــا حــتى الآن .. إنها لا تعرف أن هناك تعاونــا بــين البوليــس المصــري والمخــابرات اليابانيــة لكشــف أهداف هذه الجماعــة .."

فأراد أن يستوضحه أمــرا :

- " لذلك هي في مصر ، وخالها .. أقصد مستر كيوكي في اليابان .."

وأجاب علـــي :

- " أجل .. وأرجو أن تعرف .. أن مستر كيوكي بعيدا تماما عن هذا الأمر ، فهو لا يعـرف أنـــني أعرف حقيقته .."

وتمتم مصطفى بصوت مســـــموع :

- " يا له من رجل طيب .. لابد لي من الاعتراف بفضلـــــه ، لقـــد قـــال كلمـــة ظلـــت عالقة في ذاكـــرتي وهي التي كانت دائما تقـــف حـــائلا بـــين شـــكوكي وثقـــتي مـــن أن مايسه ابنـــتي .."

وعلق علـــي :

- " رحمة الله بك ، لقد عصفت بك الشكوك يا عمي .."

فأراد أن يثبت له أنه كان على حق ، حتى قبل أن يأتيـــــه بـــاليقين :

- " لا تنس أنني قلت لك دعني ومايسه ، حـــتى ولـــو لم تكـــن ابنـــتي .. لقـــد كـــانت لكلمات كيوكـــي هذا الأثر ، فقد قال منـــذ الوهلـــة الأولى " ظننـــت أنـــك ســـتعرف ابنتك من أول لحظة ، ألا يقولون عندكم أن الدم يحن " كـــانت هـــذه الكلمـــات تـــتردد في أذني كلما هممت بالانســـياق وراء الشـــكوك .."

فزاده علي مديحـــا :

- " ولا تنسى أيضا أنه كان وراء كبر حجم شـــــركتك ، فقـــد طلـــب مـــن الحكومـــة اليابانية رسميـــا ، أن تقوم بتعويضك عمـــا فعلتـــه تلـــك الجماعـــة بزوجتـــك ، وتـــأمين مستقبل ابنتك وحياتهـــا ، فقـــاموا بتـــأمين مســـتقبلها بإســـناد الكثـــير مـــن الأعمـــال

لشركتك ، حتى أصبحت بهذا الحجم ، وتأمين حياة ابنتك ، بزرعها في جهاز مخابراقم ، حتى تكون تحت حمايتهم المباشرة ، ورعاية مستر كيوكي لها .. ثم المبلغ الكبير الذي رصدوه باسمك واسمها ، لا تتسلمه إلا بعد بلوغها السن القانونية .."

وعلق مصطفى مبتهجا :

- " لقد ارتاح قلبي ، لا أدري ماذا أفعل .. هل أرسل شكرا رسميا للحكومة اليابانية ، ولمستر كيوكي ؟"

وسارع علي :

- " لا تفعل شيئا الآن ، ودع الأمور على نفس الوتيرة ، فقط اسعد بابنتك مايسه ، ولتنتظر سيل الطلبات الجديدة والكثيرة من السفارة اليابانية في مصر ، فالهم يريدون أن يعوضوك شخصيا في مصر عن كل ما تعرضت له ، وعلى فكرة .. إن كيس الحجارة في انتظارك ، فقد سلمه كيوكي للحكومة اليابانية ، الحقيقة أهم صادروه منه في الجمارك ، حتى لا تسعى إليه الجماعة ، وهذا معناه أهم يرسمون لهم شركا عند محاولتهم الاستيلاء عليه من معامل الحكومة ، وفي نفس الوقت ، مهمتنا هنا هي مراقبة منزلكم وشركتكم ، وحمايتكم إلى أن يتم الإمساك بهم .."

١٥- الافتتاح

تم تجهيز كل شئ ، السرادق الذي ينتظر فيه الحضور اكتـظ بـالمدعوين مـن رجـال الفـن والصحافـة ونجوم المجتمع وغيرهم كثيرين ، فـالكل في شـوق لـيرى ذلـك الفنـان الـذي أعلن عن افتتاح معرضه تلك الليلة تحت رعاية الوزيـر ، وقـد ظـهر إلى جـانب الإعـلان ، تمثال نصفي يجسد صورة رجل كبير السن ، يبدو عليه سمات الـورع والتقـوى ، ومـن يـراه لا يدري أنه تمثال الحاج محسن الخوجه ، والـد الفنـان .

حضر الوزير ، وتقدمت مايسه بصحبتها فتاتين صغيرتين همـا مـريم ومـها ، حملـت مـريم المقص ، وقدمته للوزير ، وبعد أن قص الشريط إيذانـا بالافتتـاح ، قدمـت لـه مـها باقـة زهور جميلة ، فحيا الوزير الفتـاتين ، وقبلـهما ، بينمـا صحبتـه مايسـه في جولـة حـول المعـرض ، ثم استوقفه سعيد فترة قليلة من الزمـن ، صـوره فيـها علـى ورق اسكتشـاته بقلمه الذهبي وعينيه النفاذتين ، واختفي ، بينما أكمل الوزير جولتـه ، وحولـه مجموعـة مـن الفنانين العباقرة الذين لا يقلون عن سعيد في عبقريتـه ، وكذلـك المسـئولين عـن الفنـون ، وقبل مغادرته المعرض ، عاد سعيد وخلفه عم نعيم يحمل تمثال نصفـي للوزيـر أخفـاه بغلالـة رقيقة ، طلب من الوزير رفعها ، ليفاجأ الجميع بتمثاله النصفي الـذي يكـاد يتطـابق إلى حـد كبير مع الأصل في الشكل فقط ، وصفق الجميع ، وهللـوا لهـذا الفنـان العبقـري وأطلـق الصحفيون لعدسات كاميراتهم التقاط كل ما يقع تحت أبصـارهم ، ووقـف مصطفـى بعيـدا ينظر كيف تكالب الجميع على صنع الإنسان ، ونسوا خلق الله ، الـذي أبـدع هـذا الفنـان المبـدع .

رتب مصطفى مع مايسه بسرعة أسلوب البيع والتحصيـل ، حيـث أنهمـا لم يتوقعـا هـذا الإقبال غـير المسبوق للطلبات التي بدأت تنهال عليهم ، حتى أنـه أقيـم أكـثر مـن مـزاد سريع بين اثنين أو أكثر يطلبون لوحة معينة أو تمثـالا بعينـه ، كمـا جلسـت مـنى تسـجل طلبات راغبي إبـداع التمـاثيل الشـخصية ، وأشـرفت صفيـه علـى بوفيـه المشـروبات والحلـوى ، وجلست مريم هانم في زاوية من المعرض ، تشـاهد نجـاح ابنـها الفاشـل ، وإلى جانبها نازلي هانم ، تزهو بخطيـب ابنتـها ، بينمـا هـدى وأحمـد ينتقـلان بـين اللوحـات

المعروضة ، والدهشة تكاد تعقد لسانيهما ، ويسود الصمت بين زوجين الكلام صنعتهما .

أما شكري بك ، فقد كان عراب هذا الحفل ، فالكل يعرفه ، وقبل السلام على الفنان ، تكون الأحضان مع شكري بك ، ونازلي هانم ترقبه من بعيد ، وتكاد تصوب نحوه نظرات قاتله كلما اقتربت منه فتاة أو سيدة ، أيا كانت ، صغيرة أو مسنة ، جميلة أو غير ذلك ، فهو بعيدا عن كرشه وترهله ونظاراته السميكة ، يتمتع بحس باسم ، ويحاول أن يضع البسمة على وجوه الجميع ، كما أنه مقبول شكلا ، والكثيرات يسعدن بمداعباته ، ويتمنين أن يغدق عليهن ببسمة ، أو فكاهة من فكاهاته التي تنعش القلوب بسعادة الضحك ، فهو قليل جدا هذه الأيام ، حتى أن الكثيرين يهربون من أفلام الوعظ والدراما القاتمة ، إلى أفلام الخيال العلمي ، أو الكوميديا الثقيلة ، التي لا ينفك الإنسان يضحك منها أو عليها ، وهذه ليست سهلة ، ويصبح من المشهورين جدا ، هذا الذي يستطيع كتابة قصة أو مسرحية أو تمثيلية بها قدر ولو قليل من الابتسام الذي قد يصل في بعض الأحيان إلى الزغزغة ، يعني الضحك بالعافية ، وليس بالمواقف المرسومة ، أو بالكلمات المعدة بإحكام ، ويضيف إليها الممثل الذي حباه الله بالقدرة على الارتجال ما يضحك الجمهور .

وشكري بك يقدم للجميع هذه القفشات المضحكة مجانا ، بدون استعداد لسهرة أو تذاكر مسرح أو سينما تثقل ميزانية أسرة متوسطة الحال ، والتي تمثل الغالبية العظمى من أبناء الشعب المصري .

تمدد الفنان المبدع ثقيل الجسم على أحد الكراسي الوثيرة التي انتشرت في صالة العرض ، لراحة الزوار من كثرة اللف والتحديق في كل لوحة أو تمثال ، وفوجئ بأن الجميع مثله في حجم التعب والإرهاق ، لكن لكل عمله ، هو في مرسمه تساعده زوجة المستقبل ، ومصطفى في الإعداد للافتتاح والدعاية والإعلان وترتيب جميع الأمور الخاصة بوضع اللوحات وأسلوب العرض وترتيب الدخول والخروج ثم وأخيرا التحصيل والتغليف والتوصيل ، ومعه مايسه ، أما صفيه ، فالمسكينة لم تبرح المطبخ عدة أيام تعد

فيها الحلوى والعصائر ، وترتب لبوفيه الشاي المفتوح ، وتدرب زنوبـه وسـعديه علـى ملـئ كل ما يفرغ من صواني أو أباريق ، وغسل كـل مـا يسـتعمل مـن أكـواب أو كئـوس أو فنـاجين .

تذكر وقوف الجميع إلى جانبه ، فنسـي تعبـه وإنهاكـه ، ونهـض فجـأة ليعـانق الجميـع ويشكرهم علـى كل ما قاموا به مـن أجلـه ، والدمـوع تسـبق حديثـه الـذي أخرجـه منمقـا ، كأنما هو اعتراف بالفضل لأهله ، والكل يهنئونه علـى نجـاح المعـرض ونجاحـه ، حتى جاء دور شكري بك ، والرجل ليس حساسا وفقـط ، ولكنـه كتلـة مشـاعر متكـورة في هذا الجسم الضخم ، فكاد احتضانه لنسـيب المسـتقبل ، أن ينقلـب إلى محزنـة ، لكـن سعيداً أفاقه منها على همسة كانت كصرخة مدوية أو لنقل لسـعة مـاس كـهربائي ذو فلتيـة عالية ، انتفض الرجل لينفض عن نفسه مشاعر فرحتـه بنجـاح نسـيبه ، وذهبـت شـاعريته وأحاسيسه النبيلـة :

- " بتقول إيه .. الجواز بكرة .."

ورد سعيد بخجل مصحوب برغبـة في موافقتـه :

- " كل شئ جاهز ومعد ، الفيلا وأمامـها كـام يـوم وتبقـى آخـر فـل ، والجـهاز والأجهزة حتى الستائر والسجاد ، وكل ما يخطر وما لا يخطـر علـى البـال ، البركـة في شركة الخوجة وكـازو في اليابان ، أرسلتها من كام يوم ، وفستان الفـرح صفيـه ربنـا يديها الصحة والعافية خلصتـه ، والعروسـة راضيـة ، وأنـا راضـي .. .. تبقـى إيـه المشـكلة ؟"

وتدخل مصطفى وسط انزعاج شكري بك وزوجته نـازلي هـانم ، بينمـا هـدى وأحمـد في حالة ذهول وصفيه ومريم هانم تكادان تكتمان ضحكات من الأعمـاق ، علـى هـذا الموقـف الذي فرضه سعيد بعد يوم وليلة ، يكاد التعب والإرهـاق يقتلـه :

● " يا سعيد الأفراح تحتاج إلى ترتيبات ، أقلها إرسال بطاقات الدعوة التي لم يتم إعدادها بعد في انتظار تحديد الميعاد ، ثم يظهر انك نسيت إن مناقشة الدكتوراهين بتوعك في العلوم والفنون الخميس القادم .. ولقد تأجلت أكثر من مرة بسبب تصميمك على افتتاح المعرض قبل أن تصبح دكتوراً في العلوم والفنون .."

وقاطعه سعيد :

● " يبقى الخميس القادم .."

وسارع شكري بك ، وقد استعاد هدوءه ، وأسعده لهفة نسيبه على احتواء حبيبة قلبه :

● " هو إنت اللي طالع عليك الجواز .. مش لما نشوف رأى العروسة .. "

ونظر إلى منى ، التي كانت منهارة تماما على أحد الكراسي ، وقد أغلقت عينيها ، ربما في غفوة من الإرهاق ، أو لتبعد نفسها عن الإحراج :

● " ما تتكلمي يا هانم .. والا إنت سايباه علينا كده زى .."

كانت منى على أحد الفوتيهات ، وقد غلبها نعاس من النوع الثقيل ، فلا هي في وضع يسمح لها بأن تعبر عن رأيها ، وبالقطع هي ليست في حالة تسمح لها بالزواج ، لا باكر ، ولا حتى بعد شهر من باكر هذا الذي حدده الفنان العبقري ، الذي دب فيه النشاط والحيوية بتشجيع الشنواني خبير الفنون ، ومساعدة أخيه السباك سابقاً . وقبل أن يتلفظ بلفظ قد يسئ إلى سعيد ، وقد لا يتقبله بروح الدعابة في مثل هذا الموقف ، وربما لا يكون في مثل تنازل أحمد زوج هدى عن إهانات صهره ورئيس عمله له ، حيث يعتبرها مداعبات لو لم يقلها لعَمَّه الحزن خوفاً من أن يكون غير راض عنه ، سارعت نازلي هانم :

- " أظن نومها ده أكبر رد .. يعـــني بـــالعربي أنتمـــا مرهقـــان ، ولا يجـــوز الجـــواز إلا لعروسين أصحاء أقوياء نشيطين مش منهكين مستهلكين خــــردة زيكمـــا ، يبقـــى زى مـــا قال مصطفى بك ، بعد مناقشة رسالتي الدكتـــــوراه بأســـبوع .."

وحاول سعيد الاعتراض ، فوكزه شكري بـــك منبـــها :

- " انت حتعارض حماتك من دلوقتى ، طب استنى شوية كـــده لمـــا تقـــدم حبتـــين ، ده أحمد أفندي الهمام ، بقى له أكثر من سنة متجوز ، مـــا يقـــدرش يـــرد لحماتـــه كلمـــة ، تقوم إنت يا بتاع امبارح أول ما تشـــطح تنطـــح .."

وساد الضحك والابتسام الجميع ، ما عدا سعيد الذي شعر بخيبة أمـــل ، انضمـــت لـــه مـــنى سريعا تخفف عنه وقع الأحداث ، وثقل مداعبات والدها ، فنظـــر الجميـــع إليـــهما بتعجـــب ، كيف أن منى غابت عن ما حدث فيما ادعته غفوة ، لتنهض بعـــد أن انفـــض المولـــد ، وعلـــق شكري بـــك :

- " الله .. تبقوا طابخينها سوا .. آه يا عفاريت .."

١٦- المناقشة

لم يتصور أحد من الذين حضروا مناقشة رسالتي الدكتوراه ، هذا الذكاء العلمي ، الذي جمع بين العلم والفن في رسالة واحدة ، أشرف عليها أساتذة العلوم وأساتذة الفنون ، واتفقا على مناقشتها سويا ، ليمنح باحثها درجة الدكتوراه في العلوم بالإضافة إلى درجة الدكتوراه في الفنون . الحقيقة أن سعيداً استطاع بذكاء متوقد ، أن يلهب مشاعر أساتذة العلوم للرسالة ، ونفس الشيء حدث لأساتذة الفنون ، وكان الخلط بين العلم والفن هو الجديد في هذه الرسالة ، فالتركيبة الجديدة التي استطاع سعيد أن يتوصل إليها ، تمكن من الكشف عن أعمار أي شيء ، عظام أو حفريات أو معادن أو أحجار .. أي شئ ، حتى الأعمال الفنية ، وبهذا يكون قد قدم للعلم خدمة كبيرة جليلة كما أنه يكون قد قدم للفن خدمة كبيرة وجليلة أيضا ، ومن هذا المنطلق اتفق أساتذة العلوم على منحه درجة الدكتوراه في العلوم ، وكذلك فعل أساتذة الفنون بعد أن أثبت بالدليل والتجربة الحية أن التركيبة التي توصل إليها ، تمكن من معرفة عمر العمل الفني ، وما إذا كان حقيقيا أم زائفا ، ذلك كله دون التأثير على العمل الفني نفسه ..

وطبعا أبو نسب الصحفي الهمام أحمد الجوهري كان متواجداً في هذا العرس العلمي ، الذي توج فيه عديله أستاذاً غير متفرغاً في كلية الفنون ، ومتفرغاً في كلية العلوم . وعلى هذا فقد تقرر أن يكون الموضوع الرئيسي لمجلة كل العلوم ، واحتل أكثر من صفحة ، وصورته وهو يتقلد الشهادتين ، وقد ربطتا بشريط أحمر جميل ، وقد التف الروب الأسود حول جسده والشريط ذو اللونين حيث يرمز كل لون لكلية من الكليتين ، يمتد من أعلى كتفه الأيسر ليلتقي طرفاه أسفل إبطه الأيمن بمجموعة من الشراشيب المذهبة ، لقد تفننت صفيه في ابتكاره ، كما تفننت في إعداد ذلك الروب الذي جعله يبدو كغصن بان ، اختفت تحته عشرات الكيلوجرامات من السمنة التي بدا أنها ترهقه ، وصوره التي تظهر مدى حفاوة أساتذته وزملائه من رجال العلم والفن ، ولم ينس أن يركز على التهنئة الخاصة جدا ، التي سارع بها الدكتور الشنواني ، رجل سهرة الكازينو التي خطب فيها محبوبته ، فقد تبين أن الرجل ابن بلد أصيل ، لم ينس العيش

والملح الذي تناولاه سويا في فيلا سعيد ، ورباط العمل الذي استمر بعد ذلك ، حتى أنه أصبح أخا وليس مجرد عميل أو فنان .

وكان لا بد من التطرق إلى الحياة الخاصة للفنان العالم ، فلم تفته صور التهنئة التي طبعت قبلاتاً وأحضاناً حارة من جميع أهله ، والدته وأخيه وحماة المستقبل وحماه ، حتى خطيبته احتضنته دون حرج ، فالموقف كان لا يحتمل إلا التعبير بهذه الصورة ، بينما وقفت هدى وصفيه والدموع تكاد تحبس العبرات ، والتهنئة من القلب بعناق الروح ، والدموع هي التعبير العاطفي حيث اندفع إليه الجميع ، أما أحمد الصحفي ، فقد كان منهمكا في ترتيب أوضاع التصوير وأماكنه ، وكأنما هو مخرج يرسم سيناريو الحدث ، وقد رتب كلماته في ذاكرته ، ليملأ الفراغات فور عودته إلى بيته ، لكنه طبعا لم ينس أن يهنئ عديله بالحضن والقبلات ، والمصور لم يفته ذلك .

تقدم منه رجل متأنق بملابس يبدو عليها فوات موعد صناعتها بزمن كبير نسبيا ، وقدم له أوراقاً ، وطلب منه التوقيع عليها ، وطلب مبلغاً من المال ، وتعجب الجميع ، لكن الرجل لم يطل انتظارهم ، فقد اتفق أساتذة الكليتين على تسجيل هاتين الرسالتين كبراءتي اختراع باسم سعيد ، وطبعا ذلك يتطلب تقديم طلبات موقعه منه ، والحصول على براءات الاختراع التي تدفع عنها رسوم ، وتفهم سعيد الموقف ، بينما تقدم الشنواني بك يسابق مصطفى في دس مبلغ مناسب من المال في يد الرجل الطيب الذي وجدها مناسبة عظيمة أن يقدم له براءتي الاختراع بعد المناقشة مباشرة ، بينما لم يفت مصطفى أن يقوم بواجبه مع الرجل ، ويعطيه بطاقة عمله ، للاتصال به في أي وقت يريده ، فقد شعر بأن مساعدة مثل هذا الرجل واجب ديني قبل أن تكون واجب وطني ، ثم تذكر .. وأسرع خلف الرجل وحدد له موعدا للحضور إلى الشركة ، حيث ذكر له أنه يريده لاتخاذ إجراءات التسجيل العالمي لهذا الاختراع ، وأمور أخرى .

من عجيب الأمور أن يتذكر سعيد الترتيب لموضوع الزواج بالرغم من كل ما يقوم به من جهد ، فما أن انتهت مناقشة الرسالتين ، وتلقى التهاني من الجميع ، حتى انتهز فرصة معاودة شكري بك بتهنئته ويهم مرة أخرى باحتضانه معبراً عن سعادته بخطيب

ابنته الذي فاق ما كان يمكن أن يحلم لها به ، وإذا بسعيد يفاجئه بضرورة إنهاء الزواج تلك الليلة ، واستشاط الرجل غضباً ، لقد تم تحديد الموعد ، ووزعت الدعوات ، ولم يبق إلا بضعة أيام ويتم له المراد ، لكن سعيداً صمم على أن يتم الزواج حالاً ، ولتؤجل هذه المراسم التي لا تهمه بشئ ، بل إنها لا تهم أي عروسين بشئ ، وذكر له المثل الشعبي الذي يقول " العروسة للعريس والجري للمتاعيس .." .

شكره شكري بك على هذا التشبيه ، وأخذ يجوب بنظره باحثاً عن مصطفى كي ينقذه من أخيه ، وأقبل مصطفى سريعاً وكأنما لديه حاسة تشعره بالخطر كلما أحدق ، أو لعله سرعة الخاطر الذي ورد له فور تعلق نظر شكري بك بالجميع باحثاً عن منقذ ، قال لأخيه بهدوء :

- " ألا تشعر بأنك نسيت شيئاً هاماً أيها البطل الهمام .."

وتساءل سعيد بدهشة ، فهدأ مصطفى روعه ، وقال بهدوء :

- " هل نسيت أنه لا بد لك من إهداء نجاحك هذا لوالدك ؟ أليس من المتوجب عليك زيارة قبره وتلاوة الفاتحة على روحه والدعاء له ؟ كما أنني أريد أن أزف له سعادتي بإنجاز وعدي له بتحقيق أمنيته ، أن تكون عالماً تعيد للعالم أمجاد علماء المسلمين الأوائل .. "

وقبل أن يكمل .. اختفى سعيد حيث شعر بأنه نسي ما هو أهم من كل ذلك ، نسي أن يشكر الله على نعمه التي أنعمها عليه وعلى والديه ، فذهب سريعا يتوضأ ويسجد لله شكرا ، وبعد ما عاد ، ألقى خطبة عصماء ، بث فيها حبيبة قلبه كل مشاعر الشوق واللهفة على جمع الشمل الذي بات شتاته أمرا مستحيلا ، وكاد يبكي وهو يقول :

- " تعودت عليها معي في كل لحظات حياتي ، شريكة لي في كفاحي ، تهتم بأموري الخاصة ، كيف يمكن لي أن أفقدها فجأة ، أنا لا أريد احتفالات ولا أفراح ، دعوا هذا كله لكم واتركوها لي ، أنا في حاجة إليها أكثر مما تتصورون ، الأفراح لن

تسعدني بقدر سعادتي بها ، أرجوكم لا تحرموني منها ، دعوها لي وخذوا مـــا شـــئتم ، أنـــا لا أريد إلا حبيبـــتي .."

وفوجئ الجميع بمنى وهي تحتضنه متشبثة به ، وقـــد انهـــارت دموعـــهما في توســـل للجميـــع أن يوافقوا على طلبهما ، وأمام هذا ما كـــان لشـــكري بـــك إلا أن يوافـــق ، وهـــو ينظـــر لزوجته محذرا إياها من إبداء أية أسئلة أو إيضاحات أو اســـتفهامات ، أو حـــتى تعليـــق .

فأرسل مصطفى أحد موظفي الشركة لاستدعاء المأذون ، والجميـــع في ذهـــول أفـــاقوا منـــه على ضحكات أطلقتها مايسه ، انتقلت عدواها لهـــم ، أمـــا ســـعيد ومـــنى فقـــد دار همـــس بينهما نسيا معه الزمان والمكان ، ولا شئ سوى تعبيرات الشجن تعكـــس مـــا يخفيانـــه .

١٧- زواج سعيد

سارع الموظف – الذي كلفه مصطفى لإحضار المـــأذون إلى فيـــلا الخوجــة – بـــالانصراف لتنفيـــذ الأمر ، إلا أن شكري بك استوقفه ريثما يرتـــب لحفـــل صغـــير في أحـــد الفنـــادق ، وقام على الفور بالاتصال بأحد مديري الفنادق من أصدقائه ، ففوجئ بـــه يـــزف لـــه بشـــرى غير متوقعة ذلك أن الصالة الرئيسيـــة بالفندق كانت محجـــوزة لزفـــاف ابـــن أحـــد رجـــال الأعمال ، إلا أهم اعتذروا في آخر لحظـــة بعــــــد أن كـــان الفنـــدق قـــد أعـــد جميـــع الترتيبات ، وأن إدارة الفندق ليس لديهم مانع مـــن الحصـــــول علـــى نصـــف التكـــاليف إذا وجد من يستعمل القاعة في ذلك اليوم ، فتهلل وجه شكري بك ، ورتـــب معـــه الأمـــر ، إلا أن نازلي هانم زوجتـــه الـــتي كـــانت إلى جانبـــه تتـــابع الحديـــث ، تعجبـــت مـــن هـــذه الصـــدف الغريبة ، فطلبت من زوجها أن يستطلع أســـباب إلغـــاء حفـــل الـــزواج ، وقـــام الرجل بالتساؤل ، ورد عليه مدير الفندق بما أقلق نازلي هـــانم ، فنظـــر إليـــها شـــكري بـــك محذرا أن تفصح عما قاله مديـــر الفنـــدق ، وأعلـــن البشـــرى للجميـــع ، وقـــد مـــلأت الابتسامة وجهـــه :

- " الحفل في فندق الربيع الوردي .. وقد تم عمـــل جميـــع الترتيبـــات .."

فعلق مصطفى ســـريعا :

- " هذا معناه أن على العروسين أن يستعدا بأســـرع مـــا يمكـــن – ومبدئيـــا – أقـــترح مسجد الخوجة ليتم العقد به ، ثم الذهاب إلى الفنـــدق لاســـتكمال الحفـــل .."

وبدأ الجميع في عمل الاتصـــالات لدعـــوة مـــن يرغبـــون لحضـــور الحفـــل مـــن المعـــارف والأقـــارب ، ووقفت مايسه حـــائرة ، مـــن تدعـــو ؟ عائلـــة والدهـــا في اليابـــان ، وعائلـــة والدها سيتكفل هو وعمها بدعوهم ، وتذكـــرت " ماريـــا " ابنـــة مســـتر نرســـنج الســـفير فوق العادة لمملكة السويد ، " وماتا ساو " ابنة السفير الياباني ، وشـــعرت بـــأن هـــذه الأمـــور لها بعض البروتوكولات ، إذ ربما يكون من الأفضـــل توجيـــه الدعـــوة للأســـرة كلـــها ، وفي

هذه الحالة الأمر سيستدعي اتخاذ بعض الإجراءات الأمنية ، ثم أنها لا تعرف ما إذا كان فندق الربيع الوردي هذا يتناسب مع استقبال شخصيات على هذا القدر من الأهمية .

همست في أذن والدها ، وبتلقائية هز رأسه بالموافقة ، لكنها أعادت الهمس مرة أخرى ، مما جعل الرجل يعيد التفكير ، حيث سارع شكري بك لاستطلاع الأمر ، وما أن علم بمطلب مايسه ، حتى سارع بالاتصال مرة أخرى بالفندق للتعرف على تدبير مثل هذه الإجراءات ، وتهلل وجه الرجل ، فقد كانت هناك استعدادات أمنية للحفل السابق ، وسوف يطلب من مدير الأمن تدبيرها فورا ، وسعدت مايسه ، لكن الدعوة يجب أن يوجهها الوالد ، وفورا قام مصطفى بالاتصال بمستر نرسنج ، لم يجده في المنزل ، فقام بالاتصال به في السفارة :

- " مساء الخير مستر نرسنج .."

وتعجب أولف ، فالعلاقة بينهما لا تستدعي تلك الرسميات ، لكن مصطفى أوضح له بأنه في السفارة ، وفروض الاحترام واجبة ، ثم أن العلاقة الحميمة بينهما ليس معناها التبسط في الحديث أمام موظفي السفارة على الأقل ، ثم عرض عليه الأمر ، وسعد نرسنج بالخبر ، سيما أن ماريا كانت تلح في التعرف على العادات والتقاليد التي يتبعها الشعب المصري في الأفراح والمناسبات الأخرى ، وقد جاءت هذه المناسبة وسوف تسعد بها جدا ، وكذلك جونلا ، لكنه مرتبط بأكثر من لقاء دبلوسي هام ، ورجاه أن يبلغ تحياته وسعادته للعريس وتهانيه القلبية للعروسين .

والعجيب في الأمر أن رد السفير الياباني كان مقاربا لرد السفير السويدي ، حيث أنه رحب جدا بالحضور ، لكنه اعتذر للانشغال ، ولا يمانع من دعوة زوجته وابنته ، وهمس مصطفى في أذن مايسه برد السفيرين ، فالتقطت منه سماعة الهاتف ، وطلبت صديقتيها ابنتي السفيرين ، ووجهت لهما الدعوة باسمها ، بينما طلبت من صفيه أن توجه الدعوة لزوجتي السفيرين ، وسعدت مايسه بأنها وجدت لها صديقتين تقضي معهما السهرة ،

لكن والدها عاب عليها ذلك ، فقد كان يتصور أنها ستسعد بوجودها مدة أطول مع أكبر عدد من أفراد عائلة أبيها ، وشعرت ببعض الأسف ، لكنها قالت له :

- " سأقوم بتوزيع وقتي بين الجميع يا أبي ، ثم لا تنسى أن هناك مهام كثيرة لا بد أن أقوم بها للعروسين .."

سارعت هدى بالاتصال "بالكوافير " لترتب معها أمور تزيين العروس ، وسمع سعيد همس هدى في التليفون ، فأصر على أن يكون الكوافير أنثى ، ولم يترك هدى إلا بعد أن أكدت على ذلك ، فغمزت هدى له بإحدى لمزاتها اللاسعة :

- " وأنت .. ألن تذهب إلى كوافيرك الرجالي ..؟"

وشعر سعيد بأن هدى قد تمارس معه بعضا مما تتعامل به مع زوجها ، فنظر إليها نظرة جعلتها تبتلع لسانها ، أفهمها بدون كلام أنه ليس كزوجها ، وأن لكل شئ حدود ، وتفحصت هدى المكان بسرعة لتتأكد من أن زوجها لم يلاحظ هذه المعاملة الخشنة ، بينما لحقتها مني ، وأسرفت في شرح نظريات سعيد عن أسلوب التعامل الذي يجب أن يسود العلاقات الأسرية ، حتى لا يترتب على تخطي الخطوط الحمراء ما لا يحمد عقباه وتمتمت هدى ببعض عبارات الامتعاض من فيلسوف عصره الذي جاء على آخر الزمن ليعلمهم بروتكولات التعامل مع معالي سعادته ، وتفهمت منى رفض أختها لهذه المعاملة ، فلم تعرها انتباها ، فقط نظرت إليها نظرة رثاء ، وهي تدعو لها بالهداية ، لكنها لم تتركها إلا بعد أن تمتمت في أذنها ببعض العبارات التي توضح لها الأسلوب الذي يجب أن تتعامل به مع سعيد ، وحذرتها ألا تعامله كما تتعامل مع أحمد زوجها ، ومررت لها عبارات حرصت على أن تؤكد عليها بكل دقة وصرامة ، أهمها أن التعامل معها سيكون بالمثل ، فهي لا تتدخل فيما يحدث بينها وبين زوجها ، وتريدها ألا تتدخل فيما يحدث بينها وبين زوجها .

تجهم وجه مصطفى عندما رأى سميحه زوجته السابقة تتجه إليه مهنئة ، وهم أن يأمر بطردها ، بينما سارعت مريم ومها إليها ليحتضناها إلا أن مصطفى استوقفهما ، فقد مرت فترة طويلة لم يرياها خلالها ، منذ الإعلان عن المؤتمر ، وما ورد في الصحف والمجلات من أحاديث على لسانها ، كلها تشهير فيه وفي زوجته ، فضلا عما تكشف له من أساليبها الرخيصة التي سممت بها أفكار عائلة منى عروس أخيه ، وكادت أن تنسف حب أخيه الوحيد في حياته ، فما كان لها أن تظهر مجرد ظهور ، وبالتالي ما كانت لتتمكن من رؤية ابنتيها ، ولا أن تراها ابنتاها ، وما زاد الطين بلة أن زوجها طلقها ، فقد اعتبر هجومها على زوجها السابق ، نوع من الحب الدفين الذي لم تعلن عنه إلا بتلك الطريقة الغبية ، ويؤكد ذلك تشهيرها بزوجته ، حيث اعتبرها نوع من الغيرة ، والغيرة لا تكون إلا إذا كان حبها لمصطفى مازال باقيا . وأسرعت مايسه إلى والدها ، تهدئ من غضبه ، وسألته :

- " أليس من حق أولادك أن يقوموا بدعوة من يرغبون ..؟"

وذكرته بحماسه لدعوة السفيرين نزولا على رغبتها في دعوة صديقتيها ابنتي السفيرين ، فأجاب الزوج المهان في شرفه ، والأب الحنون :

- " بالطبع لهم كل الحق .. لكن لا تقولي أنك أنت التي دعوتها .."

فقالت بدلال مبالغ فيه :

- " ومن غيري يا والدي .. سوى مريم ومها اللتان حرمتا من مشاهدتها طوال الأيام الماضية ، إنها أمهم يا أبي ، إنها أمهم .. ومن أغلى من الأم بعد الأب .. ولكن تبقى غالية دائما مهما فعلت ، ومهما قالت .."

ووضعت يدها بمنديل على عينيها ، ووضح أنها تبكي ، فسارع أبوها يحتضنها وقد شعر بما يفتعل في صدرها من مشاعر ، الأم عندها هي الحياة التي حرمت منها صغيرة ، والأم

عندها هي الحنان الذي نشأت وهي لا تعرفه ، والأم عندها هـــي طفولتــها وصباهــا وشــبابها التي تعيشهم بلا معنى ، ثم تمتمـــت :

- " أين أمي الآن لأحتضنها كما ستفعل مـــها ومـــريم مـــع عدوتـــك الحاليـــة ، أقصـــد زوجتك السابقة ، لا تحرمهما يا أبي من أمهما ، لا تحرمـــهما يـــا أبي أرجـــوك .."

وعادت إلى بكائها مرة أخرى ، فلم يجد مصطفى بـــدا مـــن مصافحـــة زوجتـــه الســـابقة ، والسماح لمريم ومها ابنتيها ، اللتان اندفعتا إلى صدرها بســـرعة الـــبرق ، تحتضنانهـــا وتقبـــلان كل ما يمكن لشفاهما الصغيرة أن تلمسه من بشـــرتها ، وأســـرعت مايســـه إلى صفيـــه تخفـــف عنها ما تراه ، ثم جمعت بين أبيها وصفيـــه في تشـــابك بـــدأ بـــالأيدي ثم تطـــور إلى احتضـــان سرعان ما كانت مايسه القاسم الأعظم فيه ، وقـــالت مايســـه :

- " رأيت مريم تدير قرص الهاتف وتطلـــب والدهما ، فأســـرعت أدعوهـــا إلى عـــرس عمي وعم ابنتيها ، وترددت كثيرا في قبول الدعوة ، لكـــني أفهمتـــها أن الخـــلاف يجـــب أن ينتهي من أجل ابنتيها ، وأن والـــدي ســـيعفو عنـــها بمجـــرد أن تقـــدم الاعتـــذارات المناسبة له ولماما صفيه .. مـــا رأيكما أيها الحبيبـــان إلى قلـــبي ..؟ خاصـــة وأننـــا عندمـــا نسافر لن تستطيع أي من مـــريم أو مـــــها الحضـــور معنـــا بســـبب الدراســـة ، فلمـــن ستتركهما ، على الأقل والدهما تستطيع رعايتـــــهما بـــــأفضل مـــن ســـعدية وزنوبـــه ، خاصة بعد طلاقها من زوجـــــها .."

فاحتضنها مصطفى وصفيه مرة أخرى بأقوى مما سبق مـــــن أحضـــان ، شـــاكرين لهـــا هـــذه اللمسة الإنسانية الجميلة ، التي ما كانت لتتم لولا مـــا فعلتـــه ، وفوجـــئ مصطفـــى بزوجتـــه السابقة ، وهي تتقدم طالبة منه ومن صفيه الصفح والمغفـــرة ، بينمـــا الحـــاج وهـــدان ينظـــر إليها من بعيد ، وقد صوب إليها نظرات كأنها جمرات نار ، بعد أن أعلمتـــه مـــريم هـــانم مـــن تكون ، وهمت ستوته بأن تهجم عليها لولا أنهـــا رأت صفيـــه ابنتـــها وهـــي تحتضنـــها ، وقـــد ساد الود والوئام بينـــهما .

تجهزت العروس ، واصطحبها شكري بك يتهادى بها عند مدخل صالة مسجد الخوجة للاجتماعيات ، بينما انتظرهما سعيد ومصطفى حيث قام شكري بك بتسليم العروس إلى عريسها ، وسط تصفيق وتهليل من حضر من المدعوين ، واتجه بهما مصطفى إلى الأريكة حيث جلس المأذون ، وساد الصمت على الجميع عندما انطلق صوت المقرئ يرتل آيات الله الكريمة ، ثم بين المأذون للعروسين حدود كل منهما وفقا لما ورد في كتاب الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتم العقد بالصيغة المتعارف عليها ، وانطلقت حناجر النساء بالزغاريد ، بينما قامت فرقة الإنشاد الديني – التي أصر مصطفى على إحضارها – بترديد ذكر الله بأسمائه الحسنى والمديح في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتجه الجميع إلى فندق الربيع الوردي ، وما أن وصلت سيارة العروسين حتى استقبلتهما المغنيات بترديد الأغاني إلى أن استقر العروسان على كراسي الكوشة ، بينما مايسترو الحفل " مخرج تصوير الفيديو " يتولى تحديد مواقع التصوير ، وما يتوجب على كل من المؤدين أن يقوم به بما يتناسب مع دوره ، وبدأت مراسم الاحتفال ، وقدمت فقرة بعد أخرى في تتابع مشوق ، ثم بدأت إجراءات افتتاح البوفيه ، وجلس العريس مع عروسه أمام طاولة الطعام التي أعدها لهما سفرجية الفندق .

حاول الضابط " علي " أن يجذب انتباه مايسه إليه ، وما أن تلاقت العيون حتى أسرع إليها محاولا الإمساك بيدها برومانسية حاول معها أن ينقل إليها مشاعره ، لكنها واجهته بشجاعة :

- " ألم تنتهي مهمتك بعد يا حضرة الضابط ..؟"

وتعجب من جفائها :

- " ماذا تقولين ؟ أي مهمة هذه التي انتهت ..؟"

وهنا أظهرت مايسه أسفها :

- " لم أكن أتصور أنك تكذب .. ألم يكفك أنك زورت مشاعرك ..؟"

وكادت صرخته تعلـــو :

- " ما هذا الذي تقولينه ؟ أنا كاذب ومزور مشاعر أيضا .."

فنظرت إلى الأرض بأسى ، ورددت بعضا من العبارات باليابانيـــة ، ثم نظـــرت إليـــه بتحـــد واضـــــــح :

- " كلفت بأن تكشف حقيقة أمري ، كان والدي محقا فيمـــا فعـــل ، فقـــد شـــككه في نسبي صديقه سفير السويد ، رغم أنه هو أيضا على حق ، فمـــا توفـــر لديـــه مـــن صـــور وأفلام فيديو تثبت أن هناك عملية تبديل تمت ، وما كان يمكنـــه أن يعـــرف مـــا تم علـــى وجه التحديد ، وقد كنت أظنك من الذكاء بحيث تكشف لنـــا كيفيـــة وصـــول الصـــور والفيديو إليهم ، لكنك بدلا من ذلك دبرت أمـــر التشـــكيك في نســـب أحـــد زملائـــك لتمارسوا أساليبكم الرخيصة في التهاون بـــأعراض النـــاس لا لشـــيء إلا اللـــهو الـــذي تصورتم أنه برئ ، ولم يخطر ببـــالكم مـــا كـــان يمكـــن أن يحـــدث لـــو لم تكشـــفوا لـــه تصرفاتكم الصبيانيـــة .

- وقد وافقتك على خطتك الذكية من إعلانك طلـــب خطبـــتي ، حـــتى تقـــترب مـــني أكثر ، وتركتك تأخذ بصماتي من كـــأس العصـــير الـــذي لم أشـــرب منـــه شـــيئا ، بـــل وسمحت لأختك الطبيبة التي كلفتها بأخذ عينة من الخلايـــا الحيـــة الـــتي تخصـــني عندمـــا قدمت بدعوى أنها تحصنني من مرض غامض يجتاح البلاد ، ويـــا ليتـــها كـــانت مـــاهرة ، إلا أن أسلوبها الفظ في التعامل مع بشـــرتي ، أصـــابني بالتـــهابات جعلتـــني أعـــاني فـــترة طويلة من الزمن ، لم تفلح معها العقاقير التي أحضرتها مـــــن اليابـــان .

- ولا تحاول أن تنكر أنها أختك ، فقد حصلت على تحليل كـــامل لـــك ولهـــا وكذلـــك لوالدتكما ، حتى تلك العينة التي جاءت من أجـــل الحصـــول عليـــها لتضـــاهي الحمـــض النووي الخاص بي بذلك الذي يخص أبي ، وإذا أنكـــرت أنهـــا أختـــك ، فلـــك أن تســـأل

والدتك عنها ، فربما تكون لديها الإجابة المناسبة ، ذلـــك أنـــك لا تعلـــم أنـــني وبـــدون أخذ خلايا أو خلافه حددت صلتها بـــــك .."

أحنى رأسه احتراما واعترافا ، بينما استمرت هي في محاصرتها لـــــه بمحاضرتهـــا الدامغـــة :

- " كل ذلك كان من أجل أبي ، فقد كنت على اســـتعداد أن أضحـــي بعمـــري فـــداء له حتى تنتهي شكوكه ، والآن وقد انتـــهت المهمـــة الـــتي كلفـــت بهـــا مـــن أبي ومـــن رئاساتك ، فالأفضل لك أن تعلن عن انتهاء الخطوبة التي اعتبرتها أنـــا كـــأن لم تكـــن منـــذ اللحظـــات الأولى .."

وبينما كانت تخلع خاتم الخطوبة من إصبعها ، قاطعـــــها معترضـــا :

- " لكنني أحبك صادقا .."

فقالت بهدوء من تؤكد على كذبـــــه :

- " إن كنت تعتبر هذا ردا لجميل أبي على عـــــائلتك ، فـــأبي يعتـــبره واجبـــا ، وليـــس عليك أن ترد له جميل أو خلافه ، وإن كنت تريد أن تســـــعدني ببعـــض عبـــارات الحـــب التي عكفت على دراستها الأيام الســـابقة ، فأنـــا أعفيـــك منـــها ، وإن كنـــت تريـــد أن تداوي جراح العبارات القاسية التي وجهتـــــها لـــك " سوســـن " حبيبتـــك الســـابقة ، فابحث لك عن سلوى أخرى بعيدا عـــــني .."

وأرادت أن تسلمه الخاتم ، وعندما وجدت يده تتخاذل عن تســـلمه ، ألقتـــه علـــى الطاولـــة بينما المسكين يضرب أخماسا في أسداس .. أنى لها أن تعرف كـــل هـــذه الأمـــور ، وعـــن لـــه أن يسألها ، لكنه خشي أن يكون ردها عليه بأقسى مما ســـبق ، وتذكـــر أنهـــا مدربـــة تدريبـــا جيدا ، وهذا يجعلها تستعمل أحدث ما أنتـــج مـــن تقنيـــات في عـــالم الاســـتخبارات ، ومـــا الميدالية التي سلمتها لوالدها إلا لعبة من اللعب الباليـــة الـــتي عفـــى عليـــها الزمـــن ، فـــأخذ الخاتم وابتعد عنها ببطيء وهو يندب حظه ، فـــلا المصريـــة أوفـــت لـــه بحبـــه ، ولا النصـــف

مصرية قبلت به ، وأخذ يبحث بينه وبين نفسه فيما فيه من عيوب ، لعلـــه يســتطيع أن يغـير من نفسه قبل أن يهرم ، ولا يجد من تقبـــل بـــه .

استقبلت مايسه صديقتيـــها ابنـــتي الســفيرين ووالـــدة كـــل منـــهما بكـــل الترحـــاب ، واصطحبت معها صفيه ، التي حاولت جهدها التلفظ ببعض العبـــارات الـــتي رددها خلـــف مايسه ، لكنها كانت موفقة ، فلم تلاحظ أيا منهن عدم إجادها للإنجليزيـــة ، واختارتـــا لهـــن مكانا مناسبا تستطعن منه متابعة البرامج التي تقـــدم ، وجلســـتا معـــهن فـــترة مـــن الزمـــن ، لكنهن تردن ترجمانا يشرح لهـــن مـــا يحـــدث ، ويـــترجم لهـــن معـــاني الأغنيـــات ، وتمـــايل الراقصات ، ورقصة التحطيب التي أصر شـــكري بـــك عليـــها ، وتجولـــت مايســـه بنظرهـــا باحثة عن والدهـــا ، لكنها فوجئت بصفيه وهي تحـــاول التحـــدث معـــهن بإنجليزيـــة أفضـــل مما سمعتها بها أول الأمر ، بل وأخذت تشرح لهن مقامـــات الموســـيقى ، والفـــرق بينـــها وبـــين الموسيقى الغربية ، ومعاني كلمات الأغاني ، وأفاضت طبعا في شـــرح مقومـــات فـــن الرقـــص الشرقي ، ومواطن الإجادة والضعف في كـــل راقصـــة .

وفوجئت مايسه بماريا تنهض مصطحبة معها ابنة الســـفير اليابـــاني ، وقامتـــا بـــأداء بعـــض حركات الرقص الشرقي مع الراقصات ، مع تصفيق الجميـــع علـــى الواحـــدة والنصـــف ، ثم تبعتهما الوالدتان ، وجذبن مايسه بحجابها الذي أصرت علـــى حضـــور الفـــرح بـــه ، بينمـــا اتجهت مايسه إلى جدها التي كانت قد تدربـــت معـــها علـــى بعـــض التمـــارين الرياضيـــة ، ودعتها لتشاركهن في الاحتفال بعرس ابنها سعيد ، وحـــاولت الســـيدة المهذبـــة أن تعتـــذر ، لكن مع إصرار مايسه وإلحاحها ، قـــامت تـــؤدي بعـــض التمـــايلات ، ثم جلســـت ســـريعا بدعوى كبر السن ، وحاولت مع صفيه ، لكن نظرات مصطفى لهـــا ، الـــتي تبعتـــها نظـــرات أبيها ، كسرت خاطرها ، مما جعلها تشعر ببعض الأســـى ، فـــهي تحـــب الرقـــص الشـــرقي ، ولكـــــن ..

ما أن التهم سعيد بعضا من الطعام حتى بـــدأت إمـــارات الألم تظـــهر علـــى وجهـــه وهـــو يحاول أن يكابدها ، ومع أول نغمات موسيقى مطرب الحفل ، بـــدأت أنـــات خفيفـــة تصـــدر عن العريس ، ومع أول فقرات الأغنية ، كانت تأوهـــات العريـــس أعلـــى مـــن أيـــة طبقـــة

صوتية ، وأسرع مصطفى يستطلع الأمر ، بينما قامت مايسه فورا بتشغيل النوت بوك الخاص بها ، ووجهت بعض الأجهزة التي لم يسبق لأحد من الموجودين أن شاهد مثلها ، وإذا بها تخرج من طابعة النوت بوك شريطا من الورق ، احتوى على تحليل كامل للعناصر الأساسية التي ترشد إلى مواطن المرض ، وكذلك مسح ضوئي بالأشعة السينية لموضع الألم ، وبعد أن قرأت التحاليل وأمعنت النظر في صور الأشعة السينية أعلنت بهدوء ، وكأنما هي مجموعة من أساتذة الطب :

- " لا داعي للقلق يا سادة ، العريس لديه كمية من الحصوات في الكلى والحالب من النوع الكلسي ، الذي يسهل تفتيته ، لولا الحصوة الرئيسية التي تسد الكلية اليسرى تماما وهذه ربما تحتاج إلى عملية جراحية بسيطة لا تستغرق أكثر من يوم واحد ، لكنها كفيلة بأن تقعده في حالة راحة تامة لمدة شهر على الأقل .."

وبدأ الهمس يستشري ، بين الحظ السيئ الذي يلاحق هذين العروسين منذ بدأت العلاقة بينهما ، بدأت بالإشاعات المغرضة لزوجة مصطفى السابقة " سميحه القرنفلي " التي كادت أن تنسف هذه الرابطة المقدسة كلية ، لولا ما أعلنه مؤتمر الكشف عن أشجار البروتين عن نجاح العريس العلمي ، ثم التأجيلات المتعاقبة واحدا تلو الآخر ، بداية بافتتاح المعرض ، ثم مناقشة الرسالة ، وأخيرا حصوات الكلى التي لم يحلو لها إلا أن تشاركه فرحته تلك الليلة .

وبين محلل للمجهود الذهني والعضلي ، الذي بذله العريس على مدى فترة من الزمن قاربت الشهرين ، فهو بين التحليل الكيمائي لحجارة البروتين ثم المؤتمر تلاهما بسهرة الخطوبة التي جلبت له السعد بأعمال فنية جنى منها مئات الآلاف من الجنيهات ، لكنها تطلبت منه عملا دؤوبا شاقا حتى يستطيع أن يفي بالتزاماته مع متذوقي الفن الرفيع ، وما زالت لديه الكثير من تلك الأعمال التي أرجأ تنفيذها باتفاق مع الزبائن ، فضلا عن استكماله للرسالة ، وأوقات سعادته بحبه .. حتى هذه لم يتركوها ، بل حسبوها عليه ، فهي تحتاج إلى جهد ذهني وعصبي ، فمشكلة المشاكل أن يربط الحب بين العقول قبل القلوب ، إذ كيف يمكن للقلوب أن تتحدث بلغتها الرقيقة العطوفة بينما العقول تقف لها

بالمرصاد ، لكن عندما تتحدث العقول فليس أمـــام القلـــوب إلا أن تنصـــاع بكـــل تواضـــع ، فالعقل هو مركز الإحساس الرئيسي في الجسم ، ومـــا بـــاقي المجســـات والأجـــهزة إلا منفـــذة لأوامره ، وظهرت زمجرة نازلي هـــــانم :

- " ده فندق شؤم ، المدير قال لك أن العريس الذي سبق لــــه حجـــز القاعـــة أصيـــب بمرض مفاجئ ، ما كان يجب أن تحضرنــــا إلى هنـــا .."

وحاول شكري بك أن يهدئ من ثورتها ، لكنها أبدا لا تريـــد للحفـــل إلا أن يختـــم ، بينمـــا قامت مايسه بطلب مساعدة والدها لإعطاء عمها سعيد حقنـــة مهدئـــة ريثمـــا ينتـــهي حفـــل الزواج ، وتعجب والدها من استعدادها الدائم لكل طارئ ، لكنـــه تذكـــر تدريبـــها الجيـــد ، فنظر إليها نظرات شكر وامتنان ، وتعجب من أنها لم تســـتعمل الحقـــن المتعـــارف عليـــها ، ولا القطن والمطهر ، فقالت بشئ مـــن الاســـتخفاف :

- " ده كان زمان ، أما الآن فهناك وســـائل للحقـــن بـــدون ألم ، فقـــط توجـــه الحقـــن الحديثة إلى الذراع ، وبضغطة بسيطة يتم المراد .. تقـــدم يـــا والـــدي وشمـــر عـــن ذراع عمي .. أنا لا أدري كيف لم تصلكم هـــذه المســـتحدثات ..؟"

وبعد لحظات من حقن عمها الذي كان يتلوى من الألم ، فوجـــئ الجميـــع بـــه وقـــد عـــادت إليه ابتسامته ، وكأنه لم يعاني من ألم قط ، فأعلنت مايسه بشئ من الكياســـــة أن المشـــكلة قـــد تم علاجها ، وللجميع أن ينعموا بهذا الحفل الجميـــــل ، لكنـــها همســـت في أذن مـــنى ببعـــض العبـــــارات :

- " هذا لا يعني أن العريس سيستطيع قضاء شهر عســـــل ميمـــون قبـــل أن يذهـــب إلى المستشفى ليخرجوا منه تلك الحصوة الكبيرة التي تســـد الحـــالب في الكليـــة اليســـرى ، وتفتيت أو إخراج باقي الحصوات ، وعليك تنظيم الطعـــام الخـــاص بـــه .."

وسلمتها قائمة طويلة قام الكمبيوتر بطباعتها عن أنـــواع الطعـــام المســـموح لـــه بتناولهـــا ، وعدم تجاوزها إلى غيرها ، كانت باللغة الإنجليزية ، فقالت لهـــا مايســـه بهمـــس :

- " وأنا لا أشك في أن انجليزيتك قوية .."

لكن سعيد سمعها فأعلن بـــإصرار :

- " الزواج قبل كل شئ ، قبل المرض ، بل قبل الموت إن كان قد حان أجله .."

فوجئت صفيه بمن يدعوها لتسلم رسالة وردت مع الـــورود الغاليـــة جـــدا الـــتي جـــاء بهـــا مبعوث خاص ، وما أن قرأت بطاقة الورود حتى تعجبـــت ، مـــاذا تريـــد ســـهير المرعشـــلي منها ، وفضت الرسالة ، لتقرأ بها كل عبارات الاعتذار المصحـــوب بـــالندم علـــى كـــل مـــا فعله ابنها معها ، وتذكرها بأنها لا تريد أكثر مـــن أن تـــري حفيدهـــا ، وتلاعبـــه ، وترجوهـــا ألا تحرمه من حنانها ، وكذلك أموالها ، وأطلعت صفيه أباها وزوجـــها علـــى الرســـالة ، الـــتي أنهتها السيدة بتمنياتها الطيبة للعروسين ، وشكرها لمصطفى على ما قـــام بـــه مـــن بطـــولات ، بدأها بإنقاذ ابنتها صفيه وعلاجها ومساعدتها على إنجـــاب حفيدهـــا بالرعايـــة الطبيـــة الـــتي وفرها لها ، وبحنان والدته السيدة العظيمة الذي كان له أكبر الأثـــر في تخفيـــف لوعتـــها .

أرادت السيدة بهذه الرسالة أن تزيل آثار الغضب الذي قـــد يكـــون انتـــاب الجميـــع منـــها نتيجة تصرفات ابنها ، وتمهد لحياة طبيعية بينـــها وبـــين حفيدهـــا ، وتعيـــد لابنـــها صورتـــه البراقة في أعين الجميع ، بعيدا عما يكون قد ترسب لديهم من اتفاقـــه مـــع عصابـــة التخريـــب التي بلاه الله بهـــا .

كان الرجل الذي أحضر الورود والخطاب مـــا يـــزال في انتظـــار اســـتلام الـــرد ، لم يكـــن مكتوبا ، ولكنه كان ترحابا بها في أي وقت ، وفوجئ الجميع بهـــا وهـــي تدخـــل ، لتحتضـــن صفيه وتبكي على كتفها ، بينما كبار السن من الموجوديـــن يحـــاولون تذكرهـــا ، إلا أن كبـــار السن من الموسيقيين كانت ذاكرتهم أسرع ، إذ ســـرعان مـــا تم الاتفـــاق بينـــهم ، وكذلـــك الشباب الذين معهم على عزف السلام الملكي القديم ، الذي كانت تصـــر ســـهير علـــى بـــدء حفلاتها به ، والعجيب أن الجميع قاموا احتراما لرمز من رمـــوز البـــلاد ، كـــان لـــه احترامـــه وتقديره أيام الرجل الذي كان يعتبر مصر بلده ، وشـــعبها شـــعبه ، وأوصـــى أن يدفـــن بهـــا

بعد وفاته في منفاه ، عقابا له على إصداره قــرار الحــرب في فلســطين ، وكــان يذهــب إلى الجبهة ليقف على سير المعــارك .

وطربت السيدة لهذه اللفتة الجميلة من زمــلاء المهنــة ، وذهبــت إليــهم تحييــهم واحــدا واحدا ، ولا يخلو الأمر من سؤال من تعرفــه منــهم عــن أحوالــه ، وإذا بجميــع الحضــور يصفقون للسيدة التي أمتعتهن بفنها ردحا طويلا مــن الزمــن ، اعترافــا مــن هــذا الشــعب الأصيل بجهد كل من مسح دمعة حزن عن جبينه ، بفن جميــل افتقــده الكثــيرون .

انتهى مفعول الحقنة مع انتهاء حفل الزواج ، ولم تمهلــه الآلام أن يكمــل ، وقــام مصطفــى بطلب سيارة إسعاف أقرب مستشفى للفيلا ، ومعهم الإســعافات الأوليــة الخاصــة بحالتــه ، وحددت مايسه لهم ماهية العلاج اللازم لتخفيــف الآلام حــتى يصــل المستشــفى ، وتحــرك الركب بكامل هيئته بسياراقم ، الوالدة مريم هــانم ومصطفــى وصفيــه ، ووالــدي صفيــه ، وشكري بك ونازلي هانم وهدى وأحمد ، أمــا مــنى .. فقــد أصــرت أن تكــون إلى جــانب حبيبها سعيد مع مايسه في سيارة الإسعاف التي تهبــت الأرض نهبــا ، والطريــق يفتــح لهــا ، وخلفها رتل سيارات عائلة كل مــن العروســين .

ما وراء غلاف

الجزء الأول من رواية أشجار البروتين

تصورها ورقة / شجرة عملاقة ، فاقت في خضرها ما نعرفه من نباتات عالمنا الحالي ، والعروق تمر فيها ضاربة إلى الحمرة ، وكأنها شرايين وأوردة لكائن حي ، منحة صحراء كتوم من التيه ، تكاد تبتلع حرارة الشمس ، وحصوات الرمال في باطنها ، فتصبغ عروقها بالحمرة البنية الممزوجة بالصفرة المكتومة ، وكأنها تضم لهيب باطن الرمال المتحركة للصحراء الغربية .

كان هذا هو اللحن الجوهري الأساسي في تصميم هذا الغلاف ، أضاف إليها ما حاول الكاتب أن يجسده كلمات معبرة عن رؤيا وطنية ، تعكس هاجساً عالميا ، ألا وهو " الطعام لكل فم " شجرة في كل بيت ، طعام لكل جائع .

ويتركز الجوع في دول الخيرات والثروات الهائلة ، دول أفريقيا ، وهنا يبرز وجه هذا الأفريقي الأمرد ، الذي يعاني الفقر يلهب أحشاءه ، والاستعمار الذي ينهب ثرواته يبكي على فقرة وجهله ومرضه بكاء التماسيح ، فيقدم له بقايا فضلات موائده مساعدات لا تسمن ولا تغني من جوع ، فتصورته بعينيه البارزتين وكأنها تودع العالم ، وجفونه التي ألهبها الجوع بنيرانه ، ويد ضامرة ضعيفة لا قوة لها ، تمتد مرتجفة إلى هذه الورقة / الشجرة ، تطلب نصيبها الذي تخشى أن تبتلعه موائد سادته ، الذين لا يتركون أخضراً ولا يابساً إلا استولوا عليه

وتعمقت في الرواية التي خلتها في البداية حقيقة ، ثم تصورتها خيالاً علمياً رهين بمشكلات اجتماعية وحضارية ، يقدمها أديب يحن بتقدمه العلمي إلى مصر العشرينات والثلاثينات ، وينتقد أطروحات شباب جيله .

فتصورت بطل الرواية ممتزجاً في خلفية هذه الورقة / الشجرة ، ومتعاطفاً مع الوجه الأفريقي الأمرد ، ويربطه خيط روائي بامرأة يابانية ، تمثل زواجه الأسعد ، ويسعده لقاؤه بابنته منها التي غابت عنه قرابة ستة عشر عاما انتزعت منه قسراً ، لم تستطيع الوصول إليه إلا بعد الإعلان عن هذا الكشف الذي تتكالب دول الثراء على احتوائه ، لتحرم منه الدول الفقيرة .

وتحفل اللوحة ببعض الرموز منها ما هو هندسي ، ومنها ما هو حروف لغة يابانية / صينية ، وأرضية ترمز للأحجار التي اكتشفها البطل مصادفة ، وهو يطفئ النيران التي شبت ، فتضفي في الجو رائحة شواء ، نبهها لمصدرها كلبة مخلص ، وبعد أن أطفأ نيرانها بمدة قصيرة تتحول إلى قطعة من اللحم يستطيبها كلبة مخلص فيلتهمها ، وتفضلها القطط على ما عداها من لحوم مصنعة تحتوي على إضافات نباتية.

هذا باختصار ما ورد لخاطري من تصور مختلط مكثف " كولاجى " جمع بين الكثير من العناصر ، احتوتها كلمات رقيقة في جمل تنطق بأفكار ، تثير قضايا هامة وحساسة ، قد تصل بمغزاها للقارئ الذي يمهد له غلافها بعضا من الفضول البصري الذي يؤكد فضول عنوان الرواية بأشجار البروتين أو زراعة اللحوم .

أحمد غانم

رسام ومصمم

محتويات الجزء الثاني من رواية أشجار البروتين

رواية من تأليف محمود عبد العزيز فرج